

ایہا قیامی امی موسیٰ

منشورات
مؤسسة الأمل للطبوعات
بيروت - لبنان
ص.ب. ٧١٢٠

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة مريم عليها السلام

هذه السورة مكية باجماع الا السجدة منها فليل مكية وقيل مدنية * قوله عز وجل كيعص قد تقدم الكلام في فواتح السور * وقوله ذكر رحمت ربك مرتفع بقوله كيعص في قول فرقة وقيل انه ارتفع على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا ذكر وحكي ابو عمرو الداني عن ابن يعمر انه قرأ ذكر رحمة ربك بفتح الذال وكسر الكاف المشددة ونصب الرحمة * وقوله نادى معناه بالدعاء والرغبة قاله ابن العربي في احكامه * وقوله تعالى اذ نادى ربه ندا خفيا يناسب قوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير الذكر الخفي وخير الرزق ما يكتفي وذلك لانه ابعد من الرياء فاما دعاء زكريا عليه السلام فانما كان خفيا لوجهين احدهما انه كان ليلا والثاني انه ذكر في دعائه احوالا تفتقر الى الاخفاء كقوله واني خفت الموالي من ورائي وهذا مما يكتفى به انتهى ووهن المظم

معناه ضعف واشتعل مستعار للشيب من اشتعال النار * وقوله ولم اكن بدعائك رب شقيا شكر الله عز وجل على سالف اياديه عنده معناه قد احسنت الي فيما سلف وسعدت بدعائى اياك فالانعام يقتضى ان يشفع اوله اخره (ت) وكذا فسر الداودي ولفظه ولم اكن بدعائك رب شقيا يقول كنت تعرفنى الاجابة فيما مضى وقاله قتادة انتهى * وقوله واني خفت الموالي الآلة قيل معناه خاف ان يرث الموالي ماله والموالي بنو العم والقربة * وقوله من وراى اي من بعدى وقالت فرقة انما كان مواليه مهملين للدين فخاف بموته ان يضيع الدين فطلب وليا يقوم بالدين بعده حكى هذا القول الزجاج وفيه انه لا يجوز ان يسأل زكريا من يرث ماله اذ الانبياء لا تورث قال (ع) وهذا يؤيده قوله صلى الله عليه وسلم انا معشر الانبياء لا نورث ما تركنا فهو صدقة والظاهر الا ليق بزكريا عليه السلام ان يريد وراثة العلم والدين فتكون الوراثة مستعارة وقد بانه الله امله قال ابن هشام ومن وراى متعلق بالموالي او بمحذوف هو حال من الموالي او مضاف اليهم اي كائنين من وراى او فعل الموالي من وراى ولا يصح تعلقه بخفت لفساد المعنى انتهى من المعنى وخفت الموالي هي قراءة الجمهور وعليها هو هذا التفسير وقرأ عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وابن عباس وجماعة خفت بفتح الخاء وفتح الفاء وشدها وكسر التاء والمعنى على هذا قد انقطع اولياءى وماتوا وعلى هذه القراءة فانما طلب وليا يقوم بالدين قال ابن العربي فى احكامه ولم يخف زكريا وارث المال وانما اراد ارث النبوة وعليها خاف ان تخرج عن عقبه وصح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انا معشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة انتهى وقرأ علي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهما رضي الله عنهم يرثنى وارث من آل يعقوب (ت) وقوله فبلى قال ابن مالك فى شرح الكافية

اللام هنا هي لام التعديّة وقاله ولده في شرح الخلاصة قال ابن هشام والاولى
عندى ان يمثل للتعديّة بنحو ما اكرم زيدا عمرو وما احبه لبكر انتهى *
وقوله من آل يعقوب يريد يرث منهم الحكمة والعلم والنبوة ورضيا معناه مرضيا
والعافر من النساء التي لا تلد من غير كبرة وكذلك العافر من الرجال *
وقوله لم نجعل له من قبل سميا معناه في اللغة لم نجعل له مشاركا في هذا الاسم
اي لم يسم به قبل يحي وهذا قول ابن عباس وغيره وقال مجاهد وغيره سميا
معناه مثيلا ونظيرا وفي هذا بعد لانه لا يفضل على ابراهيم وموسى عليهما
السلام الا ان يفضل في خاص كالسودد والحصر والعتي والعيسى المبالغة في الكبر
او يبس العود او شيب الرأس او عقيدة ما وزكرياء هو من ذرية هارون عليهما
السلام ومعنى قوله سويا فيما قال الجمهور صحيحا من غير علة ولا خرس وقال ابن
عباس ذلك عائدا على الليالي اراد كاملات مستويات * وقوله فاوحى اليهم
قال قتادة وغيره كان ذلك باشارة وقال مجاهد بل بكتابة في التراب قال
(ع) وكلا الوجهين وحي * وقوله ان سبحوا قال قتادة معناه صلوا السجدة
والسجدة الصلاة وقالت فرقة بل امرهم بذكر الله وقول سبحان الله * وقوله
عز وجل يا يحيى خذ الكتاب بقوة المعنى قال الله له يا يحيى خذ الكتاب وهو التوراة
وقوله بقوة اي العلم به والحفظ له والعمل به والالتزام للوازمه * وقوله صبيا
يريد شابا لم يبلغ حد الكهولة ففي لفظ صبي على هذا تجوز واستصحاب حال
وروى معمر ان الصبيان دعوا يحي الى اللعب وهو طفل فقال اني لم اخلق
للعب فتلک الحكمة التي اتاه الله عز وجل وهو صبي وقال ابن عباس من قرأ
القرآن قبل ان يحتلم فهو ممن اوتي الحكمة صبيا والحنان الرحمة والشفقة
والمحبة قاله جمهور المفسرين وهو تفسير اللغة ومن الشواهد في الحان قول النابغة
ابامنذر افنيت فاستبق بعضنسا * حنائيك بعض الشراهنون من بعض

وقال عطاء بن ابي رباح حنانا من لدنا بمعنى تعظيما من لدنا قال (ع) وهو ايضا ما عظم من الامر لاجل الله عز وجل ومنه قول زيد بن عمرو بن نفيل في خبر بلال والله لئن قتلتم هذا العبد لاتخذن قبره حنانا قال (ص) قال ابو عبيدة واكثر ما يستعمل مثني انتهى والزكاة التسمية والتطهير في وجوه الخير قال مجاهد كان طعام يحيي العشب وكان للدمع في خده مجار ثابتة ولم يكن جبارا عصيا روي ان يحيي عليه السلام لم يواقع معصية قط صغيرة ولا كبيرة والبر كثير البر والجبار المنكبر كانه يجبر الناس على اخلاقه * وقوله وسلام عليه قال الطبري وغيره معناه وامان عليه قال (ع) والاضر عندى انها التحية المتعارفة فهي اشرف وانه من الامان لان الامان متحصل له بنفي العصيان عنه وهو اقل درجاته وانما الشرف في ان سلم الله عليه وحياء في المواطن التي الانسان فيها في غاية الضعف والحاجة وقلة الحيلة * واذكر في الكتاب مريم الكتاب هو القرآن والانتباز التنجى قال السدي انتبذت لتطهر من حيض وقال غيره لتعبد الله عز وجل قال (ع) وهذا احسن * وقوله شرقيا يريد في جهة الشرق من مساكن اهلها وكانوا يعظمون جهة المشرق قاله الطبري وقال بعض المفسرين اتخذت المكان بشريقي المحراب * وقوله سبحانه فاتخذت من دونهم حجابا اي تستتر به عن الناس لعبادتها والروح جبريل عليه السلام * وقوله تعالى قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا المعنى قالت مريم للملك الذي تمثل لها بشرا لما رآته قد خرق الحجاب الذي اتخذته فاساءت به الظن اعوذ بالرحمن منك ان كنت ذا تقى فقال لها جبريل عليه السلام انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا وقرأ ابو عمرو ونافع بخلاف عنه ليهب * قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم اك بغيا والبغي الزانية وروي ان جبريل عليه السلام حين

قاولها هذه المقالة نفخ في جيب درعها فسرت النفخة باذن الله تعالى حتى حملت منها قاله وهب بن منبه وغيره وقال ابي بن كعب دخل الروح المنفوخ من فيها فذلك قوله تعالى فحملته اي فحملت الغلام ويذكر انها كانت بنت ثلاث عشرة سنة فلما احست بذلك وخافت تعنيف الناس وان يظن بها الشر انتبذت اي تنحت مكانا بعيدا حياء وفرارا على وجهها واجاءها معناه اضطرها وهو تعديدية جاء بالهمزة والمخاض الطلق وشدة الولادة واوجاعها وروي انها بلغت الى موضع كان فيه جذع نخلة بال يابس في اصله مذود بقرة على جرية ماء فاشتد بها الامر هنا لك واحتضنت الجذع لشدة الوجع وولدت عيسى عليه السلام فقالت عند ولادتها لما رآته من صعوبة الحال من غير ما وجهه ياليتني مت قبل هذا فتمنت الموت من جهة الدين ان يظن بها الشر وخوف ان تفتتن بتعير قومها وهذا مباح وعلى هذا الحد تناء عمر رضى الله عنه وكنت نسيا اي شيئا متروكا محتقرا والنسي في كلام العرب الشيء الحقير الذى شأنه ان ينسى فلا يتألم لفقده كالوتد والجلل للمسافر ونحوه وهذه القصة تقتضى انها حملت واستمرت حاملا على عرف البشر واستحييت من ذلك ومرت بسببه وهي حامل وهو قول جمهور المتأولين وروي عن ابن عباس انه قال ليس الا ان حملت فوضعت في ساعة واحدة والله اعلم وظاهر قوله فاجاءها المخاض انها كانت على عرف النساء * وقوله سبحانه فناداها من تحتها قرأ ابن كثير وابوعمر و ابن عامر وعاصم فناداها من تحتها على ان من فاعل بنادى والمراد بن عيسى قاله مجاهد والحسن وابن جبير واي بن كعب وقال ابن عباس المراد بن جبريل ولم يتكلم عيسى حتى اتت به قومها واقول الاول اظهر وابين وبه يتبين عذر مريم ولا تبقى بها استرابة وقرأ نافع وحمة والكسائي وحض عن عاصم من تحتها بكسر الميم واختلفوا ايضا

فقالت فرقة المراد عيسى وقالت فرقة المراد جبريل المحاور لها قبل قالوا
 وكان في بقعة اخفض من البقعة التي كانت هي عليها والاول اظهر
 وقرأ ابن عباس فنادها ملك من تحتها والسري من الرجال العظيم السيد
 والسري ايضا الجدول من الماء وبحسب هذا اختلف الناس في هذه
 الآية فقال قتادة وابن زيد اراد جعل تحتك عظيما من الرجال له شأن
 وقال الجمهور اشار لها الى الجدول ثم امرها بهز الجذع اليابس لترى
 آية اخرى وقالت فرقة بل كانت النخلة مطعمة رطباً وقال السدي كان
 الجذع مقطوعاً واجري تحتها النهر حينئذ قال (ع) والظاهر من الآية ان
 عيسى هو المكلّم لها وان الجذع كان يابساً فهي آيات تسليها وتسكن اليها
 قال (ص) قوله وهزى اليك تقرر في علم النحو ان الفعل لا يتعدى الى ضمير
 متصل وقد رفع المتصل وهما لمدلول واحد واذا تقرر هذا فاليك لا يتعلق
 بهزى ولكن يمكن ان يكون اليك حالاً من جذع النخلة فيتعلق بمحذوف
 اي هزى بجذع النخلة منتها اليك انتهى والباء في قوله بجذع زائدة مؤكدة
 وجنبا معناه قد طابت وصاححت للاجتناء وهو من جنيت الثمرة وقال
 عمرو بن ميمون ليس شيء للنفساء خيراً من التمر والرطب وقرة العين
 مأخوذة من القر وذلك انه يحكى ان دمع الفرح بارد المس ودمع الحزن سخن
 المس وقيل غير هذا قال (ص) وقرى عينا اي طيبى نفساً ابو البقاء عينا
 تميز اه * وقوله سبحانه فاما ترين من البشر احدا الآية المعنى ان الله
 عز وجل امرها على لسان جبريل عليه السلام او ابنها على الخلاف المتقدم
 بان تمسك عن مخاطبة البشر وتحيل على ابنها في ذلك ليرتفع عنها خجلها
 وتبين الآية فيقوم عذرها وظاهر الآية انها ابيح لها ان تقول مضمن
 هذه الالفاظ التي في الآية وهو قول الجمهور وقالت فرقة معنى قولي

بالإشارة لا بالكلام قال (ص) وقوله فقولى جواب الشرط وبينهما جملة محذوفة يدل عليها المعنى اى فاما ترين من البشر احدا وسألك او حاورك الكلام فقولى انتهى وصوما معناه عن الكلام اذ اصل الصوم الامساك وقرأت فرقة انى نذرت للرحمن صمتا ولا يجوز فى شرعنا نذر الصمت فروي ان مريم عليها السلام لما اطمانت بما رأت من الآيات وعلمت ان الله تعالى سيبين عذرها ات به تحمله مدلة من المكان القصى الذى كانت منتبذة به والفري العظيم الشنيع قاله مجاهد والسدي واكثر استعماله فى السوء واختلف فى معنى قوله تعالى يا اخت هارون فقليل كان لها اخ اسمه هارون لان هذا الاسم كان كثيرا فى بنى اسرائيل وروى المغيرة بن شعبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسله الى اهل نجران فى امر من الامور فقالت له النصارى ان صاحبك يزعم ان مريم هي اخت هارون وبينهما فى المدة ست مائة سنة قال المغيرة فلم ادر ما اقول فلما قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال الم بعلوم انهم كانوا يسمون باسماء الانبياء والصالحين قال (ع) فالمعنى انه اسم وافق اسما وقيل نسبوها الى هارون اخى موسى لانها من نسله ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان اخا صداء اذن ومن اذن فهو يقيم وقال قتادة نسبوها الى هارون اسم رجل صالح فى ذلك الزمان وقالت فرقة بل كان فى ذلك الزمان رجل فاجر اسمه هارون نسبوها اليه على جهة التعمير (ت) والله اعلم بصحة هذا وما رواه المغيرة ان ثبت هو المعول عليه وقولهم ما كان ابوك امراً سوء المعنى ما كان ابوك ولا امك اهلا لهذه الفعلة فكيف جئت انت بها والبنى التى تبغى الزنا اى تطلبه * وقوله تعالى فاشارت اليه يقوى قول من قال ان امرها بقولى انما اريد به الإشارة * وقوله ١ اتانى الكتاب يعنى الانجيل ويحتمل ان يريد التوراة والانجيل ٢ اتانى معناه قضى بذلك سبحانه وانفذه

في سابق حكمه وهذا نحو قوله تعالى اتي امر الله * واوصاني بالصلوة والزكاة
 قيل هما المشروعتان في البدن والمال وقيل الصلاة الدعاء والزكاة التطهير
 من كل عيب ونقص ومعصية والجبار المتعظم وهي خلق مقرونة بالشقاء لانها
 مناقضة لجميع الناس فلا يلقي صاحبها من كل احد الامكروها وكان عيسى
 عليه السلام في غاية التواضع يا كل الشجر ويلبس الشعر ويجلس على الارض
 ويأوى حيث جنه الليل لا مسكن له قال قتادة وكان يقول سلوني فاني لئن
 القلب صغير في نفسي وقالت فرقة ان عيسى عليه السلام كان اوتي الكتاب
 وهو في سن الطفولية وكان يصوم ويصلي قال (ع) وهذا في غاية الضعف
 (ت) وضعفه من جهة سندده والافالعل لا يحيله لاسيا وامره كله خرق عادة
 وفي قصص هذه الآية عن ابن زيد وغيره انهم لما سمعوا كلام عيسى اذعنوا
 وقالوا ان هذا لأمر عظيم * وقوله تعالى ذلك عيسى ابن مريم قول الحق
 الذي فيه يمترون المعنى قل يا محمد لمعاصريك من اليهود والنصارى ذلك الذي
 هذه قصته عيسى ابن مريم وقرأ نافع وعامة الناس قول الحق برفع القول على
 معنى هذا هو قول الحق وقرأ عاصم وابن عامر قول الحق بنصب اللام على
 المصدر * وقوله ان الله ربي وربكم الآية هذا من تمام القول الذي امر
 به محمد صلى الله عليه وسلم ان يقوله ويحتمل ان يكون من قول عيسى
 ويكون قوله ان بفتح الهمزة عطفا على قوله الكتاب وقد قال وهب بن منبه
 عهد عيسى اليهم ان الله ربي وربكم (ت) وما ذكره وهب مصرح به في
 القرآن ففي اخر المائدة ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي
 وربكم الآية وامتراؤهم في عيسى هو اختلافهم فيقول بعضهم لزية وهم
 اليهود ويقول بعضهم هو الله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فهذا هو امتراؤهم
 وسياتي شرح ذلك باثر هذا * وقوله فاختلف الاحزاب من بينهم هذا ابتداء

خبر من الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم بان بنى اسرائيل اختلفوا احزابا اي
فرقا وقوله من بينهم بمعنى من تلقائهم ومن انفسهم نار شرهم وان الاختلاف
لم يخرج عنهم بل كانوا هم المختلفين وروي في هذا عن قتادة ان بنى اسرائيل
جمعوا من انفسهم اربعة احبار غاية في المكانة والجلالة عندهم وطلبوهم ان
يبينوا لهم امر عيسى فقال احدهم عيسى هو الله تعالى الله عن قولهم وقال
له الثلاثة كذبت واتبعه اليعقوبية ثم قيل للثلاثة فقال احدهم عيسى
ابن الله تعالى الله عن قولهم فقال له الاثنان كذبت واتبعه النسطورية
ثم قيل للثنتين فقال احدهما عيسى احد ثلاثة الله اله ومريم اله وعيسى
اله تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا فقال له الرابع كذبت واتبعته الاسرايلية
فقيل للرابع فقال عيسى عبد الله وكلمته القاها الى مريم فاتبع كل واحد فريق
من بنى اسرائيل ثم اقتتلوا فقتل المومنون وقتلوا وظهرت اليعقوبية على
الجميع والويل الحزن والابور وقيل الويل واد في جهنم ومشهد يوم عظيم
هو يوم القيامة * وقوله سبحانه اسمع بهم وابصر اي ما اسمعهم وابصرهم
يوم يرجعون الينا ويرون ما نضنع بهم لكن الظالمون اليوم اي في الدنيا
في ضلال مبين اي بين وانذرهم يوم الحسرة وهو يوم ذبح الموت قاله الجمهور
وفي هذا حديث صحيح خرجه البخاري وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الموت يحجاء به في صورة كبش امام فيذبح على الصراط بين الجنة
والنار وينادى يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت ثم قرأ
وانذرهم يوم الحسرة الآية قال (ع) وعند ذلك تصيب اهل النار حسرة لا
حسرة مثلها وقال ابن زيد وغيره يوم الحسرة هو يوم القيامة قال (ع) ويحتمل
ان يكون يوم الحسرة اسم جنس شامل لحسرات كثيرة بحسب مواطن
الآخرة منها يوم موت الانسان واخذ الكتاب بالشمال وغير ذلك وهم

في غفلة يريد في الدنيا * قوله سبحانه انا نحن نزلت الارض الآية عبارة عن بقائه جل وعلا بعد فناء مخلوقاته لاله غيره * وقوله عز وجل واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقاً نبياً الآية قوله واذكر بمعنى اتل وشهر لان الله تعالى هو الذاكر والكتاب هو القرآن والصديق بناء مبالغة فكان ابراهيم عليه السلام يرصف بالصدق في افعاله واقواله * وقوله يا ابي اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن الآية قال الطبري اخاف بمعنى اعلم قال (ع) والظاهر عندي انه خوف على بابه وذلك ان ابراهيم عليه السلام في وقت هذه المقالة لم يكن ايسا من ايمان ابيه (ت) ونحو هذا عبارة المهدوي قال قيل اخاف معناه اعلم اي اني اعلم ان مت على ما انت عليه ويجوز ان يكون اخاف على بابه ويكون المعنى اني اخاف ان تموت على كفرك فيمسك العذاب انتهى * وقوله لارجنك قال الضحاك وغيره معناه بالقول اي لاشتمنك وقال الحسن معناه لارجنك بالحجارة وقالت فرقة معناه لاقتلتك وهذان القولان بمعنى واحد * وقوله واهجرني على هذا التاويل انما يترتب بانه امر على حياله كانه قال ان لم تنته قتلتك بالرجم ثم قال له واهجرني اي مع انتهائك ومليا معناه دهرًا طويلاً ماخوذ من الملوين وهما الليل والنهار هذا قول الجمهور * وقوله قال سلام عليك اختلف في معنى تسليمه على ابيه فقال بعضهم هي تحية مفارق وجوزوا تحية الكافر وان يبدأ بها وقال الجمهور ذلك السلام بمعنى المسالمة لا بمعنى التحية وقال الطبري معناه أمنة مني لك وهذا قول الجمهور وهم لا يرون ابتداء الكافر بالسلام وقال النقاش حلیم خاطب سفيها كما قال تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما * وقوله ساستغفر لك ربي معناه سأدعو الله تعالى في ان يهديك فيغفر لك بايمانك ولما تبين له انه عدو لله تبرأ منه والحنى المهتل المتلطف وهذا شكر من ابراهيم لنعم الله تعالى عليه ثم اخبر

ابراهيم عليه السلام بانه يعتزلهم اي يصير عنهم بمعزل ويروى انهم كانوا بارض
كوثى فرحل عليه السلام حتى نزل الشام وفي سفرته تلك لقي الجبار الذي
اخدم هاجر الحديث الصحيح بطوله وتدعون معناه تعبدون * وقوله عسى
ترج في ضمنه خوف شديد * وقوله سبحانه فلما اعتزلهم الى اخر الآية
اخبار من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انه لما رحل ابراهيم عن بلد ابيه
وقومه عوضه الله تعالى من ذلك ابنه اسحاق وابن ابنه يعقوب على
جميعهم السلام وجعل الولد له تسلية وشدا لمضده واسحاق اصغر من اسماعيل
ولما حملت هاجر باسمايل غارت سارة فحملت باسحاق هكذا فيما روي *
وقوله تعالى ووهبنا لهم من رحمتنا يريد العلم والمنزلة والشرف في الدنيا والنعيم
في الآخرة كل ذلك من رحمة الله عز وجل ولسان الصدق هو الثناء الباقي
عليهم اخر الابد قاله ابن عباس وابراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم وذريته
معظمة في جميع الامم والملل قال (ص) وكلا جعلنا نبياً ابو البقاء هو منصوب
بجعلنا انتهى * وقوله عز وجل واذكر في الكتاب موسى اي على جهة
التشريف له وناديتاه هو تكليم الله له والايمان صفة لجانب وكان على يمين
موسى والا فالجبل نفسه لا يمتنه له ولا يسرة ويحتمل ان يكون الايمان ماخوذاً
من اليمن وقربناه اي تقريب تشريف والنجي من المناجاة * وقوله تعالى
واذكر في الكتاب اسماعيل هو ايضا من لسان الصدق المضمون بقاؤه على
ابراهيم عليه السلام واسماعيل عليه السلام هو ابو العرب اليوم وذلك ان
اليمنية والمُضَرِّيَّة ترجع الى ولد اسماعيل وهو الذبيح في قول الجمهور وهو
الراجح من وجوه منها قوله تعالى ومن وراء اسحاق يعقوب فولد بشر ابواه
بان سيكون منه ولد كيف يومر بذبحه ومنها ان امر الذبح كان بمنى بلا
خلاف وما روي قط ان اسحاق دخل تلك البلاد واسماعيل بها نشأ وكان

ابوه يزوره مرارا كثيرة يأتي من الشام ويرجع من يومه على البراق وهو
مركب الانبياء ومنها قوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين وهو ابوه
عبد الله والذبيح الثاني هو اسماعيل ومنها ترتيب آيات سورة والصفات يكاد
ينص على ان الذبيح غير اسحاق ووصفه الله تعالى بصدق الوعد لانه كان
مبالغا في ذلك وروي انه وعد رجلا ان يلقاه في موضع فبقي في انتظاره يومه
وليلته فلما كان في اليوم الآخر جاء الرجل فقال له اسماعيل مازلت هنا في
انتظارك منذ امس وقد فعل مثله نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قبل مبغثه
خرجه الترمذي وغيره قال سفيان بن عيينة اسوأ الكذب اخلاف الميعاد
ورمي الازياء بالتهمة واهله المراد بهم قومه وامته قاله الحسن وفي مصحف ابن
مسعود وكان يامر قومه وادريس عليه السلام من اجداد نوح عليه السلام
ورفعناه مكانا عليا قالت فرقة من العلماء رفع الى السماء قال ابن عباس كان
ذلك بامر الله تعالى * وقوله وبكيا قالت فرقة جمع بك وبكيا قالت فرقة هو
مصدر بمعنى البكاء التقدير وبكوا بكيا واحتج الطبري ومكي لهذا القول
بان عمر رضي الله عنه قرأ سورة مريم فسجد ثم قال هذا السجود فاين البكي
يعني البكاء قال (ع) ويحتمل ان يريد عمر رضي الله عنه فاين الباكون وهذا
الذي ذكره عن عمر ذكره ابو حاتم عن النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله
تعالى فخلف من بعدهم خلف الآية الخلف بسكون اللام مستعمل اذا
كان الاتي مذموما هذا مشهور كلام العرب والمراد بالخلف من كفر وعصى
بعد من بني اسرائيل ثم تناول معنى الآية من سواهم الى يوم القيامة
واضاعة الصلاة يكون بتركها وبجحدها وباضاعة اوقاتها وروي ابو داود
الطيالسي في مسنده بسنده عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا احسن الرجل الصلاة فآتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة

حفظك الله كما حفظتني وترفع واذا اساء الصلاة فلم يتم ركوعها ولا سجودها قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعتني وتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه انتهى من التذكرة والشهوات عموم والنبي الحمران قاله ابن زيد وقد يكون النبي بمعنى الضلال والتقدير يلقون جزاء النبي وقال عبد الله بن عمرو وابن مسعود النبي واد في جهنم وبه وقع التوعد في هذه الآية وقال (ص) النبي عندهم كل شر كما ان الرشاد كل خير انتهى وجنات عدن بدل من الجنة في قوله يدخلون الجنة * وقوله بالغيب اي اخبرهم من ذلك بما غاب عنهم وفي هذا مدح لهم على سرعة ايمانهم وبدارهم اذ لم يمانوا وماتيا مفعول على بابه وقال جماعة من المفسرين هو مفعول في اللفظ بمعنى فاعل فاتيا بمعنى ات وهذا بعيد (ت) بل هو الظاهر وعليه اعتمد (ص) والنحو السقط من القول * وقوله بكرة وعشيا يريد في التقدير * وقوله عز وجل وما ننزل الا بامر ربك الآية قال ابن عباس وغيره سبب هذه الآية ان النبي صلى الله عليه وسلم ابطاء عنه جبريل عليه السلام مدة فلما جاءه قال يا جبريل قد اشتقت اليك افلا ترورنا اكثر مما ترورنا فنزلت هذه الآية وقال الضحاك ومجاهد سببها ان جبريل تأخر عن النبي صلى الله عليه وسلم عند قوله في السؤالات المتقدمة في سورة الكهف غدا اخبركم وقال الداودي عن مجاهد ابطأت الرسل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اتى جبريل عليه السلام قال ما حبسك قال وكيف تأتيم وانتم لا تقصون اظفاركم ولا تأخذون شواربكم ولا تستاكون وما ننزل الا بامر ربك انتهى وقد جاءت في فضل السراك اثار كثيرة فيها ما رواه البزار في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد اذا تسوك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فيسمع لقراءته فيدنونه حتى يضع فاه على فيه فما يخرج

من فيه شيء من القرآن ان الاصار في جوف الملك انتهى من الكوكب الدري وفيه عن ابن ابي شيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال صلاة على اثار سواك افضل من سبعين صلاة بغير سواك انتهى وفي البخاري ان السواك مطهرة للفم مرضاة للرب اه * وقوله سبحانه له ما بين ايدينا الآية المقصود بهذه الآية الاشعار بملك الله تعالى للملائكة وان قليل تصرفهم وكثيره انما هو بامرهم وانتقالهم من مكان الى مكان انما هو بجد منه * وقوله وما كان ربك نسيا اي من يلحقه نسيان لبعثنا اليك فنسيا فيل من النسيان وهو الذهول عن الامور وقرأ ابن مسعود وما نسيك ربك * وقوله سميا قال قوم معناه موافقا في الاسم قال (ع) وهذا يحسن فيه ان يريد بالاسم ما تقدم من قوله رب السموات والارض وما بينهما اي هل تعلم من يسمى بهذا او يوصف بهذه الصفة وذلك ان الامم والفرق لا يسمون بهذا الاسم وثنا ولا شياً سوى الله تعالى قال القشيري في التعبير قوله تعالى واصطبر لعبادته الاصطبار نهاية الصبر ومن صبر ظفرو من لازم وصل وفي معناه انشدوا

لا تيأسن وان طالت مطالبة * اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا
اخلق بذى الصبر ان يحظى بحاجته * ومد من القرع للابواب ان يلجا
وانشدوا

اني رأيت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جسد في شيء يحاوله * واستصحب الصبر الافاز بالظفر
انتهى وقال ابن عباس وغيره سميا معناه مثيلاً او شبيهاً ونحو ذلك وهذا قول حسن وكان السمي بمعنى المسامي والمضاهي فهو من السمو * وقوله تعالى ويقول الانسان انذا مامت لسوف اخرج حيا الانسان اسم جنس يراد به الكافرون وروي ان سبب نزول هذه الآية هو ان رجلاً من قريش كانوا يقولون هذا

ونحوه وذكر ان القائل هو ابي بن خاف وروي ان القائل هو العاصي بن وائل
وفي قوله تعالى ولم يك شيأ دليل على ان المعلوم لا يسمى شيأ وقال ابو علي الفارسي
اراد شيأ موجودا قال (ع) وهذه من ابي علي نزغة اعتزالية فتأملها والضمير
في لنحشرهم عائد على الكفار القائلين ماتقدم ثم اخبر تعالى انه يقرن بهم
الشياطين المغوين لهم وجثيا جمع جاث فاخبر سبحانه انه يحضر هؤلاء المنكرين
البعث مع الشياطين المغوين فيجثون حول جهنم وهو قعود الخائف الدليل على
ركبته كالاسير ونحوه قال ابن زيد الجثي شر الجلوس والشيعية الفرقة المرتبطة بمذهب
واحد المتعانة فيه فاخبر سبحانه انه ينزع من كل شيعة اعتاها واولاها بالعذاب
فنكون مقدمتها الى النار قال ابو الاحوص المعنى نبدا بالاكابر جرما واي هنا
بنيت لما حذف الضمير العائد عليها من صدر صلتها وكان التقدير ايهم هو اشد
وصليا مصدر صلي يصلي اذا باشره * وقوله عز وجل وان منكم الاواردها
قسم والواو تقتضيه ويفسره قوله صلى الله عليه وسلم من مات له ثلاثة اولاد لم
تمسه النار الا تحلة القسم وقرأ ابن عباس وجماعة وان منهم بالهاء على ارادة الكفار
قال (ع) ولاشغب في هذه القراءة وقالت فرقة من الجمهور القارئين منكم
المعنى قل لهم يا محمد فالخطاب بمنكم للكفرة وتاويل هؤلاء ايضا سهل التناول وقال
الاكثر المخاطب العالم كله ولا بد من ورود الجميع ثم اختلفوا في كيفية ورود
المومنين فقال ابن عباس وابن مسعود وخالد بن معدان وابن جريج وغيرهم
هو ورود دخول لـكنها لا تعدو عليهم ثم يخرجهم الله عز وجل منها بعد معرفتهم
حقيقة مانجوا منه وروي جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
الورود في هذه الآية هو الدخول وقد اشفق كثير من العلماء من تحقق
الورود مع الجهل بالصدر جعلنا الله تعالى من التاجين بفضلهم ورحمته وقالت فرقة
بل هو ورود اشراف واطلاع وقرب كما تقول وردت الماء اذا جئته وليس يلزم

ان تدخل فيه قالوا وحسب المومن بهذا هولا ومنه قوله تعالى ولما ورد ماء مدين وروت فرقة اثرا ان الله تعالى يجعل النار يوم القيامة جامدة الاعلى كانها اهالة فياتي الخلق كلهم برهم وفاجرهم فيقفون عليها ثم تسوخ باهلها ويخرج المومنون الفائزون لم ينلهم ضر قالوا فهذا هو الورود قال المهدي وعن قتادة قال يرد الناس جهنم وهي سوداء مظلمة فاما المومنون فاضاءت لهم حسناتهم فنجوا منها واما الكفار فابوقبتهم سيئاتهم واحتبسوا بذنوبهم انتهى وروت حفصة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل النار احد من اهل بدر والحديبية قالت فقلت يا رسول الله واين قول الله تعالى وان منكم الاواردها فقال صلى الله عليه وسلم فمه ثم نجي الذين اتقوا ورجح الزجاج هذا القول بقوله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون (ت) وحديث حفصة هذا اخرجه مسلم وفيه افلم تسمعيه يقول ثم نجي الذين اتقوا وروى ابن المبارك في رقائقه انه لما نزلت هذه الآية وان منكم الاواردها ذهب ابن رواحة الى بيته فبكى فجاءت امرأته فبكت وجاءت الخادم فبكت وجاء اهل البيت فجعلوا يبكون فلما اقتضت عبرته قال يا اهللاه ما يبكيكم قالوا لاندرى ولكن رأيناك بكيت فبكينا فقال اية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ينشئ فيها ربي اني وارد النار ولم ينشئ اني صادر عنها فذلك الذي ابكاني انتهى وقال ابن مسعود ورودهم هو جوازهم على الصراط وذلك ان الحديث الصحيح تضمن ان الصراط مضروب على متن جهنم والحتم الامر المنفذ المجزوم والذين اتقوا مغناه اتقوا الكفر ونذر دالة على انهم كانوا فيها قال ابو عمر بن عبد البر في التمهيد بعد ان ذكر رواية جابر وابن مسعود في الورود وروي عن كعب انه تلا وان منكم الاواردها فقال اذكرون ما ورودها انه يجاء بهم فتمسك للناس كانها متن اهالة يعني الودك الذي يجمد على القدر من المرقة حتى اذا استقرت عليها اقدام

الخلائق برهم وفاجرهم نادى مناد ان خذى اصحابك وذرى اصحابى فيخسف
بكل ولي لها فلهي اعلم بهم من الوالدة بولدها وينجو المومنون ندية ثيابهم وروي
هذا المعنى عن ابي نضرة وزاد وهو معنى قوله تعالى فاستبقوا الصراط فانى
يبصرون انتهى * وقوله تعالى واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين كفروا
للذين امنوا اي الفريقين خير مقاماً الآلة هذا افتخار من كفار قريش وانه انما
انعم الله عليهم لاجل انهم على الحق بزعمهم والندي والنادى المجلس ثم رد الله
تعالى حجتهم وحقر امرهم فقال تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن هم احسن
اثاثاً ورياً اي فلم ينف ذلك عنهم شيئاً والاثاث المال العين والعرض والحيوان
وقراً نافع وغيره ورياً همزة بـمـداها ياء من رؤية العين قال البخاري ورياً منظراً وقرأ
نافع ايضاً واهل المدينة ورياً بـياء مشددة فـقـيل هي بمعنى القراءة الاولى وقيل هي
بمعنى الري في السقيا اذ اكثر النعمة من الري والمطر وقرأ ابن جبير وابن
عباس ويزيد البريري وزيا بالزاي المعجمة بمعنى الملبس واما قوله سبحانه قل من
كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا فيحتمل ان يكون بمعنى الدعاء والابتهاال
كانه يقول الاضل منا ومنكم مد الله له اي امل له حتى يـؤـل ذلك الى عذابه
ويحتمل ان يكون بمعنى الخبر انه سبحانه هذه عادته الاملاء للضالين حتى اذا رأوا
ما يوعدون اما العذاب اي في الدنيا بنصر الله للمومنين عليهم واما الساعة فيصيرون
الى النار والجند الناصرون القائمون بأمر الحرب وشرمكنا بازاء قولهم خير مقاماً
واضعف جندا بازاء قولهم احسن ندياً ولما ذكر سبحانه ضلالة الكفرة وافتخارهم
بنعم الدنيا عقب ذلك بذكر نعمة الله على المومنين في انه يزيدهم هدى في الارتباط
بالاعمال الصالحة والمعرفة بالدلائل الواضحة وقد تقدم تفسير الباقيات الصالحات
عن النبي صلى الله عليه وسلم وانها سبحانه الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
وقد قال صلى الله عليه وسلم لا بى الدرداء خذهن يا ابا الدرداء قبل ان يحال

بينك وبينهن فهن الباقيات الصالحات وهن من كنوز الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال خذوا جُنتكم قالوا يا رسول الله امن عدو حضر قال من النار قالوا ماهي يا رسول الله قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وهن الباقيات الصالحات وكان ابو الدرداء يقول اذا ذكر هذا الحديث لاهلن ولا كبرن الله ولا سبحنه حتى اذا رءانى الجاهل ظننى مجنوناً (ت) ولو ذكرنا ماورد من صحيح الاحاديث فى هذا الباب لخرجنا بالاطالة عن مقصود الكتاب * وقوله سبحانه افرأيت الذى كفر بآياتنا هو العاصى بن وائل السهيمى قاله جمهور المفسرين وكان خبره ان خباب بن الارت كان قينا فى الجاهلية فعمل له عملا واجتمع له عنده دين فجاءه يتقاضاه فقال له العاصى لا اقضيك حتى تكفر بمحمد فقال خباب لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك فقال العاصى او مبعوث انا بعد الموت فقال نعم فقال فانه اذا كان ذلك فسيكون لى مال وولد وعند ذلك اقضيك دينك فنزلت الآية فى ذلك وقال الحسن نزلت فى الوليد بن المغيرة قال (ع) وقد كانت للوليد ايضا اقوال تشبه هذا الغرض (ت) الا ان المسند الصحيح فى البخاري هو الاول * وقوله ام اتخذ عند الرحمن عهدا معناه بالايان والاعمال الصالحات (وكلا) زجر ورد وهذا المعنى لازم لكلا ثم اخبر سبحانه ان قول هذا الكافر سيكتب على معنى حفظه عليه ومعاقبته به ومد العذاب هوا طائسه وتعظيمه * وقوله سبحانه وثرته مايقول اى هذه الاشياء التى سعى انه يوتاهها فى الآخرة يرث الله ماله منها فى الدنيا باهلاكه وتركه لها فالوراثة مستعارة وقال النحاس ثرته مايقول معناه نحفظه عليه لنعاقبه به ومنه قوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء اى حفظة ما قالوا قال (ع) فكان هذا المجرم يورث هذه المقالة * وقوله ويكونون عليهم ضدا معناه يحدونهم خلاف ما كانوا املوه فى معبوداتهم فيقول ذلك بهم الى ذلة وضد ما املوه من العز وغيره وهذه صفة عامة * وتوزهم

معناه تعلقهم وتحركهم الى الكفر والضلال قال قتادة ترعجهم ازعاجا وقال ابن زيد تسليمهم اشلاء ومنه ازين القدر وهو غليانه وحركته ومنه الحديث اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته يصلى وهو يبكي ولصدره ازين كازين الرجل (ت) هذا الحديث خرجه مسلم وابو داود عن مطرف عن ابيه وقال العراقي تؤزهم اي تدفعهم انتهى * وقوله سبحانه فلا تعجل عليهم اي لا تستبطن عذابهم * وقوله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا قال (ع) وظاهر هذه الوفاة انها بعد انقضاء الحساب وانما هي النهوض الى الجنة وكذلك سوق المجرمين انما هو لدخول النار ووفدا قال المفسرون معناه ركبانا وهي عادة الوفود لانهم سراة الناس واحسنهم شكلا وانما شبههم بالوفد هيئة وكرامة وروي عن علي رضي الله عنه انهم يجيئون ركبانا على النوق المحلاة بجلية الجنة خطمها من ياقوت وزبرجد ونحو هذا وروي عمرو بن قيس الملائي انهم يركبون على تماثيل من اعمالهم الصالحة وهي في غاية الحسن وروي انه يركب كل واحد منهم مالحب فمنهم من يركب الابل ومنهم من يركب الحيل ومنهم من يركب السفن فتجىء عاتمة بهم وقد ورد في الضحايا انها مطاياكم الى الجنة واكثر هذه فيها ضعف من جهة الاسناد والسوق يتضمن هوانا والورد العطاش قاله ابن عباس وابو هريرة والحسن واختلف في الضمير في قوله لا يملكون فقالت فرقة هو عائد على المجرمين اي لا يملكون ان يشفع لهم وعلى هذا فالاستثناء منقطع اي لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يشفع له والعهد على هذا الايمان وقال ابن عباس العهد لا اله الا الله وفي الحديث يقول الله تعالى يوم القيامة من كان له عندى عهد فليقم قال (ع) ويحتمل ان يكون المجرمون يعم الكفرة والعصاة اي الامن اتخذ عند الرحمن عهدا من عصاة المؤمنين فانه يشفع لهم وبكون الاستثناء متصلا وقالت فرقة الضمير في لا يملكون للمتقين * وقوله الامن اتخذ الآية اي الامن كان

له عمل صالح مبرور فيشفع فيشفع وتحتل الآية ان يراد بمن النبي صلى الله عليه وسلم وبالشفاعة الخاصة له العامة في اهل الموقف ويكون الضمير في لا يملكون لجميع اهل الموقف الا ترى ان سائر الانبياء يتدافعون الشفاعة اذ ذاك حتى تصير اليه صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قال الباجي في سنن الصالحين له روي عن ابن مسعود انه قال ان الجبل ليقول للجبل يا فلان هل مربك اليوم ذا كر الله تعالى فان قال نعم سر به ثم قرأ عبد الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا ادا الى قوله ونخر الجبال هذا ان دعوا للرحمن ولدا قال اترونها تسمع الزور ولا تسمع الخير انتهى وهكذا رواد ابن المبارك في رقايقه وما ذكره ابن مسعود لا يقال من جهة الرأي وقد روي عن انس وغيره نحوه قال الباجي باثر الكلام المتقدم وروي جعفر بن زيد عن انس بن مالك انه قال ما من صباح ولا رواح الا وتنادى بقاع الارض بعضها بعضا اي جارة هل مربك اليوم عبد يصلي او يذكر الله فمن قالته لا ومن قالته نعم فاذا قالت نعم رأت لها فضلا بذلك انتهى * وقوله سبحانه لقد جئتم شيئا ادا الآية الاد الامر الشنيع الصعب (ت) وقال العراقي ادا اي عظيما انتهى والانفطار الانشقاق والهد الانهدام قال محمد بن كعب كاد اعداء الله ان يقيموا علينا الساعة * وقوله ان كل من في السموات الآية ان نافية بمعنى ما * وقوله فردا يتضمن عدم النصير والحول والقوة اي لا مجير له مما يريد الله به وعبرة الثلعي فردا اي وحيدا بعمله ليس معه من الدنيا شيء اه (ت) وهذه الآية تنظر الى قوله تعالى ولقد جئتمونا فرادى الآية * وقوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا ذهب اكثر المفسرين الى ان هذا الود هو القبول الذي يضعه الله لمن يجب من عباده حسبا في الحديث الصحيح المأثور وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه انها بمنزلة قول النبي صلى الله عليه وسلم من اسر سريرة البسه الله رداها (ت) والحديث المتقدم المشار اليه اصله في الموطأ

ولفظه مالك عن سهيل بن ابى صالح السمان عن ابيه عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله العبد قال لجبريل يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيجبه جبريل ثم ينادى فى اهل السماء ان الله احب فلانا فاحبوه فيجبه اهل السماء ثم يضع له القبول فى الارض واذا ابغض العبد قال مالك لا احسبه الا قال فى البغض مثل ذلك قال ابو عمر بن عبد البر فى التمهيد وممن روى هذا الحديث عن سهيل باسناده هذا فذكر البغض من غير شك معمر وعبد العزيز بن المختار وحماة بن سلمة قالوا فى اخره واذا ابغض بمثل ذلك ولم يشكوا قال ابو عمر وقد قال المفسرون فى قوله تعالى سيجعل لهم الرحمن ودا يحبهم ويحببهم الى الناس وقاله مجاهد وابن عباس ثم اسند ابو عمر عن كعب انه قال والله ما استقر لعبد ثناء فى اهل الدنيا حتى يستقر له فى اهل السماء قال كعب وقرأت فى التوراة انه لم تكن محبة لاحد من اهل الارض الا كان بدأها من الله عز وجل ينزلها على اهل السماء ثم ينزلها على اهل الارض ثم قرأت القرآن فوجدت فيه ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا واسند ابو عمر عن قتادة قال قال هرم بن حيان ما قبل عبد بقلبه الى الله تعالى الا قبل الله بقلوب اهل الايمان عليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم انتهى قال ابن المبارك فى رقايقه اخبرنا سليمان بن المغيرة عن ثابت قال قيل يا رسول الله من اهل الجنة قال من لا يموت حتى يملأ الله سمعه مما يحب قال فقيل يا رسول الله من اهل النار قال من لا يموت حتى يملأ الله سمعه مما يكره انتهى قال (ع) وفى حديث ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله فى السماء صيت فان كان حسنا وضع فى الارض حسنا وان كان سيئا وضع فى الارض سيئا (ت) وهذا الحديث خرجه ابو داود فى كتاب الزهد * وقوله تعالى فانما يسرناه بلسانك اى القرآن ان تبشر به المتقين اى بالجنة والنعيم الدائم والعز فى

الدنيا * وقومًا لدا هم قريش ومعناه مجادلين مخاصمين والالاء المخاصم المبالغ في ذلك ثم مثل لهم باهلاك من قبلهم اذ كانوا اشد منهم وألد واعظم قدرا والركز الصوت الخفي



تفسير سورة طه وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

* قوله سبحانه وتعالى طه ما ازلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسماء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه يارجل بالسريانية وقيل بغيرها من لغات العجم قال البخاري قال ابن جبير طه يارجل بالنبطية انتهى وقيل انها لغة يمانية في عك وانشد الطبري في ذلك دعوت بطاها في القتال فلم يجب * فخفضت عليه ان يكون موائلا وقال اخر

ان السفاهة طاهها من خلأئقكم * لا بارك الله في القوم الملاعين وقالت فرقة من العلماء سبب نزول هذه الآية ان قريشا لما نظرت الى عيش النبي صلى الله عليه وسلم وشظفه وكثرة عبادته قالت ان محمدا مع ربه في شقاء فنزلت الآية رادة عليهم واسند عياض في الشفا من طريق ابى ذر الهروي عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فاتل الله طه يعنى طاه الارض يا محمد ما ازلنا عليك القرآن لتشقى

ولا خفاء بما في هذا كله من الاكرام له صلى الله عليه وسلم وحسن المعاملة انتهى قال (ص) لتشقى الا تذكرة علتان لقوله ما اترلنا انتهى وقد تقدم القول في مسألة الاستواء وباقي الآية بين قال ابن هشام قوله تعالى وان تجهر بالقول اي فاعلم انه غني عن جهرك فانه يعلم السر واخفى فالجواب محذوف انتهى * وقوله سبحانه وهل اتاك حديث موسى اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا في انست نارا لعلي اتيكم منها بقبس او اجد على النار هدى هذا الاستفهام توقيف مضمونه تنبيه النفس الى استماع ما يورد عليها وهذا كما تبدأ الرجل اذا اردت اخباره بامر غريب فتقول اعلمت كذا وكذا ثم تبدأ تجربته وكان من قصة موسى عليه السلام انه رحل من مدين باهله بنت شعيب عليه السلام وهو يريد ارض مصر وقد طالت مدة جنايته هنالك فرجا خفاء امره وكان فيما يزعمون رجلا غيورا فكان يسير الليل باهله ولا يسير بالنهار مخافة كشفه الناس فضل عن طريقه في ليلة مظلمة فبينما هو كذلك وقد قدح بزنده فلم يور شيئا اذ رأى نارا فقال لاهله امكثوا اي اقيموا وذهب هو الى النار فاذا هي مضطربة في شجرة خضراء يانعة قيل كانت من غناب وقيل من عوسج وقيل من علق فكلما دنا منها تباعدت منه ومشت فاذا رجع عنها اتبعته فلما رأى ذلك ايقن ان هذا من امور الله الخارقة للعادة ونودي وانقضى امره كله في تلك الليلة هذا قول الجمهور وهو الحق وما حكى عن ابن عباس انه قال اقام في ذلك الامر حولا فقير صحيح عن ابن عباس و انست معناه احسست والقبس الجذوة من النار تكون على رأس العود والهدى اراد هدى الطريق اي لعلي اجد مرشدا لي او دليلا وفي قصة موسى باسرها في هذه السورة تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عما لقي في تبليغه من المشقات صلى الله عليه وسلم والضمير في قوله اتاها عائد على النار * وقوله نودي كناية عن تكليم الله تعالى

له عليه السلام وقرأ نافع وغيره اني بكسر الهمزة على الابتداء وقرأ ابو عمرو وابن كثير اني بفتحها على معنى لاجل اني انا ربك فاخلع نعليك واختلف في السبب الذي من اجله امر بخلع النعلين فقالت فرقة كانتا من جلد حمار ميت فامر بطرح النجاسة وقالت فرقة بل كانت نعلاه من جلد بقرة ذكي لكن امر بخلعهما لينال بركة الوادى المقدس وتمس قدماه تربة الوادى قال (ع) وتحتل الآلة معنى آخر هو الاليق بها عندى وهو ان الله تعالى امره ان يتأدب ويتواضع لعظم الحال التى حصل فيها والعرف عند الملوك ان تخلع النعلان ويبلغ الانسان الى غاية تواضعه فكان موسى عليه السلام امر بذلك على هذا الوجه ولا نبالى كيف كانت نعلاه من ميتة او غيرها والمقدس معناه المطهر وطوى معناه مرتين فقالت فرقة معناه قدس مرتين وقالت فرقة معناه طويت لك الارض مرتين من ظنك قال الفخر وقيل ان طوى اسم واد بالشام وهو عند الطور الذى اقسم الله به فى القرآن وقيل ان طوى بمعنى يا رجل بالعبراية كانه قيل يا رجل اذهب الى فرعون انتهى من تفسيره لسورة والنازعات قال (ع) وحدثني ابي رحمه الله قال سمعت ابا الفضل ابن الجوهري رحمه الله تعالى يقول لما قيل لموسى استمع لما يوحى وقف على حجر واستند الى حجر ووضع يمينه على شماله والقي ذقنه على صدره ووقف يستمع وكان كل لباسه صوفا * وقوله تعالى واقم الصلوة لذكرى يحتمل ان يريد لتذكرنى فيها او يريد لاذكرك فى عليين بها فالمصدر محتمل الاضافة الى الفاعل او المفعول وقالت فرقة معنى قوله لذكرى اي عند ذكرى اي اذا ذكرتني وامرى لك بها (ت) وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها فان ذلك وقتها قال الله تعالى اقم الصلوة لذكرى انتهى فقد بين لك صلى الله عليه وسلم ما تحتمله الآية والله الموفق بفضلته وهكذا استدل ابن العربي هنا بالحديث ولفظه وقد روى مالك

وغيره ان النبي صلى عليه وسلم قال من نام عن صلاة او نسيها فليصلها اذا
 ذكرها فان الله تعالى يقول اقم الصلوة لذكرى انتهى من الاحكام وقرأت فرقة
 للذكرى وقرأت فرقة للذكر وقرأت فرقة للذكرى بغير تعريف * وقوله
 تعالى ان الساعة يريد القيامة آتية فيه تحذير ووعيد وقرأ ابن كثير وعاصم
 اكاد اخفيها بفتح الهززة بمعنى اظهرها اي انها من يقن وقوعها تكاد تظهر
 لكن تنحجب الى الاجل المعلوم والعرب تقول خفيت الشيء بمعنى اظهرته
 وقرأ الجمهور اخفيها بضم الهززة فقليل معناه اظهرها وزعموا ان اخفيت من
 الاضداد وقالت فرقة اكاد بمعنى اريد اي اريد اخفاءها عنكم لتجزى كل
 نفس بما تسعى واستشهدوا بقول الشاعر * كادت وكدت وتلك خير ارادة *
 وقالت فرقة اكاد على بابها بمعنى انها مقاربة ما لم يقع لكن الكلام جار على
 استعارة العرب ومجازها فلما كانت الآية عبارة عن شدة خفاء امر القيامة ووقتها
 وكان القطع باتيانها مع جهل الوقت اهيب على النفوس بالغ سبحانه في
 ابهام وقتها فقال اكاد اخفيها حتى لا تظهر البتة ولكن ذلك لا يقع ولا بد
 من ظهورها وهذا التاويل هو الاقوى عندي * وقوله سبحانه فلا يصدنك
 عنها اي عن الايمان بالساعة ويحتمل عود الضمير على الصلاة * وقوله
 فتردى معناه قتهلك والردى الهلاك وهذا الخطاب كله لموسى عليه السلام
 وكذلك ما بعده وقال النقاش الخطاب بلا يصدنك لنبينا محمد صلى الله عليه
 وسلم وهذا بعيد * وقوله سبحانه وما تلك بيمينك يا موسى تقرير مضمونه
 التنبيه وجمع النفس لتلقى ما يورد عليها والافقد علم سبحانه ما هي في
 الازل قال ابن العربي في احكامه واجاب موسى عليه السلام بقوله هي عصاي
 الآية باكثر مما وقع السؤال عنه وهذا كقوله صلى عليه وسلم هو الطهور ماؤه الحل
 ميتته لمن سأله عن طهورية ماء البحر انتهت (ت) والمستحسن من الجواب

ان يكون مطابقا للسؤال او اعم منه كما في الآية والحديث اما كونه اخص منه فلا انتهى * واهش معناه اخبط بها الشجر حتى ينتثر الورق للغنم وعصا موسى عليه السلام هي التي كان اخذها من بيت عبي الانبياء عليهم السلام الذي كان عند شعيب عليه السلام حين اتفقا على الرعي وكانت عصا ادم عليه السلام هبط بها من الجنة وكانت من العير الذي في ورق الريحان وهو الجسم المستطيل في وسطها ولما اراد الله سبحانه تدريب موسى في تلقى النبوة وتكاليفها امره بالقاء العصا فالتقاها فاذا هي حية تسمى اي تنتقل وتمشي وكانت عصا ذات شعبتين فصارت الشعبتان فما يلتقم الحجارة فلما رآها موسى رأى عبرة فولى مدبرا ولم يعقب فقال الله تعالى له خذها ولا تخف فاخذها بيده فصارت عصا كما كانت اول مرة وهي سيرتها الاولى واضم يده الى جناحك اي جنبك قال (ع) وكل مرعوب من ظلمة ونحوها فانه اذا ضم يده الى جناحه فترعبه وربط جاشه فجمع الله سبحانه لموسى عليه السلام تفتير الرعب مع الآية في اليد وروي ان يد موسى خرجت بيضاء تشف وتضيء كأنها شمس من غير سوء اي من غير برص ولا مثله بل هو امر ينحسر ويعود بحكم الحاجة اليه ولما امره الله تعالى بالذهاب الى فرعون علم انها الرسالة وفهم قدر التكليف فدعا الله في المعونة اذ لا حول له الا به * واشرح لي صدرى معناه لفهم ما يرد علي من الامور والعقدة التي دعا في حلها هي التي اعترته بالجمره في فيه حين جربه فرعون وروي في ذلك ان فرعون اراد قتل موسى وهو طفل حين مديده عليه السلام الى حية فرعون فقالت له امراته انه لا يعقل فقال بل هو يعقل وهو عدوى فقالت له نجربه فقال لها افعل فدعا بجمرات من النار وبطبق فيه ياقوت فقالا ان اخذ الياقوت علمنا انه يعقل وان اخذ النار عذرناه فد موسى يده الى جمره

فاخذها فلم تعد على يده فجعلها في فيه فاحرقته واورثت لسانه عقدة وموسى عليه السلام انما طلب من حل العقدة قدرا يفقه معه قوله فجائز ان تكون تلك العقدة قد زالت كلها وجائز ان يكون قد بقي منها القليل فيجتمع ان يوتى هو سؤله وان يقول فرعون ولا يكاد يبين ولو فرضنا زوال العقدة جملة لكان قول فرعون سبا لموسى بحالته القديمة والوزير المعين القائم بوزر الامور وهو ثقلها فيحتمل الكلام ان طلب الوزير من اهله على الجملة ثم ابدل هرون من الوزير المطلوب ويحتمل ان يريد واجعل هرون وزيرا فيكون مفعولا اولالا جعل وكان هرون عليه السلام اكبر من موسى عليه السلام باربعة سنين والازر الظاهر قاله ابو عبيدة * وقوله كثيرا نعمت لمصدر محذوف اي تسبيحا كثيرا * وقوله سبحانه ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا الى امك ما يوحى قيل هو وحي الهام وقيل بملك وقيل برؤيا رأتها وكان من قصة موسى عليه السلام فيما روي ان فرعون ذكر له ان خراب ملكه يكون على يد غلام من بنى اسرائيل فامر بقتل كل مولود يولد لبنى اسرائيل ثم انه رأى مع اهل مملكته ان فناء بنى اسرائيل يعود على القبط بالضرر اذ هم كانوا عملة الارض والصناع ونحو هذا فعزم على ان يقتل الولدان سنة ويستحييهم سنة فولد هرون عليه السلام في سنة الاستحياء ثم ولد موسى عليه السلام في العام الرابع سنة القتل فخافت عليه امه فاوحى الله اليها ان اقدفيه في التابوت فاخذت تابوتا فقذفت فيه موسى راقدًا في فراش ثم قذفته في يم النيل وكان فرعون جالسا في موضع يشرف منه على النيل اذ رأى التابوت فامر به فسيق اليه وامراته معه ففتح فراؤه فرحمته امراته وطلبته لتخذه ابنا فاباح لها ذلك ثم انسها عرضته للرضاع فلم يقبل امرأة فجملت تنادى عليه في المدينة ويطاف به يعرض للمراضع فكلما عرضت عليه امرأة اباهها وكانت امه قالت لاخته

قصيه فبصرت به وفهمت امره فقالت لهم انا ادلكم على اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فتعلقوا بها وقالوا انت تعرفين هذا الصبي فانكرت وقالت لا غير اني اعلم من اهل هذا البيت الحرص على التقرب الى الملكة والجد في خدمتها ورضاها فتركوها وسألوها الدلالة فجاءت بام موسى فلما قربته شرب ثديها فسرت بذلك اسية امرأة فرعون رضي الله عنها وقالت لها كوني معي في القصر فقالت لها ما كنت لأدع بيتي وولدي ولكنه يكون عندي فقالت نعم فاحسنت الى اهل ذلك البيت غاية الاحسان واعتز بنو اسرائيل بهذا الرضاع والسبب من الملكة واقام موسى عليه السلام حتى كمل رضاعه فارسلت اليها اسية ان جئني بولدي ليوم كذا وامرت خدماها ومن معها ان يلقينه بالتحف والهدايا واللباس فوصل اليها على ذلك وهو نجير حال واجمل شباب فسرت به ودخلت به على فرعون ليراه ويهب له فراه واعجبه وقربه فاخذ موسى عليه السلام بلحية فرعون وجيدها فاستشاط فرعون وقال هذا عدولي وامر بذبحه فناشدته فيه امرأته وقالت انه لا يعقل فقال فرعون بل يعقل فاتققا على تجربيه بالجمرة والياقوت حسب ما تقدم فجاءه الله من فرعون ورجع الى امه فشب عندها فاعتز به بنو اسرائيل الى ان ترعرع وكان فتى جلدا فاضلا كاملا فاعتزت به بنو اسرائيل بظاهر ذلك الرضاع وكان يحميمهم ويكون ضلعه معهم وهو يعلم من نفسه انه منهم ومن صميمهم فكانت بصيرته في حمايتهم اكدية وكان يعرف ذلك اعيان بني اسرائيل ثم وقعت له قصة القبطي المقاتل مع الاسرائيلي على ماسياتي ان شاء الله تعالى وعدد الله سبحانه على موسى في هذه الآية ما تضمنته هذه القصة من لطفه سبحانه به في كل فصل وتخليصه من قصة الى اخرى وهذه الفتون التي فتنه بها اي اختبره بها وخلصه حتى صلح للنبوۃ وسلم لها * وقوله ما يوحى ايهام يتضمن عظم الامر وجلالته

وهذا كقوله تعالى اذ ينشى السدرة ما ينشى فاوحى الى عبده ما وحي وهو كثير في القرآن والكلام الفصيح * وقوله فليقله اليم بالساحل خبر خرج في صيغة الامر مبالغة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم قوموا فلاصل لكم فاخرج الخبر في صيغة الامر لنفسه مبالغة وهذا كثير والمراد بالعدو في الآية فرعون ثم اخبر تعالى موسى عليه السلام انه التى عليه محبة منه قالت فرقة اذاد القبول الذى يضعه الله فى الارض لخير عبادہ وكان حظ موسى منه فى غاية الوفرة وهذا اقوى ما قيل هنا من الاقوال وقرأ الجمهور ولتصنع بكسر اللام وضم التاء على معنى ولتغذى وتطعم وتربى * وقوله على عيني معناه بمرأى منى * وقوله على قدر اى لميقات محدود للنبوۃ التى قد ارادها الله تعالى واصطنعتك معناه جعلتك موضع الصنيعة ومقر الاجال والاحسان * وقوله لنفسى اضافة تشريف وهذا كما تقول بيت الله ونحوه والصيام لى وعبر بالنفس عن شدة القرب وقوة الاختصاص * وقوله تعالى ولا تنيا فى ذكرى معناه لا تبطلنا وتضعنا تقول ونى فلان فى كذا اذا تباطأ فيه عن ضعف والونى الكلال والفشل فى البهائم والانس وفى مصحف ابن مسعود ولا تهنا فى ذكرى معناه لا تلينا من قولك هين لىن فقولاً له قولاً لينا اى حسناً له الكلمة مع اكمال الدعوة قال ابن العربي فى احكامه وفى الآية دليل على جواز الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باللين لمن معه القوة وفى الاسراء يليات ان موسى عليه السلام اقام بباب فرعون سنة لا يجرد من يبلغ كلامه حتى لقيه حين خرج فجرى له ما قص الله تعالى علينا من خبره وكان ذلك تسلياً لمن جاء بعده من المؤمنين فى سيرتهم مع الظالمين انتهى وقولها اننا نخاف ان يفرط معناه يمجىل ويتسرع اليها بمكرهه * وقوله عز وجل اننى معكما اى بالنصر والمعونة * وقوله تعالى فاتاه فقولاً انا رسولا ربك فارسل معنا بنى اسراييل ولا تعذبهم الآية جملة ما دعي

اليه فرعون الايمان وارسال بنى اسرائيل واما تعذيبه بنى اسرائيل فبذبح اولادهم وتسخيرهم واذلالهم * وقولهما والسلام على من اتبع الهدى يحتمل ان يكون اخر كلام فيقوى ان يكون السلام بمعنى التحية كأنهما رغبيا بها عنه وجريا على العرف في التسليم عند الفراغ من القول ويحتمل ان يكون في درج القول فيكون خبرا بان السلامة للمهتدين وبهذين المعنيين قالت كل فرقة من العلماء * وقوله سبحانه اعطى كل شيء خلقه قالت فرقة المعنى اعطى كل موجود من مخلوقاته خلقته وصورته اي اكمل ذلك له واتقنه ثم هدى اي يسر كل شيء لمنافعه وهذا احسن ما قيل هنا واشرف معنى واعم في الموجودات وقول فرعون فما بال القرون الاولى يحتمل ان يريد ما بال القرون الاولى لم تبث لها ولم يوجد امرك عندها ويحتمل ان يريد فرعون قطع الكلام والرجوع الى سؤال موسى عن حالة من سلف من الامم روغانا في الحجة وحيدة وقيل البال الحال فكانه سأله عن حالهم وقول موسى علمها عند ربى فى كتاب يريد فى اللوح المحفوظ ولا يضل معناه لا يتلف ويعمه والازواج هنا بمعنى الانواع * وقوله شتى نعت للازواج اي مختلفة * وقوله كلوا وارعوا بمعنى هي صالحة لكل والرعى فاخرج العبارة فى صيغة الامر لانه ارجى الافعال واهزها للنفوس والنهى جمع نهية والنهية العقل الناهى عن القبائح * وقوله سبحانه منها خلقناكم يريد من الارض وفيها نميدكم اي بالموت والدفن ومنها نخرجكم اي بالبعث ليوم القيامة * وقوله ولقد ارينا آياتنا اخبار لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم * وقوله كلها عائد على الآيات التى رواها فرعون لانه رأى كل آية لله عز وجل وانما المعنى ان الله اراه آيات ما كاليد والمصا والطمسة وغير ذلك وكانت رؤيته لهذه الآيات مستوعبة يرى الآيات كلها كاملة ومعنى سوى اي عدلا ونصفه اي حالنا فيه

مستوبة وقالت فرقة معناه مستويا من الارض لاوهد فيه ولا نشز فقال
 موسى موعدكم يوم الزينة وروي ان يوم الزينة كان عيداً لهم ويوما مشهورا
 وقيل هو يوم كسر الخليج الباقي الى اليوم * وقوله وان يحشر الناس عطفاً على
 الزينة فهو في موضع خفض * فتولى فرعون لجمع كيدته اي جمع السحرة
 وامرهم بالاستعداد لموسى فهذا هو كيدته * ثم اتى فرعون يجمعه فقال
 موسى للسحرة ويلكم لا تفترؤا على الله كذبا وهذه مخاطبة محذرة وندبهم في
 هذه الآية الى قول الحق اذا راوه وان لا يباهتوا بكذب فيسحتكم اي
 فيهلككم ويذهبكم فلما سمع السحرة هذه المقالة هالهم هذا المنزع ووقع في
 نفوسهم من هيئته شديد الموقع وتنازعوا امرهم والتنازع يقتضى اختلافا
 كان بينهم في السرفقائل منهم يقول هو محق وقائل يقول هو مبطل ومعلوم
 ان جميع تناجيهم انما كان في امر موسى عليه السلام والنجوى المسارة اي كل
 واحد يناجى من يليه سرا مخافة من فرعون ان يتبين له فيهم ضعف وقالت
 فرقة انما كان تناجيهم بالآية التي بعد هذا * ان هذان لساحران قرأ نافع
 وابن عامر وحمة والكسائي ان هذان لساحران فقالت فرقة قوله ان
 بمعنى نعم كما قال صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله برفع الحمد وقالت فرقة
 ان هذه القراءة على لغة بلحارث بن كعب وهي ابقاء الف التثنية
 في حال النصب والخفض وتعزى هذه اللغة لكنانة وتعزى لحثعم وقال الزجاج
 في الكلام ضمير تقديره انه هذان لساحران وقرأ ابو عمرو وحده ان هذين
 لساحران وقرأ ابن كثير ان هذان لساحران بتخفيف ان وتشديد نون
 هذان لساحران وقرأ حفص عن عاصم ان بالتخفيف هذان خفيفة ايضا
 لساحران وعبر كثير من المفسرين عن الطريقة بالسادة اهل العقل
 والحجا وحكوا ان العرب تقول فلان طريقة قومه اي سيدهم والاظهر في

الطريقة هنا السيرة والملكة والحال التي كانوا عليها والمثلث تانيث امثل اي الفاضلة الحسنة وقرأ جمهور القراء فاجمعوا بقطع الهزمة وكسر الميم على معنى انفذوا واعزموا وقرأ ابو عمرو وحده فاجمعوا من جمع اي ضموا سحركم بعضه الى بعض * وقوله صفا اي مصطفىين وتداعوا الى هذا لانه اهيـب واطهر لهم وافلح معناه ظفر ببغيته وباقي الآية بين مما تقدم * وقوله فاوجس عبارة عما يعتري نفس الانسان اذا وقع ظنه في امر على شئ يسوءه وعبر المفسرون عن اوجس باضمر وهذه العبارة اعم من الوجيس بكثير * انك انت الاعلى اي الغالب وروي في قصص هذه الآية ان فرعون لعنه الله جلس في علية له طولها ثمانون ذراعا والناس تحته في بسيط وجاء سبعون الف ساحر فالتقوا من جبالهم وعصيتهم ما فيه وقر ثلاث مائة بعير فبال الامر ثم ان موسى عليه السلام التقى عصاه من يده فاستحالت ثعبانا وجعلت تنمو حتى روي انها عبرت النهر بذنبيها وقيل البحر وفرعون في هذا كله يضحك ويرى ان الاستواء حاصل ثم اقبلت تاكل الحبال والعصي حتى افنتها ثم فغرت فاها نحو فرعون ففرع عند ذلك واستغاث بموسى فمد موسى يده اليها فرجعت عصا كما كانت فنظر السحرة وعلموا الحق وراوا عدم الحبال والعصي فايقنوا ان الامر من الله عز وجل فناموا رضي الله عنهم * وقوله سبحانه فالتقي السحرة سجدا قالوا انا رب هارون وموسى قال امنتم له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلا تقطن ايديكم وارجلكم من خلاف ولا تصلبنكم في جذوع النخل قال (ص) في على بابها وقيل بمعنى على (ت) والاول اصوب * وتعلمن اينا قوله اينا يريد نفسه ورب موسى عليه السلام وقال الطبري يريد نفسه وموسى والاول اذهب مع مخركة فرعون وباقي الآية بين ثم قال السحرة لفرعون لن نوثرك اي لن نفضلك ونفضل السلامة منك على مارأينا من حجة الله تعالى وَايَاتِهِ

وعلى الذى فطرنا هذا على قول جماعة ان الواو فى قوله والذى عاطفة وقالت فرقة هي واو القسم وفطرنا لى خلقنا واخترعنا فافعل يافرعون ماشئت وانما قضاؤك فى هذه الحياة الدنيا والآخرة من وراء ذلك لنا بالنعيم ولك بالمعذاب الاليم وهؤلاء السحرة اختلف الناس هل نفذ فيهم وعيد فرعون ام لا والامر فى ذلك محتمل وقولهم والله خير وابقى رد لقول فرعون اينا اشد عذابا وابقى * وقوله عز وجل انه من يات ربه مجرما فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى الآية قالت فرقة هذه الآية يجملتها من كلام السحرة لفرعون على جهة الموعظة له والبيان فيما فعلوه وقالت فرقة بل هي من كلام الله عز وجل لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم تنبئها على قبج مافعل فرعون وحسن مافعل السحرة وموعظة وتحذيرا قد تضمنت القصة المذكورة مثاله * وقوله لا يموت فيها ولا يحيى مختص بالكافرين معذب عذابا ينتهى به الى الموت ثم لا يجيز عليه فيستريح بل يعاد جلده ويجدد عذابه واما من يدخل النار من المؤمنين بالمعاصى فهم قبل ان تخرجهم الشفاعة فى غمرة قد قاربوا الموت الا انهم لا يجيز عليهم ولا يجدد عذابهم فهذا فرق ما بينهم وبين الكفار وفى الحديث الصحيح انهم يمائون فيها اماتة وهذا هو معناها لانه لاموت فى الآخرة وتركى معناه اطاع الله واخذ بازكى الامور * وقوله سبحانه ولقد اوحينا الى موسى هذا استيناف اخبار عن شيء من امر موسى وباقي الآية بين وقد تقدم ذكر ما يخصها من القصص * وقوله تعالى لا تخاف دركا اي من فرعون وجنوده ولا تخشى غرقا من البحر * وقوله ما غشيهم ابهام اهل من النص وهذا كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى * واضل فرعون قومه يريد من اول امره الى هذه النهاية وما هدى مقابل لقوله وما اهديكم الاسبيل الرشاد * وقوله عز وجل يا بنى اسرائيل قد انجيناكم الآية ظاهر هذه الآية ان هذا

القول قيل لبنى اسرائيل حينئذ عند حلول النعم التي عددها الله عليهم ويحتمل ان تكون هذه المقالة خوطب بها معاصرو النبي صلى الله عليه وسلم والمعنى هذا فعلنا باسلافكم وتكون الآية على هذا اعتراضا في اثناء قصة موسى والقصد به توبيخ هؤلاء الحضور اذ لم يصبر سلفهم على اداء شكر نعم الله تعالى والمعنى الاول اظهر وايين * وقوله سبحانه وواعدناكم جانب الطور الايمن الآية وقصص هذه الآية ان الله تعالى لما انجى بنى اسرائيل وغرق فرعون وعد بنى اسرائيل ان يسيرا الى جانب طور سيناء ليكلم فيه موسى ويتاجيه بما فيه صلاحهم فلما اخذوا في السير تعجل موسى عليه السلام ابتغاء مرضاة ربه حسبما ياتي بعد وقرأ جمهور الناس فيحل بكسر الحاء ويحلل بكسر اللام وقرأ الكسائي وحده بضمهما ومعنى الاول فيجب ويحق ومعنى الثاني فيقع وينزل وهوى معناه سقط اي هوى في جهنم وفي سخط الله عافانا الله من ذلك ثم رجي سبحانه عبادته بقوله واني لفغار لمن تاب الآية والتوبة من ذنب تصح مع الإقامة على غيره وهي توبة مقيدة واذا تاب العبد ثم عاود الذنب بعينه بعد مدة فيحتمل عند حذاق اهل السنة ان لا يعيد الله تعالى عليه الذنب الاول لان التوبة قد كانت تحته ويحتمل ان يعيده لانها توبة لم يوف بها واضطرب الناس في قوله سبحانه ثم اهتدى من حيث وجدوا الهدى ضمن الايمان والعمل فقالت فرقة ثم لزم الاسلام حتى يموت عليه وقيل غير هذا والذي يقوى في معنى ثم اهتدى ان يكون ثم حفظ معتقداته من ان تخالف الحق في شيء من الاشياء فان الاهتداء على هذا الوجه غير الايمان وغير العمل ورب مومن عمل صالحا قد اوبقه عدم الاهتداء كالقدريّة والمرجئة وسائر اهل البدع فمعنى ثم اهتدى ثم مشى في عقائد الشرع على طريق قويم جعلنا الله منهم بمنه وفي حفظ المعتقدات ينحصر

معظم امر الشرع * وقوله سبحانه وما اعجلك عن قومك يا موسى الآية وقصص هذه الآية ان موسى عليه السلام لما شرع في النهوض ببني اسرائيل الى جانب الطور حيث كان الموعد ان يكلم الله موسى بهالم فيه شرف العاجل والآجل رأى موسى عليه السلام على جهة الاجتهاد ان يتقدم وحده مبادرا لامر الله سبحانه طلبا لرضائه وحرصا على القرب منه وشوقا الى مناجاته واستخلف عليهم هارون وقال لهم موسى تسرون الى جانب الطور فلما انتهى موسى الى الله عليه وسلم وناجى ربه زاده الله في الاجل عشرا وحينئذ وقفه على معنى استعجاله دون القوم ليخبره موسى انهم على الاثر فيقع الاعلام له بما صنعوا واعلمه موسى انه انما استعجل طلب الرضى فاعلمه الله سبحانه انه قد قتن بنى اسرائيل اي اختبرهم بما صنع السامري ويحتمل ان يريد القيناهم في فتنة فلما اخبر الله تعالى موسى بما وقع رجع موسى الى قومه غضبان اسفا وباقي الآية بين وقد تقدم قصصها مستوفى وسمى العذاب غضبا من حيث هو عن الغضب وقرأ نافع وعاصم بملكننا بفتح الميم وقرأ حمزة والكسائي بملكننا بضمة وقرأ ابن كثير وابوعمر و ابن عامر بملكننا بكسرة فاما فتح الميم فهو مصدر من ملك والمعنى ما فعلنا ذلك بانا ملكننا الصواب ولا وفقنا له بل غلبتنا انفسنا واما كسر الميم فقد كثر استعماله فيما تحوزه اليد ولكنه يستعمل في الامور التي يبرمها الانسان ومعناها كمنى التي قبلها والمصدر مضاف في الوجين الى الفاعل وقولهم ولكننا حملنا اوزارا الآية سموها اوزارا من حيث هي ثقيلة الاجرام او من حيث تأثروا في قذفها وقرأ ابوعمر و حمزة والكسائي حملنا بفتح الحاء والميم وقولهم فكذلك اي فكما قذفنا نحن فكذلك ايضا القى السامري قال (ع) وهذه الالفاظ تقتضى ان العجل لم يصنعه السامري ثم اخبر تعالى عن فعل السامري بقوله فاخرج لهم عجلا

ومعنى قوله جسدا اي شخصا لاروح فيه وقيل معناه جسدا لا يتغذى والحوار صوت البقر قالت فرقة منهم ابن عباس كان هذا العجل يخور ويمشي وقيل غير هذا * وقوله سبحانه فقالوا يعنى بنى اسرائيل هذا الحكم واله موسى فنسي موسى الهه وذهب يطلبه فى غير موضعه ويحتمل ان يكون قوله فنسي اخبارا من الله تعالى عن السامري اي فنسي السامري دينه وطريق الحق فالنسيان فى التاويل الاول بمعنى الذهول وفى الثانى بمعنى الترك (ت) وعلى التاويل الاول عول البخاري وهو الظاهر ولقولهم ايضا قبل ذلك اجعل لنا الها وقول هارون فاتبعونى اي الى الطور الذى واعدكم الله تعالى اليه واطيعوا امرى فيما ذكرته لكم فقال بنو اسرائيل حين وعظهم هارون وندبهم الى الحق لن نبرح عابدين لهذا الاله عاكفين عليه اي ملازمين له ويحتمل قوله الاتبعنى اي بنى اسرائيل نحو جبل الطور ويحتمل قوله الاتبعنى اي الاتسير بسيرى وعلى طريقتى فى الاصلاح والتسديد * وقوله ينبؤم قالت فرقة ان هارون لم يكن اخا موسى الامن امه قال (ع) وهذا ضعيف وقالت فرقة كان شقيقه وانما دعاه بالام استعطافا برحم الام يقول موسى ما خطبك يا سامري هو كما تقول ما شأنك وما امر لك لكن لفظة الخطب تقتضى انتهارا لان الخطب مستعمل فى المكاره وبصرت بضم الصاد من البصيرة وقرأت فرقة بكسر ها فيحتمل ان يراد من البصيرة ويحتمل من البصر وقرأ حمزة والكسائي بما لم تبصروا بالتاء من فوق يريد موسى مع بنى اسرائيل والرسول هنا هو جبريل عليه السلام والاثر هو تراب تحت حافر فرسه * وقوله فبذلتها اي على الحلي فكان منها ما ترى وكذلك سولت لى نفسى اي وكما وقع وحدث قربت لى نفسى وجعلت لى سؤلا واربا حتى فعلته وكان موسى عليه السلام لا يقتل بنى اسرائيل الا فى حد او بوجي فعاقبه باجتهاد نفسه بان ابعده ونجاه عن الناس وامر بنى

اسرايل باجتنابه واجتناب قبيلته وان لا يواكلوا ولا يناكحوا ونحو هذا وجعل له ان يقول مدة حياته لامساس اي لامماسه ولا اذابة وقرأ الجمهور لن تخلفه بفتح اللام اي لن يقع فيه خلف وقرأ ابن كثير وابو عمرو تخلفه بكسر اللام على معنى لن تستطيع الروغان والحيدة عن موعد العذاب ثم ونجته عليه السلام بقوله وانظر الى الهك الآية وظلت وظل معناه اقام يفعل الشيء نهارا ولكنها قد تسعمل في الدائب ليلا ونهارا بمثابة طفق وقرأ ابن عباس وغيره لنحرقنه بضم الراء وفتح النون بمعنى لتبرذه بالمبرد وقرأ نافع وغيره لنحرقنه وهي قراءة تحتمل الحرق بالنار وتحتمل بالمبرد وفي مصحف ابن مسعود لنذبحنه ثم لنحرقنه ثم لنسفته وهذه القراءة هي مع رواية من روى ان العجل صار لحما ودما وعلى هذه الرواية يتركب ان يكون هناك حرق بنار والا فاذا كان جمادا من ذهب ونحوه فالما هو حرق بمبرد اللهم الا ان تكون اذابة ويكون النسف مستعارا لتفريقه في اليم مذابا وقرأت فرقة لنسفته بكسر السين وقرأت فرقة بضمها والنسف تفريق الريح الغبار وكل ما هو مثله كتفريق الغبار ونحوه فهو نسف واليم غمر الماء من بحر او نهر وكل ما غمر الانسان من الماء فهو يم والسلام في قوله لنحرقنه لام قسم وقال مكي رحمه الله تعالى واسند ان موسى عليه السلام كان مع السبعين في المناجات وحينئذ وقع امر العجل وان الله تعالى اعلم موسى بذلك فكتمه موسى عنهم وجاء بهم حتى سمعوا لفظ بني اسرايل حول العجل فحينئذ اعلمهم قال (ع) وهذه رواية ضعيفة والجمهور على خلافها وانما نعجل موسى عليه السلام وحده فوقع امر العجل ثم جاء موسى وضع ماصع بالعجل ثم خرج بعد ذلك بالسبعين على معنى الشفاعة في ذنب بني اسرايل وان يطلعهم ايضا على امر المناجات فكان لموسى عليه السلام نهضتان والله اعلم * وقوله سبحانه كذلك نقص عليك مخاطبة لبينا محمد

صلى الله عليه وسلم اي كما قصصنا عليك نبأ بني اسرائيل كذلك نقص عليك من
 انباء ما قد سبق مدتك والذكر القران * وقوله من اعرض عنه يريد بالكفر به
 وزرقا قالت فرقة معناه يحشرون اول قيامهم سود الالوان زرق العيون فهو
 تشويه ثم يعمون بعد ذلك وهي موطن وقالت فرقة اراد زرق الالوان وهي غاية
 في التشويه لانهم يحشون كلون الرماد ومهيع في كلام العرب ان يسمى هذا
 اللون ازرق يتخافتون بينهم ان لبثتم الا عشرا اي يتخافت المجرمون بينهم اي
 يتسارون والمعنى انهم لهول المطع وشدة ذهاب اذهانهم قد عذب عنهم قدر مدة
 لبثهم واختلف الناس فيما ذا فقالت فرقة في دار الدنيا ومدة العمر وقالت
 فرقة في الارض مدة البرزخ وامثلهم طريقة معناه اثبتهم نفسا يقول ان لبثتم
 الا يوما اي فهم في هذه المقالة يظنون ان هذا قدر لبثهم * وقوله سحانه
 ويسألونك عن الجبال الآية السائل قيل رجل من ثقيف وقيل السائل
 جماعة من المؤمنين وروي ان الله تعالى يرسل على الجبال ريحا فتدكها
 حتى تكون كالهن المنفوش ثم تتوالى عليها حتى تعيدها كالهباء المنبث فذلك
 هو النسف والقاع هو المستوى من الارض والصفصف نحوه في المعنى والامت
 ما يعتري الارض من ارتفاع وانخفاض * وقوله لا عوج له يحتمل ان يريد الاخبار
 به اي لا شك فيه ولا يخالف وجوده خبره ويحتمل ان يريد لا محيد لاحد عن اتباع
 الداعي والاشي نحو صوته والحشوع التطامن والتواضع وهو في الاصوات
 استعارة بمعنى الخفاء والهمس الصوت الخفي الخافت وهو تخافتهم بينهم وكلامهم
 السر ويحتمل ان يريد صوت الاقدام وفي البخاري همسا صوت الاقدام
 انتهى ومن في قوله الامن اذن له الرحمن يحتمل ان تكون للشافع ويحتمل
 ان تكون للشفوع فيه * وقوله تعالى وغنت الوجوه معناه ذلت وخضعت والعاني
 الاسير ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في امر النساء هن عوان عندكم وهذه

حالة الناس يوم القيامة قال (ص) وغنت من عنا يعنوا ذل وخضع قال امية ابن ابى الصلت

ملك على عرش السماء مهيم * لعزته تعنو الوجوه وتسجد انتهى (ت) واحاديث الشفاعة قد استفاضت وبلغت حد التواتر ومن اعظمها شفاعة ارحم الراحمين سبحانه وتعالى ففي صحيح مسلم من حديث ابى سعيد الخدري قال فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق الا ارحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حما فيلقينهم في نهر في افواه الجنة وفيه فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم يعرفهم اهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين ادخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه الحديث وخرج ابو القاسم اسحاق ابن ابراهيم الحنلي بسنده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا فرغ الله تعالى من القضاء بين خلقه اخرج كتابا من تحت العرش ان رحمى سبقت غضبى وانا ارحم الراحمين قال فيخرج من النار مثل اهل الجنة او قال مثلي اهل الجنة قال واكبر ظنى انه قال مثلي اهل الجنة مكتوب بين اعينهم عتقاء الله انتهى من التذكرة * وقد خاب من حمل ظلما معنى خاب لم ينجح ولا ظفر بمطلوبه والظلم يعم الشرك والمعاصي وخيبة كل حامل بقدر ما حمل من الظلم * وقوله سبحانه ومن يعمل من الصالحات معادل لقوله من حمل ظلما والظلم والضهم هما متقاربان في المعنى ولكن من حيث تناسقا في هذه الآية ذهب قوم الى تخصيص كل واحد منهما بمعنى فقالوا الظلم ان نعظم عليه سيئاته وتكثر اكثر مما يجب والهضم ان ينقص من حسناته ويبخسها وكلهم قرأ فلا يخاف على الخبر غير ابن كثير فانه قرأ فلا يخف على النهي * وكذلك ائلهاء قرأ انا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لهم بحسب

توقع البشر وترجيهم يتقون الله ويخشون عقابه فيؤمنون ويتذكرون نعمه عندهم وما حذرهم من اليم عقابه هذا تاويل فرقة في قوله اويحدث لهم ذكرا وقالت فرقة معناه اويكسبهم شرفا ويبقى عليهم ايمانهم ذكرا صالحا في الغابرين * وقوله تعالى ولا تعجل بالقرآن الاية قالت فرقة سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاف وقت تكليم جبريل له ان ينسى اول القرآن فكان يقرأ قبل ان يستتم جبريل عليه السلام الوحي فنزلت في ذلك وهي على هذا في معنى قوله لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل غير هذا * وقوله عز وجل ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي الآية العهد هنا بمعنى الوصية والشيء الذي عهد الى آدم عليه السلام هو ان لا يقرب الشجرة (ت) قال عياض واما قوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى اي جهل فان الله تعالى اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما قيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال تعالى ولم نجد له عزما اي قصدا للمخالفة (ت) وقيل غير هذا مما لا ارى ذكره هنا والله در ابن العربي حيث قال يجب تنزيه الانبياء عليهم الصلاة والسلام عما نسب اليهم الجبال ولكن الباري سبحانه بحكمه النافذ وقضائه السابق اسلم آدم الى الاكل من الشجرة متعمدا للاكل ناسيا للعهد فقال في تعمده وعصى آدم وقال في بيان عذره ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي فتعلق العهد غير متعلق النسيان وجاز للمولى ان يقول في عبده لحقه عصى تريبا ويعود عليه بفضل فيقول نسي تريبا ولا يجوز لاحد منا ان يطلق ذلك على آدم او يذكره الا في تلاوة القرآن او قول النبي صلى الله عليه وسلم انتهى من الاحكام * وقوله سبحانه ان لك الاتجوع فيها ولا تcry المعنى ان لك يا آدم في الجنة نعمة تامة لا يصيبك جوع ولا عري ولا ظمأ ولا يروى للشمس يوزيك وهو الضحاء * وقوله فوسوس اليه (ص) عدي هنا بالي على

معنى انهى الوسوسة اليه وفي الاعراف باللام فقال ابوالبقاء لانه بمعنى ذكرها انتهى
ثم اعلمهم سبحانه ان من اتبع هداه فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة
وان من اعرض عن ذكر الله وكفر به فان له معيشة ضنكا والضحك النكد
الشاق من العيش والمنازل ونحو ذلك وهل هذه المعيشة الضنك تكون
في الدنيا او في البرزخ او في الآخرة اقوال (ت) ويحتمل في الجميع قال
القرطبي قال ابو سعيد الحديري وابن مسعود ضنكا عذاب القبر وروى ابوهريرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون فيمن نزلت هذه الآية فان له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيامة اعنى اتدرون ما المعيشة الضنك قالوا الله ورسوله
اعلم قال عذاب الكافر في القبر والذي نفسى بيده انه ليسلط عليه تسعة
وتسمون تينا وهي الحيات لكل حية تسعة رؤوس ينفخن في جسمه وبلسغنه
ويحدثنه الى يوم القيامة ويحشر من قبره الى موقفه اعنى انتهى من التذكرة
فان صح هذا الحديث فلا نظر لاحد معه وان لم يصح فالصواب حمل الآية على
عمومها والله اعلم قال الثعلبي قال ابن عباس فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى
قال اجار الله تعالى تابع القراء ان من ان يضل في الدنيا او يشقى في الآخرة وفي
لفظ اخر ضمن الله تعالى لمن قرأ القرآن الحديث وعنه من قرأ القرآن واتبع
ما فيه هداه الله تعالى من الضلالة ووقاه الله تعالى يوم القيامة سوء الحساب
انتهى * وقوله سبحانه ونحشره يوم القيامة اعنى قالت فرقة وهو عى البصر
وهذا هو الالوجه واما عى البصيرة فهو حاصل للكافر * وقوله سبحانه كذلك
اتتكم اياتنا فنسيها النسيان هنا هو الترك ولامدخل للذحول في هذا الموضع
وتنسى ايضا بمعنى تترك في العذاب * وقوله سبحانه افلم يهد لهم كم اهلكنا
قبلهم من القرون المعنى افلم يبين لهم وقرأت فرقة نهد بالنون والمراد بالقرون
المهلكين عاد وثمود والطوائف التى كانت قريش تجوز على بلادهم في المرور

الى الشام وغيره ثم اعلم سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان العذاب كان يصير لهم
لزاما لولا كلمة سبقت من الله تعالى في تأخيرهم عنهم الى اجل مسمى عنده
فتقدير الكلام ولولا كلمة سبقت في التأخير واجل مسمى لكان
العذاب لزاما كما تقول لكان حتما او واقعا لكنه قدم وأخر
لتشابهه، وس الاي واختلف في الاجل المسمى هل هو يوم القيامة او موت
كل واحد منهم او يوم بدر وفي صحيح البخاري ان يوم بدر هو الزمان وهو
البطشة الكبرى يعنى وقع في البخاري من تفسير ابن مسعود وليس هو من
تفسير النبي صلى الله عليه وسلم * قال (ص) ولزاما اما مصدر واما بمعنى
ملزم واجاز ابو البقاء ان يكون جمع لازم كقائم وقيام انتهى ثم امر
الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر على اقوالهم انه ساحر
انه كاهن انه كاذب الى غير ذلك * وقوله سبحانه وسبح بحمد ربك الآية
قال اكثر المفسرين هذه اشارة الى الصلوات الخمس فقبل طلوع الشمس
صلاة الصبح وقبل غروبها صلاة العصر ومن آنا الليل العشاء واطراف
النهار المغرب والظهر قال ابن العربي والصحيح ان المغرب من طرف الليل
لا من طرف النهار انتهى من الاحكام وقالت فرقة آنا الليل المغرب
والعشاء واطراف النهار الظهر وحدها ويحتمل اللفظ ان يراد به قول سبحانه
الله ومجمله وقالت فرقة في الآية اشارة الى نوافل فنها آنا الليل ومنها
قبل طلوع الشمس ركعتا الفجر (ت) ويتعذر على هذا التأويل قوله وقبل غروبها
اذ ليس ذلك الوقت وقت نفل على ما علم الا ان يتأول ما قبل الغروب بما قبل
صلاة العصر وفيه بعد قال (ص) بحمد ربك في موضع الحال اي وانت حامد
انتهى وقرأ الجمهور لعلك ترضى بفتح التاء اي لعلك تثاب على هذه
الاعمال بما ترضى به قال ابن العربي في احكامه وهذه الآية تماثل قوله تعالى

ولسوف يعطيك ربك فترضى وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال انكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس يعنى الصبح وقبل غروبها فافعلوا وفى الحديث الصحيح ايضا من صلى البردين دخل الجنة انتهى وقرأ الكسائي وابوبكر عن عاصم ترضى اى لعلك تعطى ما يرضيك ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالاحتقار لشأن الكفرة والاعراض عن اموالهم وما فى ايديهم من الدنيا اذ ذلك منحسر عنهم صائر الى خزي والازواج الانواع فكانه قال الى ما متغنا به اقواما منهم واصنافا * وقوله زهرة الحياة الدنيا شبه سبحانه نعم هؤلاء الكفار بالزهر وهو ما اصفر من النور وقيل الزهر النور جملة لان الزهر له منظر ثم يضمحل عن قرب فكذلك مال هؤلاء ثم اخبر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان ذلك انما هو ليختبرهم به ويحمله فتنة لهم وامرا يجازون عليه اسوأ الجزاء لفساد قلوبهم فيه (ص) وزهرة منصوب على الذم او مفعول ثان لمتغنا مضمن معنى اعطيناهم ورزق الله تعالى الذى احله للمتقين من عباده خير وابقى اى رزق الدنيا خير ورزق الآخرة ابقى وبين انه خير من رزق الدنيا ثم امره سبحانه وتعالى بان يامر اهله بالصلاة ويمثلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها وتكفل هو تعالى برزقه لاله الا هو واخبره ان العاقبة للمتقين بنصره فى الدنيا ورحمته فى الآخرة وهذا الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فى عمومه جميع امته وروى ان عروة بن الزبير رضى الله عنه كان اذا رأى شيئا من اخبار السلاطين واحوالهم بادى الى منزله فدخله وهو يقول ولا تمدن عينيك الآية الى قوله وابقى ثم ينادى الصلاة الصلاة رحمكم الله ويصلى وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يوقظ اهل داره لصلاة الليل ويصلى هو ويمثل بالآية قال الداودي وعن عبد الله بن سلام قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا نزل باهله ضيق

اوشدة امرهم بالصلاة ثم قرأ وامر اهلك بالصلاة الى قوله للتقوى انتهى
 قال ابن عطاء الله في التنوير واعلم ان هذه الآية علمت اهل الفهم عن الله
 تعالى كيف يطلبون رزقهم فاذا توقفت عليهم اسباب المعيشة اكثروا من
 الخدمة والموافقة وقرعوا باب الرزق بمعاملة الرزاق جل وعلا ثم قال وسمعت
 شيخنا ابا العباس المرسى رضي الله عنه يقول والله ما رأيت العز الا في رفع الهمة
 عن الخلق واذا ذكر رحمك الله هنا والله العزة ولرسوله وللمؤمنين ففي العز الذي اعز
 الله به المؤمن رفع همته الى مولاه وثقته به دون من سواد واستحي من الله بعد
 ان كسالك حلة الايمان وزينك بزينة العرفان ان تستولي عليك الغفلة
 والنسيان حتى تميل الى الاكوان او تطلب من غيره تعالى وجود احسان ثم قال
 ورفع الهمة عن الخلق هو ميزان ذوى الكمال ومسبار الرجال وكما توزن الذوات
 كذلك توزن الاحوال والصفات انتهى ومن كتاب صفوة التصوف لابي الفضل
 محمد بن طاهر المقدسي الحافظ حديث بسنده عن ابن عمر قال اتى النبي صلى
 الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله حدثني حديثا واجعله موجزا فقال له النبي
 صلى الله عليه وسلم صل صلاة مودع كانك تراه فان كنت لا تراه فانه يراك
 وياأس مما في ايدي الناس تعش غنيا واياك وما يعتذر منه ورواه ابو ايوب
 الانصاري بمثله عن النبي صلى الله عليه وسلم انتهى * وقالوا لولا ياتينا محمد بآية
 من ربه اي بعلامة مما اقترحناها عليه ثم ونجهم سبحانه بقوله اولم تاتهم بينة
 ما في الصحف الاولى اي ما في التوراة وغيرها ففيها اعظم شاهد واكبر آية له
 سبحانه * وقوله سبحانه ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله اي من قبل
 ارسلنا اليهم محمدا لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا الآية وروى ابو سعيد
 الخدرى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يحتج على الله تعالى يوم القيامة ثلاثة
 الهالك في الفترة والمغلوب على عقله والصبي الصغير فيقول المغلوب على عقله رب

لم تجعل لى عقلا ويقول الصبي نحوه ويقول الهالك فى الفترة رب لم ترسل الى رسولا ولوجا فى لكنت اطوع خلقك لك قال فترفع لهم نار ويقال لهم ردوها فيردها من كان فى علم الله انه سعيد ويكع عنها الشقي فيقول الله تعالى اياي عصيتم فكيف برسلى لو اتكم قال (ع) اما الصبي والمغلوب على عقله فبين امرهما واما صاحب الفترة فليس ككفار قريش قبل بمثة النبي صلى الله عليه وسلم لان كفار قريش وغيرهم ممن علم وسمع نبوة ورسالة فى اقطار الارض ليس بصاحب فترة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل ابى وابوك فى النار ورأى صلى الله عليه وسلم عمرو بن لحي فى النار الى غير هذا مما يطول ذكره وانما صاحب الفترة يفرض انه آدمي لم يطرأ اليه ان الله تعالى بث رسولا ولادعا الى دين وهذا قليل الوجود الا ان يشذ فى اطراف الارض والمواضع المنقطعة عن العمران (ت) والصحيح فى هذا الباب ان اولاد المشركين فى الجنة واما اولاد المسلمين فى الجنة من غير شك متفق عليه وقد اسند ابو عمر فى التمهيد من طريق انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سألت ربي فى اللاهين من ذرية البشر الا يعذبهم فاعطانيهم قال ابو عمر انما قيل للاطفال اللاهون لان اعمامهم كاللهو واللعب من غير عقد ولا عزم ثم اسند ابو عمر عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اولاد المشركين خدم اهل الجنة قال ابو عمر وروى شعبة وسعيد بن ابى عروبة وابو عوانة عن قتادة عن ابى سراية المجلى عن سلمان قال اطفال المشركين خدم اهل الجنة وذكر البخاري حديث الرؤيا الطويل وفيه واما الرجل الطويل الذى فى الروضة فانه ابراهيم عليه السلام واما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة قال فقيلى يارسول الله واولاد المشركين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واولاد المشركين وفى رواية والصبيان حوله اولاد الناس

وظاهره العموم في جميع اولاد الناس انتهى من التمهيد والذل والحزي مقتربان
بمذاب الآخرة * وقوله قل كل اي منا ومنكم متربص والتربص التأني والصراف
الطريق وهذا وعيد بين والله الموفق والهادي الى الرشاد بفضلته

سورة الانبياء عليهم الصلاة والسلام

مكية باجماع

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل اقترب للناس حسابهم الآية روي ان رجلا من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم كان يبني جدارا فر به اخر يوم نزل هذه السورة فقال
الذي كان يبني الجدار ماذا نزل اليوم من القرآن فقال الآخر نزل اليوم
اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون فنفض يديه من البنيان وقال
والله لا بنيت قال ابو بكر بن العربي قال لي شيخى في العبادة لا يذهب
لك الزمان * في مصاولة الاقران * ومواصلة الاخوان * ولم ار للخلاص
شيأ اقرب من طريقين اما ان يفلق الانسان على نفسه بابيه واما ان يخرج الى
موضع لا يعرف فيه فان اضطر الى مخالطة الناس فليكن معهم ببسده
ويفارقهم بقلبه ولسانه فان لم يستطع فبقلبه ولا يفارق السكوت قال
القرطبي ولا يلى سليمان الخطابي في هذا المعنى

انست بوحدي ولزمت بيتي * فدام الانس لى ونفى السرور
وادبنى الزمان فلا ابالى * بـأنى لا ازار ولا ازور

واست بسائل مادمت حيا * اسار الجيش ام ركب الامير
 انتهى من التذكرة * وقوله اقترب للناس حسابهم عام في جميع الناس وان
 كان المشار اليه في ذلك الوقت كفار قريش ويدل على ذلك ما ياتي بعد من
 الآيات قال (ص) اقترب بمعنى الفعل المجرد وهو قرب وقيل اقترب
 ابلغ للزيادة وهم في غفلة الواو للحال انتهى * وقوله وهم في غفلة معرضون
 يريد الكفار وياخذ عصاة المؤمنين من هذه الالفاظ قسطهم (ت) ايها
 الاخ اشعر قلبك مهابة ربك فاليه مثالك * وتأهب للقدوم عليه فقد ان
 ارتحالك * انت في سكرة لذاتك * وغشية شهواتك * واغماء
 غفلاتك * ومقراض الفناء يعمل في ثوب حياتك * ويفضل اجزاء عمرك
 جزءا جزءا في سائر ساعاتك * كل نفس من انفسك جزء منفصل من جملة
 ذاتك * وبذهاب الاجزاء تذهب الجمل انت جملة تؤخذ واحادها وابماضها
 الى ان تستوفي سائرها عساكر الاقضية والاقدار محدقة باسوار
 الاعمار * تهدمها بجاول الليل والنهار * فلواضاء لنا مصباح الاعتبار * لم
 يبق لنا في جميع اوقاتنا سكون ولا قرار * انتهى من الكلم
 الفارقة والحكم الحقيقية * وقوله ما ياتيهم من ذكر وما بمده مختص
 بالكفار والذكر القرءان ومعناه محدث نزوله لاهو في نفسه * وقوله وهم
 يلعبون جملة في موضع الحال اي استماعهم في حال لعب فهو غير نافع
 ولا واصل الى النفس * وقوله لاهية حال بعد حال واختلف النحاة في
 اعراب قوله واسروا النجوى الذين ظلموا فذهب سيبويه رحمه الله تعالى
 ان الضمير في اسروا فاعل وان الذين بدل منه وقال ليس في القرءان لفظة
 من قال اكلوني البراغيث ومعني اسروا النجوى تكلموا بينهم في السر
 ومناجات بعضهم لبعض وقال ابو عبيدة اسروا اظهروا وهو من الاضداد ثم

بين تعالى الامر الذى تناجوا به وهو قول بعضهم لبعض على جهة التوبيخ
بزعمهم افتاتون السحر المعنى افتتبعون السحروانتم تبصرون ثم امر الله تعالى
نبيه صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم وللتناس جميعا قل ربى يعلم القول فى السماء
والارض اى يعلم اقوالكم هذه وهو بالمرصاد فى المجازاة عليها ثم عدد سبحانه
جميع ما قالته طوائفهم ووقع الاضراب بكل مقالة عن المقدمة لها ليبين
اضطراب امرهم فقال تعالى بل قالوا اضغات احلام بل افتراء بل هو شاعر
والاضغات الاخلاط ثم حكى سبحانه اقتراحهم اية تضطربهم كفاية صالح
وغيرها وقولهم كما ارسل الاولون دال على معرفتهم باتيان الرسل الامم
المقدمة * وقوله سبحانه ما امنت قبلهم فيه محذوف يدل عليه المعنى
تقديره والآية التى طلبوها عادتنا ان القوم ان كفروا بها عاجلناهم وما
امنت قبلهم قرية من القرى التى نزلت بها هذه النازلة أفهذه كانت
تومن * وقوله اهلكناها جملة فى موضع الصفة لقرية والجملة
اذا اتبعت النكرات فهى صفات لها واذا اتبعت المعارف فهى احوال
منها * وقوله سبحانه وما ارسلنا قبلك الا رجالا يوحى اليهم فاسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون هذه الآية رد على من استبعد منهم
ان يبعث الله بشرا رسولا والذكر هو كل ما ياتى من تذكير الله عباده فاهل
القرآن اهل ذكر واما المحال على سؤالهم فى هذه الآية فلا يصح ان
يكونوا اهل القرآن فى ذلك الوقت لانهم كانوا خصومهم وانما احيوا على
سؤال احبار اهل الكتاب من حيث كانوا موافقين لكفار قرىش على ترك
الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم * وقوله سبحانه وما جعلناهم جسدا
لا ياكلون الطعام قيل الجسد من الاحياء ما لا يتغذى وقيل الجسد يعم
المتغذى من الاجسام وغير المتغذى فجعلناهم جسدا على التاويل الاول

منفي وعلى الثاني موجب والنفي واقع على صفته * وقوله سبحانه ثم صدقناهم الوعد الآية هذه آية وعيد * وقوله ومن نشاء يعني من المومنين والمُسرفون الكفار ثم ونجهم تعالى بقوله لقد انزلنا اليكم كتابا يعني القرآن فيه ذكركم اي شرفكم . اخر الدهر وفي هذا تحريض لهم ثم اكّد التحريض بقوله افلا تعلمون وكم للتكثير وقصنا معناه اهلكنا واصل القصم الكسر في الاجرام فاذا استعير للقوم والقرية ونحو ذلك فهو ما يشبه الكسر وهو اهلاكهم وانشأنا اي خلقنا وبشنا امة اخرى غير المهلكة * وقوله فلما احسوا وصف عن حال قرية من القرى المجلة اولا قيل كانت باليمن تسمى حضور بعث الله تعالى الى اهلها رسولا فقتلوه فارسل الله تعالى عليهم بختنصر صاحب بني اسرائيل فهزموا جيشه مرتين فنهض في الثالثة بنفسه فلما هزمهم واخذ القتل فيهم ركضوا هاربين ويحتمل ان لا يريد بالآية قرية بعينها وان هذا وصف حال كل قرية من القرى المعذبة اذا احسوا العذاب من اي نوع كان اخذوا في الفرار واحسوا بأشروه بالحواس (ص) اذا هم منها يركضون اذا الفجائية وهي وما بعدها جواب لما انتهى * وقوله لا تركضوا يحتمل على الرواية المتقدمة ان يكون من قول رجال بختنصر على جهة الحذاع والاستهزاء بهم فلما انصرفوا راجعين امر بختنصر ان ينادي فيهم يا ثارات النبي المقتول فقتلوا بالسيف عن آخرهم قال (ع) وهذا كله مروي ويحتمل ان يكون لا تركضوا الى . اخر الآية من كلام ملائكة العذاب على جهة الهزء بهم * وقوله حصيدا اي بالعذاب كحصيد الزرع بالمنجل وخامدين اي موتى مشبهين بالنار اذا طفت ثم وعظ سبحانه السامعين بقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين * وقوله سبحانه لو اردنا ان نتخذلها الآية ظاهر الآية الرد على من قال من الكفار في امر مريم

وما ضارعه من الكفر تعالى الله عن قول المبطلين وان في قوله ان كنا فاعلين يحتمل ان تكون شرطية ويحتمل ان تكون نافية بمعنى ما كنا فاعلين وكل هذا قد قيل والحق عام في القبر ان الرسالة والشرع وكل ما هو حق فيدمغه معناه يصيب دماغه وذلك مهلك في البشر فكذلك الحق يهلك الباطل والويل الحزري وقيل هو اسم واد في جهنم وانه المراد في هذه الآية وهذه مخاطبة للكفار الذين وصفوا الله عز وجل بما لا يحوز عليه تعالى الله عن قولهم * وقوله ومن عنده الآية عند هنا ليست في المسافات وانما هي تشريف في المنزلة ولا يستحسرون اي لا يكلون والحسير من الابل المعنى * وقوله لا يفتررون وفي الترمذي عن ابي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان تغط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجدا لله الحديث قال ابو عيسى هذا حديث صحيح وفي الباب عن عائشة وابن عباس وانس انتهى من اصل الترمذي اعني جامعه * وقوله سبحانه ام اتخذوا الهة من الارض هم ينشرون اي يحيون غيرهم ثم بين تعالى امر التمانع بقوله لو كان فيها الهة الا الله لفسدنا وقد تقدم ايضاح ذلك عند قوله تعالى اذا لا تبغوا الى ذي العرش سبيلا * وقوله هذا ذكر من معنى وذكر من قبلي يحتمل ان يريد بالاشارة بقوله هذا الى جميع الكتب المنزلة قديما وحديثا انها بين ان الله الخالق واحد لاشريك له ويحتمل ان يريد بقوله هذا القرآن والمعنى فيه نأ الاولين والآخرين فنص اخبار الاولين وذكر النيوب في امورهم حسبما هي في الكتب المتقدمة وذكر الآخرين بالدعوة وبيان الشرع لهم ثم حكم عليهم سبحانه بان اكثرهم لا يعلمون الحق لاعراضهم عنه وليس المعنى فهم معرضون لانهم لا يعلمون بل المعنى فهم معرضون ولذلك

لا يعلمون الحق وباقي الآية بين ثم بين سبحانه نوعا آخر من كفرهم بقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا الآية كقول بعضهم اتخذ الملائكة بناة وكما قالت النصارى في عيسى بن مريم واليهود في عزيز * وقوله سبحانه بل عباد مكرمون عبارة تشمل الملائكة وعيسى وعزيز وقال (ص) بل اضراب عن نسبة الولد اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وعباد خبر مبتدأ محذوف اي هم عباد قاله ابو البقاء انتهى * وقوله سبحانه لا يسبقونه بالقول عبارة عن حسن طاعتهم ومراعاتهم لامتنثال الامر ثم اخبر تعالى انهم لا يشفعون الا لمن ارتضى الله ان يشفع له قال بعض المفسرين لاهل لاله الا الله والمشفق المبالع في الحروف المحترق النفس من الفزع على امر ما * وقوله سبحانه ومن يقل منهم اني اله من دونه الآية المعنى ومن يقل منهم كذا ان لو قاله وليس منهم من قال هذا وقال بعض المفسرين المراد بقوله ومن يقل الآية ابليس وهذا ضعيف لان ابليس لم يروقط انه ادعى الربوبية ثم وقفهم سبحانه على عبرة دالة على وحدانيته جلّت قدرته فقال اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا والرتق المتصق ببعضه ببعض الذي لا صدع فيه ولا فتح ومنه امرأه رتقا واختلف في معنى قوله كانتا رتقا ففتقناها فقالت فرقة كانت السماء ملتصقة بالارض ففتقها الله بالهواء وقالت فرقة كانت السموات ملتصقة بعضها ببعض والارض كذلك ففتقها الله سبعا سبعا فعلى هذين القولين فالرؤية الموقف عليها رؤية قلب وقالت فرقة السماء قبل المطر رتق والارض قبل النبات رتق ففتقها الله تعالى بالمطر والنبات كما قال تعالى والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع وهذا قول حسن يجمع العبارة وتعدد النعمة والحجة بحسوس بين ويناسب قوله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي اي من الماء الذي كان عن

الفتق فيظهر معنى الآية ويتوجه الاعتبار بها وقالت فرقة السماء والارض رتق بالظلمة ففتقهما الله بالضوء والرؤية على هذين القولين رؤية العين وباقي الآية بين قال (ص) قال الزجاج السموات جمع اريد به الواحد ولذا قال كانتا رتقا وقال الحوفي قال كانتا والسموات جمع لانه اراد الصنفين انتهى * وقوله سقفا محفوظا الحفظ هنا عام في الحفظ من الشيطان ومن الوهي والسقوط وغير ذلك من الآفات والفلك الجسم الدائر دورة اليوم والليلة ويسبحون معناه يتصرفون وقالت فرقة الفلك موج مكفوف وراوا قوله يسبحون من السباحة وهي العموم * وقوله عز وجل وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد الآية وتقدير الكلام افهم الخالدون ان مت * وقوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت الآية موعظة بليغة لمن وفق قال ابو نعيم كان الثوري رضي الله عنه اذا ذكر الموت لاينتفع به اياما انتهى من التذكرة للقرطبي قال عبد الحق في العاقبة وقد امر النبي صلى الله عليه وسلم بذكر الموت واعاد القول فيه تهويلا لامره وتعظيما لشانه ثم قال واعلم ان كثرة ذكر الموت يردع عن المعاصي ويلين القلب القاسي قال الحسن ما رأيت عاقلا قط الا وجدته حذرا من الموت حزينا من اجله ثم قال واعلم ان طول الامل يكسل عن العمل ويورث التواني ويخلد الى الارض ويميل الى الهوى وهذا امر قد شوهه بالعيان فلا يحتاج الى بيان ولا يطالب صاحبه بالبرهان كما ان قصره يبعث على العمل ويجمل على المبادرة ويحث على المسابقة قال النبي صلى الله عليه وسلم انا النذير والموت المغير والساعة الموعد ذكره القاضي ابو الحسن بن صخر في الفوائد انتهى * ونبلوكم معناه نختبركم وقدم الشرع على لفظة الخير لان العرب من عادتها ان تقدم الاقل والاردي ومنه قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فبدأ تعالى في تقسيم امة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

بالظالم وفتنة معناه امتحانا * وقوله تعالى واذا رءاك الذين كفروا كابي جهل وغيره وان بمعنى ماوفي الكلام حذف تقديره يقولون أهذا الذي وقال (ص) ان نافية والظاهر انها ومادخلت عليه جواب اذا انتهى * وقوله سبحانه وهم بذكر الرحمن هم كفرون روي ان الآية نزلت حين انكروا هذه اللفظة وقالوا مانعرف الرحمن الا في اليمامة وظاهر الكلام ان الرحمن قصده العبارة عن الله عز وجل ووصف سبحانه الانسان الذي هو اسم جنس بانه خلق من عجل وهذا على جهة المبالغة كما تقول للرجل البطال انت من لعب وهو * وقوله سبحانه لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوهم النار الآية حذف جواب لواجازا لدلالة الكلام عليه وتقدير المحذوف لما استعجلوا ونحوه وذكر الوجوه لشرفها من الانسان ثم ذكر الظهور ليبين عموم النار لجميع ابدانهم والضمير في قوله بل تأتيهم بغتة للساعة التي تصيرهم الى العذاب ويحتمل ان يكون للنار وينظرون معناه يؤخرون وحق معناه حل ونزل ويكلوكم اي يحفظكم * وقوله سبحانه ولا هم منا يصحبون يحتمل تاويلين احدهما يجارون ويمنمون والآخر ولا هم منا يصحبون نجير وتركبة ونحو هذا * وقوله سبحانه افلا يرون انا نأقي الارض ننقصها من اطرافها الآية نأقي الارض معناه بالقدرة ونقص الارض اما ان يريد بتخريب المعمور واما بموت البشر وقال قوم النقص من الاطراف موت العلماء ثم خاطب سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم متوعدا لهؤلاء الكفرة بقوله ولئن مستهم نفخة من عذاب ربك الآية والنفخة الخطرة والمسة والمعنى ولئن مستهم صدمة عذاب ليندمن وليقرن بظلمهم وباقي الآية بين وقال الثعلبي نفخة اي طرف قاله ابن عباس انتهى * وقوله سبحانه ليوم القيامة قال ابوحيان اللام للظرفية بمعنى في انتهى قال القرطبي في تذكرته قال العلماء اذا انقضى الحساب

كان بعده وزن الاعمال لان الوزن للجزاء فينبغي ان يكون بعد المحاسبة واختلف في الميزان والحوض ابهما قبل الآخر قال ابو الحسن القاسبي والصحيح ان الحوض قبل الميزان وذهب صاحب القوت وغيره الى ان حوض النبي صلى الله عليه وسلم انما هو بعد الصراط قال القرطبي والصحيح ان للنبي صلى الله عليه وسلم حوضين وكلاهما يسمى كوثرًا وان الحوض الذي يذاد عنه من بدل وغير يكون في الموقف قبل الصراط وكذا حياض الانبياء عليهم الصلاة والسلام تكون في الموقف على ما ورد في ذلك من الاخبار انتهى والفرقان الذي اوتي موسى وهارون قيل التوراة وهي الضياء والذكر وقالت فرقة الفرقان هو ما رزقهما الله تعالى من نصر وظهور على فرعون وغير ذلك والضياء التوراة والذكر بمعنى التذكرة * وقوله سبحانه وهذا ذكر مبارك يعني القرآن ثم وقفهم سبحانه تقريرا وتوبيخا هل يصح لهم انكار بركته وما فيه من الدعاء الى الله تعالى والى صالح العمل * وقوله سبحانه ولقد آتينا ابراهيم رشده الآية الرشد عام اي في جميع المرشد وانواع الخيرات وقال الثعلبي رشده اي توفيقه وقيل صلاحه انتهى * وقوله وكنا به عالمين مدح لاراهيم عليه السلام اي عالمين بما اهل له وهذا نحو قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته والتماثيل الاصنام * وقوله وتالله لا كيدن اصنامكم الآية روي انه حضرهم عيد لهم فعزم قوم منهم على ابراهيم في حضوره طمعا منهم ان يستحسن شيئا من احوالهم فمشى معهم فلما كان في الطريق ثنى عزمه على التخلف عنهم فقعده وقال لهم اني سقيم فرببه جمهورهم ثم قال في خلوة من نفسه وتالله لا كيدن اصنامكم فسمعه قوم من ضعفهم ممن كان يسير في اخر الناس * وقوله بعد ان تولوا مدبرين معناه الى عيدكم ثم انصرف ابراهيم عليه السلام الى بيت اصنامهم فدخله ومعه قدوم فوجد الاصنام قد وقفت اكبرها اول ثم

الذى يليه فالذى يليه وقد جعلوا اطعمتهم في ذلك اليوم بين يدي الاصنام تبركا
لنصرفوا من ذلك العيد الى اكله فجعل عليه السلام يقطعها بتلك القدوم ويهشمها
حتى افسد اشكالها حاشا الكبير فانه تركه بحاله وعلق القدوم في يده
وخرج عنها وجذاذا معناه قطعاً صغاراً والجذ القطع والضمير في اليه اظهر
ما فيه انه عائد على ابراهيم اي فعل هذا كله ترجيا منه ان يعقب ذلك منهم
رجعة اليه والى شرعه ويحتمل ان يعود على كبيرهم * وقوله سبحانه
قالوا من فعل هذا الآية المعنى فانصرفوا من عيدهم فرأوا ما حدث
بآلهم فقالوا من فعل هذا بشألهتنا وقالوا الثاني الضمير فيه للقوم الضعفة
الذين سمعوا قول ابراهيم تالله لا كيدن اضاكمكم * وقوله على اعين الناس يريد
في الحفل وبحضر الجمهور وقوله يشهدون يحتمل ان يريد الشهادة عليه بفعله او بقوله
لا كيدن ويحتمل ان يريد به المشاهدة اي يشاهدون عقوبته او غلبته المؤدية
الى عقوبته وقوله عليه السلام بل فعله كبيرهم هذا على معنى الاحتجاج عليهم
اي انه غار من ان يعبد هو وتعبد الصغار معه ففعل هذا بها لذلك وفي الحديث
الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه السلام
الاثلاث كذبات قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله
للملك هي اختى وكانت مقالاته هذه في ذات الله وذهبت فرقة الى ان معنى
الحديث لم يكذب ابراهيم اي لم يقل كلاما ظاهره الكذب او يشبه الكذب
وذهب الفراء الى جهة اخرى في التاويل بان قال قوله فعله ليس من الفعل وانما
هو فعله على جهة التوقع حذف اللام على قولهم عله بمعنى لعله ثم خففت
اللام قال (ع) وهذا تكلف (ت) قال عياض واعلم اكرمك الله ان هذه
الكلمات كلها خارجة عن الكذب لافى القصد ولا فى غيره وهي داخله
فى باب المعارض التى فيها مندوحة عن الكذب فاما قوله بل فعله كبيرهم

هذا فانه علق خبره بشرط النطق كانه قال ان كان ينطق فهو فعله على طريق التبكيث لقومه انتهى ثم ذكر بقية التوجيه وهو واضح لانطيل بسرده * وقوله سبحانه فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون اي في توقيف هذا الرجل على هذا الفعل وانتم معكم من تسألون ثم رأوا ببديهة العقل ان الاصنام لا تنطق فقالوا لابراهيم حين نكسوا في حيرتهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فوجد ابراهيم عليه السلام عند هذه المقالة موضع الحجة ووقفهم موجها لهم بقوله افتعبدون من دون الله مالا ينفمكم شيأ الآية ثم حقر شأنهم وشأنها بقوله اف لكم ولما تعبدون من دون الله الآية (ص) وقولهم لقد علمت جواب قسم محذوف معمول لقول محذوف في موضع الحال اي قائلين لقد علمت انتهى وقال الثعلبي فرجعوا الى انفسهم اي تفكروا بقولهم فقالوا مازاه الا كما قال انكم انتم الظالمون في عبادتكم الاصنام الصغار مع هذا الكبير اه وما قدمناه عن (ع) هو الواجه وأف لفظة تقال عند المستقذرات من الاشياء ويستعار ذلك للمستقبح من المعاني ثم اخذتهم العزة بالاثم وانصرفوا الى طريق الغلبة والنشم فقالوا حرقوه روي ان قائل هذه المقالة هو رجل من الاكراد من اعراب فارس اي من باديتها فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة وروي انه لما اجتمع رأيهم على تحريقه حبسه نمرود الملك لعنه الله وامر بجمع الخطب حتى اجتمع منه ماشاء الله ثم اضرم نارا فلما ارادوا طرح ابراهيم فيها لم يقدروا على القرب منها فجاءهم ابليس في صورة شيخ فقال لهم انا اصنع لكم آلة يلتقي بها فعلهم صنعة المنجنيق ثم اخرج ابراهيم عليه السلام فشد رباطا ووضع في كفة المنجنيق ورمي به فتلقا جبريل عليه السلام في الهواء فقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى (ت) قال ابن عطاء الله في التنوير

وكن ايها الاخ ابراهيميا اذ زج به في المنجنيق فتعرض له جبريل فقال الك
 حاجة فقال اما اليك فلا واما الى ربى فبلى قال فاستله قال حسبي من سؤالي
 علمه بجالى فانظر كيف رفع همته عن الخلق ووجهها الى الملك الحق فلم
 يستغث بجبريل ولا احتال على السؤال بل رأى ربه تعالى اقرب اليه من جبريل
 ومن سؤاله فلذلك سلمه من غمرد ونكاله وانعم عليه بسؤاله وافضاله
 انتهى * وقوله سبحانه قلنا يا نار كوني بردا وسلاما قال بعض العلماء فيما
 روي ان الله تعالى لولم يقل وسلاما لهلك ابراهيم من برد النار وروي انه لما
 وقع في النار سلمه الله واحترق الحبل الذى ربط به وقد اكثر الناس فى
 قصصه فاختصرناه لعدم صحة اكثره وروي ان ابراهيم عليه السلام كان له
 بسط وطعام فى تلك النار كل ذلك من الجنة وروي ان العيدان ابنت واثرت
 له هناك ثمارها وروي انهم قالوا ان هذه نار مسحورة لا تحرق فرموا فيها
 شيئا منهم فاحترق والله اعلم بما كان من ذلك (ت) قال صاحب غاية
 المغنم فى اسم الله الاعظم وهو من الائمة المحدثين وعن الامام احمد بن حنبل
 رحمه الله انه يكتب للمحموم ويملق عليه بسم الله الرحمن الرحيم يا الله
 يا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم
 وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين اللهم رب جبريل وميكائيل اسف
 حاملها بحولك وقوتك وجبروتك يا ارحم الراحمين انتهى * وقوله وسلاما
 معناه وسلامة والكيد هو ما ارادوه من حرقه * وقوله سبحانه ونجيناه
 ولوطا الآية روي ان ابراهيم عليه السلام لما خرج من النار احضره غمرد
 وقال له فى بعض قوله يا ابراهيم ابن جنود ربك الذى ترعم فقال له عليه
 السلام سيريك فعل اضعف جنوده فبعث الله تعالى على غمرد واصحابه سحابة
 من بعوض فاكلتهم عن آخرهم ودوابهم حتى كانت العظام تلوح بيضاء

ودخلت منها بعوضة في رأس نمرود فكان رأسه يضرب بالعيدان وغيرها ثم هلك منها وخرج ابراهيم وابن اخيه لوط عليهما السلام من تلك الارض مهاجرين وهي كوثى من العراق ومع ابراهيم ابنت عمه سارة زوجته وفي تلك السفرة لقي الجبار الذي رام اخذها منه واختلف في الارض التي بورك فيها ونحا اليها ابراهيم ولوط عليهما السلام فقالت فرقة هي مكة وقال الجمهور هي الشام فنزل ابراهيم بالسبع من ارض فلسطين وهي بركة الشام ونزل لوط بالموتكفة والنافلة العطية وباقي الآية بين وخبائث قرية لوط هي اتيان الذكور وتضارطهم في مجالسهم الى غير ذلك من قبيح افعالهم * وقوله سبحانه في نوح عليه السلام ونصرناه من القوم الآية لما كان جل نصرته النجاة وكانت غلبة قومه بامر اجني منه حسن ان يقول نصرناه من ولا تتمكن هنا على قال (ص) عدي نصرناه بمن لتضمنه معنى نجينا وعصمنا ومنعنا وقال ابو عبيدة من بمعنى على (ت) وهذا اولى واما الاول ففيه نظر لان تلك الالفاظ المقدمة كلها غير مرادفة لنصرنا انتهى (ت) وكذا يظهر من كلام ابن هشام ترجيح الثاني وذكر هؤلاء الانبياء عليهم السلام ضرب مثل لقصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع قومه ونجاة الانبياء وهلاك مكذبيهم ضمنها توعدهم لكفار قريش * وقوله تعالى وداود وسليمان المعني واذا ذكر داود وسليمان هكذا قدره جماعة من المفسرين ويحتمل ان يكون المعني واثنين داود والنفس هو الرعي ليلا ومضى الحكم في الاسلام بتضمين ارباب النعم ما افسدت بالليل لان على اهلها ان يثقفوها وعلى اهل الزروع حفظها بالنهار هذا هو مقتضى الحديث في ناقة ابن عازب وهو مذهب مالك وجمهور الامة وفي كتاب ابن سحنون ان الحديث انما جاء في امثال المدينة التي هي حيطان محدقة واما البلاد التي هي زروع متصلة غير محظرة

فيضمن ارباب النعم ما افسدت بالليل والنهار قال (ص) والضمير في قوله لحكمهم يعود على الحاكمين والمحكوم له وعليه ابو البقاء وقيل الضمير لداود وسليمان عليهما السلام فقط وجمع لان الاثنين جمع انتهى قال ابن العربي في احكامه المواشى على قسمين ضوار وغير ضوار وهكذا قسمها مالك فالضوارى هي المعتادة باكل الزرع والثمار فقال مالك تغرب وتباع في بلد لا زرع فيه ورواه ابن القاسم في الكتاب وغيره قال ابن حبيب وان كره ذلك اربابها وكان قول مالك في الدابة التي ضريت بفساد الزرع ان تغرب وتباع واما ما يستطيع الاحتراز منه فلا يومر صاحبه باخراجه عن ملكه وهذا بين انتهى * وقوله يسبحن اي يقنن سبحان الله هذا قول الاكثر وذهبت فرقة منهم منذر بن سعيد الى انه بمعنى يصلين معه بصلاته واللبوس في اللغة هو السلاح فنه الدرع وغيره قال (ص) ولبوس معناه ملبوس كالركوب بمعنى المركوب قال الشاعر

عليها اسود ضاريات لبوسهم * سوابغ بيض لا تحرقها النبل
ولسليمان الريح اي وسخرنا لسليمان الريح هذا على قراءة النصب وقرأت فرقة الريح بالرفع ويروى ان الريح العاصفة كانت تهب على سرير سليمان الذي فيه بساطه وقد مد حول البساط بالحشب والالواح حتى صنع سريرا يحمل جميع عسكره واقواته فتقله من الارض في الهواء ثم تتولاه الريح الرخاء بعد ذلك فتحمله الى حيث اراد سليمان قال (ص) والعصف الشدة والرخاء اللين انتهى * وقوله تعالى الى الارض التي باركنا فيها اختلف فيها فقالت فرقة هي الشام وكانت مسكنه وموضع ملكه وقد قال بعضهم ان العاصفة هي في القفول على عادة البشر والدواب في الاسراع الى الوطن وان الرخاء كانت في البداية حيث اصاب اي حيث يقصد لان ذلك

وقت تأن وتدبير وتقلب رأي ويحتمل ان يريد الارض التي يسير اليها سليمان كائنة ما كانت وذلك انه لم يكن يسير الى ارض الاصلحها الله تعالى به صلى الله عليه وسلم ولا بركة اعظم من هذا والنعوص الدخول في الماء والارض والعمل دون ذلك البنيان وغيره من الصنائع والخدمة ونحوها وكنا لهم حافظين قيل معناه من افسادهم ماضعوه وقيل غير هذا (ت) وقوله سبحانه وانت ارحم الراحمين هذا الاسم المبارك مناسب لحال ايوب عليه السلام وقد روى اسامة بن زيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى ملكا موكلا بمن يقول يا ارحم الراحمين فمن قالها ثلاثا قال له الملك ان ارحم الراحمين قد اقبل عليك فاستل رواه الحاكم في المستدرک وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا ارحم الراحمين فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل فقد نظر الله اليك رواه الحاكم انتهى من السلاح وفي قصص ايوب عليه السلام طول واختلاف وتلخيص بعض ذلك ان ايوب عليه السلام اصابه الله تعالى باكلة في بدنه فلما عظمت وتقطع بدنه اخرجته الناس من بينهم ولم يبق معه غير زوجته ويقال كانت بنت يوسف الصديق عليه السلام قيل اسمها رحمة وقيل في ايوب انه من بني اسرائيل وقيل انه من الروم من قرية عيصو فكانت زوجته تسمى عليه وتاليه بما ياكل وتقوم عليه ودام عليه ضره مدة طويلة وروي ان ايوب عليه السلام لم يزل صابرا شاكرا لا يدعو في كشف مابه حتى ان الدودة تسقط منه فيردها فربه قوم كانوا يعادونه فشمته فحينئذ دعا ربه سبحانه فاستجاب له وكانت امرأته غائبة عنه في بعض شأنها فانبع الله تعالى له عينا وامر بالشرب منها فبرئ باطنه وامر بالاغتسال فبرئ ظاهره ورد الى افضل جماله واوتي باحسن ثياب وهب عليه

رجل من جراد من ذهب فجعل يحتضن منه في ثوبه فناداه ربه سبحانه وتعالى يا ايوب الم اكن اغنيتك عن هذا فقال بلى يارب ولكن لاغنى بي عن بركتك فبينما هو كذلك اذ جاءت امرأته فلم تره في الموضع فجذعت وظنت انه ازيل عنه فجعلت تتوله فقال لها ماشأناك ايها المرأة فهابته لحسن هيئته وقالت اني فقدت مريضالى في هذا الموضع ومعالم المكان قد تغيرت وتأملت في اثناء المقابلة فرأت ايوب فقالت له انت ايوب فقال لها نعم واعتنقها وبكى فروي انه لم يفارقها حتى اراه الله جميع ماله حاضرا بين يديه واختلف الناس في اهله وولده الذين اتاه الله فقيل كان ذلك كله في الدنيا فرد الله عليه ولده باعائهم وجعل مثلهم له عدة في الآخرة وقيل بل اوتي جميع ذلك في الدنيا من اهل ومال (ت) وقد قدم (ع) في صدر القصة ان الله سبحانه اذن لابليس لعنه الله في اهلاك مال ايوب وفي اهلاك بنيه وقرابته ففعل ذلك اجمع والله اعلم بصحة ذلك ولو صح لوجب تاويله * وقوله سبحانه وذكرى للعابدين اي وتذكروا ومرعظة للمؤمنين ولا يعبد الله الا مؤمن * وقوله سبحانه واسماعيل وادريس المعنى واذكر اسماعيل وقوله سبحانه وذا النون اذ ذهب مغاضبا التقدير واذكر ذا النون قال السهيلي لما ذكر الله تعالى يونس هنا في معرض الشناء قال وذا النون وقال في الآية الاخرى ولا تكن كصاحب الحوت والمعنى واحد ولكن بين اللفظين تفاوت كثير في حسن الاشارة الى الحالتين وتزليل الكلام في الموضعين والاضافة بذى اشرف من الاضافة بصاحب لان قولك ذو يضاف بها الى التابع وصاحب يضاف بها الى المتبوع انتهى والنون الحوت والصاحب يونس ابن متى عليه السلام وهونبي من اهل نينوى * وقوله مغاضبا قيل انه غاضب قومه حين طال عليه امرهم وتمتعهم فذهب فارا بنفسه وودكان الله تعالى امره

بملازمتهم والصبر على دعائهم فكان ذلك ذنبه اي في خروجه عن قومه
 بغير اذن ربه (ت) قال عياض والصحيح في قوله تعالى اذ ذهب مغاضبا
 انه مغاضب لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك وغيرها لا لربه اذ
 مغاضبة الله تعالى معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمومنين فكيف بالانبياء
 عليهم السلام وفرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه بما وعدهم به
 من العذاب * وقوله سبحانه فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه
 وقيل معناه نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدر عليه بالتشديد وذلك كما قيل
 لحسن ظنه بربه انه لا يقضى عليه بعقوبة وقال عياض في موضع آخر وليس
 في قصة يونس عليه السلام نص على ذنب وانما فيها ابق وذنب مغاضبا وقد
 تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله تعالى عليه خروجه عن قومه فارا من نزول
 العذاب وقيل بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله لا القاهم
 بوجه كذاب ابدا وهذا كله ليس فيه نص على معصية انتهى * وقوله
 سبحانه فظن ان لن نقدر عليه قالت فرقة معناه ان لن نضيق عليه في مذهبه من
 قوله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر وقرأ الزهري نقدر بضم النون وفتح
 القاف وشد الدال ونحوه عن الحسن وروي ان يونس عليه السلام سجد في
 جوف الحوت حين سمع تسبيح الحيتان في قعر البحر * وقوله اني كنت
 من الظالمين يريد فيما خالف فيه من ترك ملازمة قومه والصبر عليهم هذا
 احسن الوجوه فاستجاب الله له (ت) وليس في هذه الكلمة ما يدل انه
 اعترف بذنب كما اشار اليه بعضهم وفي الحديث الصحيح دعوة اخي ذي
 النون في بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
 مادعا بها عبد مومن او قال مسلم الاستجيب له الحديث انتهى وعن سعد
 ابن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في قوله تعالى لا اله الا انت

سبحانك انى كنت من الظالمين ايا مسلم دعا بها فى مرضه اربعين مرة
فمات فى مرضه ذلك اعطى اجر شهيد وان برئى برئى وقد غفر الله له جميع
ذنوبه اخرجه الحاكم فى المستدرک انتهى من السلاح وذكر صاحب
السلاح ايضا عن سعد بن ابى وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
دعوة ذى النون اذ دعا وهو فى بطن الحوت لا اله الا انت سبحانك انى
كنت من الظالمين فانه لم يدع بها رجل مسلم فى شيء قط الا استجاب
الله تعالى له رواه الترمذى واللفظ له والنسائي والحاكم فى المستدرک
وقال صحيح الاسناد وزاد فيه من طريق آخر فقال رجل يا رسول الله هل
كانت ليونس خاصة ام للمومنين عامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الاسمع الى قول الله عز وجل ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المومنين
انتهى والنعمة ما كان ناله حين التقمه الحوت * وقوله سبحانه وذكراى اذ نادى
ربه الآية تقدم امر ذكراى * وقوله سبحانه واصلحنا له زوجه قيل بان جعلت
ممن تحمل وهي عاقرة قاعد وعموم اللفظ يتناول جميع الاصلاح * وقوله تعالى
ويدعوننا رغبا ورهبا المعنى انهم يدعون فى وقت تعبداتهم وهم بحال رغبة
ورجاء ورهبة وخوف فى حال واحدة لان الرغبة والرهبة متلازمان والخشوع
التذلل بالبدن المتركب على التذلل بالقلب قال القشيري فى رسالته سئل
الجنيد عن الخشوع فقال تذلل القلوب لعلام الغيوب قال سهل بن عبد
الله من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان انتهى * وقوله سبحانه والتي
احضت فرجها المعنى واذكر التى احضت فرجها وهي الجارحة المعروفة
هذا قول الجمهور وفى احصائها هو المدح وقالت فرقة الفرج هنا هو فرج
ثوبها الذى منه نفخ الملك وهذا قول ضعيف وقد تقدم امرها (ت) وعكس
رحمه الله فى سورة التحريم النقل فقال قال الجمهور هو فرج الدرع * وقوله

نعالى ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون يحتمل ان يكون منقطعا خطابا لمعاصري النبي صلى الله عليه وسلم ثم اخبر عن الناس انهم تقطعوا ثم وعد واوعد ويحتمل ان يكون متصلا بقصة مريم وابنها عليها السلام (ص) ابو البقاء وتقطعوا امرهم اي في امرهم يريد انه منصوب على اسقاط حرف الجر وقيل عدي بنفسه لانه بمعنى قطعوا اي فرقوا انتهى وقال البخاري امتكم امة واحدة اي دينكم دين واحد انتهى وقرأ جمهور السبعة وحرام وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم وحرم بكسر الحاء وسكون الراء وهما مصدران بمعنى فاما معنى الآية فقالت فرقة حرام وحرم معناه جزم وحتم فالمعنى وحتم على قرية اهلاكنها انهم لا يرجعون الى الدنيا فيتوبون ويستعيبون بل هم صائرون الى العقاب وقالت طائفة حرام وحرم اي ممتنع * وقوله سبحانه حتى اذا فتحت ياجوج وماجوج وهم من كل حدب ينسلون الآية تحتمل حتى في هذه الآية ان تتعلق بيرجمون وتحتمل ان تكون حرف ابتداء وهو الاظهر بسبب اذا لانها تقتضي جوابا واختلف هنا في الجواب والذي اقول به ان الجواب في قوله فاذا هي شاحصة وهذا هو المعنى الذي قصد ذكره قال (ص) قال ابو البقاء حتى اذا متعلقة في المعنى بحرام اي يستمر الامتناع الى هذا الوقت ولا يعمل لها في اذا انتهى وقرأ الجمهور فتحت بتخفيف التاء وقرأ ابن عامر وحده فتحت بالتشديد وروي ان ياجوج وماجوج يشرفون في كل يوم على الفتح فيقولون غدا نفتح ولا يردون المشيئة الى الله تعالى فاذا كان غد وجدوا الردم كاوله حتى اذا اذن الله تعالى في فتحه قال قائلهم غدا نفتحه ان شاء الله تعالى فيجدونه كما تركوه قريب الانفتاح فيفتحونه حينئذ (ت) وقد تقدم في سورة الكهف كثير من اخبار ياجوج وماجوج فاغنانا عن اعادته وهذه عادتنا في هذا

المختصر اسئل الله تعالى ان ينفعنا واياكم به ويجعله لنا نورا بين ايدينا
يوم لاينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم والحذب كل مسنم من
الارض كالجل والظرب والكدية والقبر ونحوه وقالت فرقة المراد بقوله
وهم ياجوج وماجوج يعنى أنهم يطلعون من كل ثنية ومرتفع ويملئون
الارض من كثرتهم وقالت فرقة المراد بقوله وهم جميع العالم وانما هو تعريف
بالبعث من القبور وقرأ ابن مسعود وهم من كل جدث بالجيم والثاء المثلثة
وهذه القراءة تؤيد هذا التاويل وينسلون معناه يسرعون فى تطامن واسند
الطبري عن ابى سعيد قال يخرج ياجوج وماجوج فلا يتركون احدا الا قتلوه
الا اهل الحصون فيمرون على بحيرة طبرية فيمرء اخرهم فيقول كان هنا مرة
ماء قال فيبعث الله عليهم النعف حتى تكسر اعناقهم فيقول اهل الحصون
لقد هلك اعداء الله فيدلون رجلا ينظر فيجدهم قد هلكوا قال فينزل
الله من السماء ماء فيقذف بهم فى البحر فيطهر الله الارض منهم وفى حديث
حذيفة نحو هذا وفى اخره قال وعند ذلك طلوع الشمس من مغربها *
وقوله سبحانه واقرب الوعد الحق يريد يوم القيامة * وقوله فاذا هي
مذهب سيبويه انها ضمير القصة وجوز الفراء ان تكون ضمير الابصار تقدمت
لدلالة الكلام ومجىء ما يفسرها والشخوص بالبصرا حداث النظر دون ان
يطرف وذلك يعتري من الخوف المفرط ونحوه وباقي الآية بين * وقوله سبحانه
انكم وما تبدون من دون الله حصب جهنم الآية هذه الآية مخاطبة
لكفار مكة اى انكم واصنامكم حصب جهنم والحصب ما توقد به النار اما
لأنها تحصب به اى ترمى واما ان يكون لفة فى الحطب اذارمى واما قبل
ان يرمى فلا يسمى حصبا الا بجوز وحرقت الاصنام بالنار على جهة التوبيخ
لعايديها ومن حيث تقع ما لمن يعقل فى بعض المواضع اعترض فى هذه

الآية عبد الله بن الزبير على رسول الله صلى عليه وسلم فقال ان عيسى وعزيرا ونحوهما قد عبدا من دون الله فيلزم ان يكونوا حصبا لجنهم فنزلت ان الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية والورود في هذه الآية ورود الدخول والزفير صوت المذب وهو كنهيق الحمير وشبهه الا انه من الصدر * وقوله سبحانه لا يسمعون حسيها هذه صفة الذين سبقت لهم الحسنى وذلك بعد دخولهم الجنة لان الحديث يقتضى ان في الموقف تفرجهم زفرة لا يبقى نبي ولا ملك الا جثا على ركبتيه قال البخاري الحسنى والحس واحد وهو الصوت الخفي انتهى والفرع الاكبر عام في كل هول يكون يوم القيامة فكان يوم القيامة بجملة هو الفرع الاكبر * وقوله سبحانه وتلقاهم الملائكة يريد بالسلام عليهم والتبشير لهم اي هذا يومكم الذى وعدتم فيه الثواب والنعم والسجل في قول فرقة هو الصحيفة التى يكتب فيها والمعنى كما يطوى السجل من اجل الكتاب الذى فيه فالمصدر مضاف الى المفعول وهكذا قال البخاري السجل الصحيفة انتهى وماخرجه ابو داود فى مراسيله من ان السجل اسم رجل من كتاب النبي صلى الله عليه وسلم قال السهيلي فيه هذا غير معروف انتهى * وقوله سبحانه كما بدأنا اول خلق نعميده يحتمل معنيين احدهما ان يكون خبرا عن البعث اي كما اخترعنا الخلق اولا على غير مثال كذلك ننشئهم تارة اخرى فبعثهم من القبور والثانى ان يكون خبرا عن ان كل شخص يبعث يوم القيامة على هيئته التى خرج بها الى الدنيا ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة حفاة عرا غرلا كما بدأنا اول خلق نعميده * وقوله كما بدأنا الكاف متعلقة بقوله نعميده وقالت فرقة الزبور هنا يجمع الكتب المنزلة لانه ماخوذ من زبرت الكتاب اذا كتبه والذكر اراد به اللوح المحفوظ وقالت فرقة الزبور هو زبور داود عليه

السلام والذكر التوراة وقالت فرقة الزبور ما بصد التوراة من الكتب والذكر التوراة وقالت فرقة الارض هنا ارض الدنيا اي كل ما يناله المومنون من الارض وقالت فرقة اراد ارض الجنة واستشهدوا بقوله تعالى واورثنا الارض نتبوا من الجنة حيث نشاء * وقوله سبحانه ان في هذا لبلاغا الاشارة بهذا الى هذه الايات المتقدمة في قول فرقة وقالت فرقة الاشارة الى القرءان بجملة العبادات تتضمن الايمان * وقوله سبحانه وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قالت فرقة هو صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين عموما اما للمومنين فواضح واما للكافرين فلان الله تعالى رفع عنهم ما كان يصيب الامم والقرون السابقة قبلهم من التعجيل بانواع العذاب المستاصلة كالطوفان وغيره * وقوله اذنتكم معناه عرفتكم بذارقي وارتدت ان تشاركوني في معرفة ما عندي من الخوف عليكم من الله تعالى وقال البخاري اذنتكم اعلمتكم فاذا اعلمتهم فانت وهم على سواء انتهى ثم اخبرانه لا يعرف تعيين وقت لعقابهم هل هو قريب ام بعيد وهذا اهل واخلوف قال (ص) وان ادري بمعنى ما ادري انتهى والضمير في قوله لعله عائد على الاملاء لهم وفتنة معناه امتحان وابتلاء والمتاع ما يستمتع به مدة الحياة الدنيا ثم امره تعالى ان يقول على جهة الدعاء رب احكم بالحق وهذا دعاء فيه توعده ثم توكل في اخر الآية واستعان بالله تعالى قال الداودي وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا شهد قتالا قال رب احكم بالحق انتهى



﴿ تفسير سورة الحج وهي مكيت ﴾

سوى ثلاث آيات وهي هذان خصمان الى تمام ثلاث آيات هذا قول ابن عباس ومجاهد وقال الجمهور السورة مختلطة منها مكى ومنها مدني وهذا هو الاصح لان الآيات تقتضى ذلك

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم الزلزلة التحريك العنيف وذلك مع نفخة الفزع ومع نفخة الصعق حسبما تضمنه حديث ابى هريرة من ثلاث نفخات والجمهور على ان زلزلة الساعة هي كالمهودة في الدنيا الا انها في غاية الشدة واختلف المفسرون في الزلزلة المذكورة هل هي في الدنيا على القوم الذين تقوم عليهم القيامة ام هي في يوم القيامة على جميع العالم فقال الجمهور هي في الدنيا والضمير في ترونها عائد عندهم على الزلزلة وقوى قولهم ان الرضاع والحمل انما هو في الدنيا وقالت فرقة الزلزلة في يوم القيامة والضمير عندهم عائد على الساعة والذهول الغفلة عن الشيء بطريان ما يشغل عنه من هم او وجع او غيره قال ابن زيد المعنى تترك ولدها للكرب الذى نزل بها (ت) وخرج البخاري وغيره عن ابى سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل يوم القيامة يا ادم فيقول لبيك ربنا وسعديك فيقول اخرج بعث النار قال يا رب وما بعث النار قال من كل الف

تسمائة وتسعة وتسعين الى النار وواحدا الى الجنة فينثذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد الحديث انتهى وهذا الحديث نص صريح في انه يوم القيامة وانظر قوله يوما يجعل الولدان شيبا وقوله واذا المشار عطلت تجده موافقا للحديث وجاء في حديث ابى هريرة فيما ذكره علي بن معبد ان نفخة الفزع تمتد وان ذلك يوم الجمعة في النصف من شهر رمضان فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب ثم تكون سرايا ثم ترتج الارض باهلها رجا وتضع الحوامل ما في بطونها ويشيب الولدان ويولى الناس مدبرين ثم ينظرون الى السماء فاذا هي كاللؤلؤ ثم انشقت ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم والموتى لا يعلمون شيئا من ذلك قلت يا رسول الله فمن استثنى الله عز وجل حين يقول ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال اولائك هم الشهداء انتهى مختصرا وهذا الحديث ذكره الطبري والثعلبي وصححه ابن العربي في سراج المريدين وقال عبد الحق بل هو حديث منقطع لا يصح والذي عليه المحققون ان هذه الالهوال هي بعد البعث قاله صاحب التذكرة وغيره انتهى والحمل بفتح الحاء ما كان في بطن او على رأس شجرة * وقوله سبحانه وترى الناس سكارى تشبيها لهم اي من الهم ثم نفي عنهم السكر الحقيقي الذي هو من الخمر قاله الحسن وغيره وقرأ حمزة والكسائي سكرى في الموضعين قال سيبويه وقوم يقولون سكرى جعلوه مثل مرضى ثم جعلوا روبي مثل سكرى وهم المستثقلون نوما من شرب الرائب * وقوله سبحانه ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد قال ابن جريج هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث وابي بن خلف وقيل في ابى جهل بن هشام ثم هي بعد تتناول كل من اتصف بهذه الصفة ومجادلتهم في ان الله تعالى لا يبعث من يموت والشيطان هنا هو مغويهم

من الجن ويحتمل من الانس والمريد المتجرد من الخير للشر ومنه الامر
 وشجرة مرداء اي عارية من الورق وصرح بمرد اي مملس والضمير في عليه
 عائد على الشيطان قاله قتادة ويحتمل ان يعمود على المجادل وانه في موضع
 رفع على المفعول الذي لم يسم فاعله وانه الثانية عطف على الاولى مؤكدة مثلها
 وقيل هي مكررة للتأكيد فقط وهذا معترض بان الشيء لا يؤكد الا بعد
 تمامه ونظام ان الاولى انما هو بصلتها في قوله السعير وكذلك لا يعطف عليه
 وليسبويه في مثل هذا انه بدل وقيل انه الثانية خبر مبتدأ محذوف تقديره
 فشأنه انه يضل قال (ع) ويظهر لي ان الضمير في انه الاولى للشيطان وفي الثانية
 لمن الذي هو المتولى وقرأ ابو عمرو فانه بالكسرة فيها * وقوله عز وجل يا ايها
 الناس ان كنتم في ريب من البعث الآية هذا احتجاج على العالم بالبداة
 الاولى وضرب سبحانه وتعالى في هذه الآية مثلين اذا اعتبرهما الناظر جواز
 في العقل البعثة من القبور ثم ورد الشرع بوقوع ذلك * وقوله فانا خلقناكم
 من تراب يريد ادم عليه السلام ثم من نطفة يريد المني والنطفة تقع على قليل
 الماء وكثيره ثم من علقه يريد من الدم الذي تعود النطفة اليه في الرحم والمقارن
 للنطفة والعلق الدم الغليظ وقيل العلق الشديد الحمرة ثم من مضغة يريد مضغة
 لحم على قدر ما يمضغ * وقوله مخلقة معناه متممة وغير مخلقة غير متممة اي التي
 تسقط قاله مجاهد وغيره فاللفظة بناء مبالغة من خلق ولما كان الانسان فيه اعضاء
 متباينة وكل واحد منها مختص بخلق حسن في جملة تضعيف الفعل لان فيه
 خلقا كثيرا * وقوله سبحانه لنبين لكم قلة فرقة معناه امر البعث
 ونقراي ونحن نقر في الارحام والاجل المسمى مختلف بحسب حين حين فثم من
 يسقط وثم من يكمل امره ويخرج حيا * وقوله سبحانه ثم نخرجكم طفلا ثم
 لتبلغوا اشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد الى ارضل العمر لكيلا يعلم

من بعد علم شيئاً قد تقدم بيان هذه المعاني والرد الى اردل العمر وهو حصول الانسان في زمانه واختلال العقل والقوة فهذا مثال واحد يقتضى للمعتبر به ان القادر على هذه المناقل المتقن لها قادر على اعادة تلك الاجساد التي اوجدها بهذه المناقل الى حالها الاولى * وقوله عز وجل وترى الارض هامدة فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج هذا هو المثال الثانى الذى يعطى للمعتبر فيه جواز بعث الاجساد وذلك ان احياء الارض بعد موتها بين فكذلك الاجساد وهامدة معناه ساكنة دارسة بالية واهتزاز الارض هو حركتها بالنبات وغير ذلك مما يعترىها بالما وربت معناه نشزت وارتفعت ومنه الربوة وهي المكان المرتفع والزوج النوع والبهيج من البهجة وهي الحسن قاله قتادة وغيره * وقوله ذلك اشارة الى كل ما تقدم ذكره وباقي الآية بين * وقوله سبحانه ومن الناس من يجادل في الله بغير علم الآية اشارة بقوله ومن الناس الى القوم الذين تقدم ذكرهم وكرر هذه الآية على جهة التوبيخ فكأنه يقول فهذه الامثال في غاية الوضوح ومن الناس مع ذلك من يجادل وثاني حال من الضمير في يجادل * وقوله ثاني عطفه عبارة عن المتكبر المعرض قاله ابن عباس وغيره وذلك ان صاحب الكبر يرد وجهه عن يتكبر عنه فهو يرد وجهه يصغر خده ويولى صفحته ويأوى عنقه ويشئ عطفه وهذه هي عبارات المفسرين والعطف الجانب * وقوله تعالى ذلك بما قدمت يداك اي يقال له ذلك واختلف في الوقف على يداك ف قيل لا يجوز لان التقدير وبان الله اي ان هذا هو العدل فيك يحرائك وقيل يجوز بمعنى والامر ان الله ليس بظلام للعبيد * وقوله سبحانه ومن الناس من يعبد الله على حرف الآية نزلت في اعراب وقوم لا يقرن لهم كان احدهم اذا اسلم فاتفق له اتفاقات حسان من

نحو مال وولد يرزقه وغير ذلك قال هذا دين جيد وتمسك به لهذه المعاني وان كان الامر بخلاف ذلك تشام به وارتد كما فعل العرنبيون قال هذا المعنى ابن عباس وغيره وقوله على حرف معناه على انحراف منه عن العقيدة البيضاء وقال البخاري على حرف على شك ثم اسند عن ابن عباس ما تقدم من حال الاعراب انتهى * وقوله يدعوا من دون الله ما لا يضره يريد الاوثان ومعنى بدعوا يعبد ويدعوا ايضا في ملماته واللام في قوله لمن ضره لام موزنة بمعنى القسم والثانية في لبيس لام القسم والعشير القريب المعاش في الامور (ت) وفي الحديث في شأن النساء ويكفرن العشير يعني الزوج قال ابو عمر بن عبد البر قال اهل اللغة العشير الخليط من المعاشرة والمخالطة ومنه قوله عز وجل لبيس المولى ولبيس العشير انتهى من التمهيد والذي يظهر ان المراد بالمولى والعشير هو الوثن الذي ضره اقرب من نفعه وهو قول مجاهد ثم عقب سبحانه بذكر حالة اهل الايمان وذكر ما وعدهم به فقال ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار الآيات ثم اخذت الآية في توبيخ اولئك الاولين كانه يقول هؤلاء العابدون على حرف صحبهم القلق وظنوا ان الله تعالى لن ينصر محمدا واتباعه ونحن انما امرناهم بالصبر وانتظار وعدنا فمن ظن غير ذلك فليمدد بسبب وهو الحبل وليختنق هل يذهب بذلك غيظه قال هذا المعنى قتادة وهذا على جهة المثل السائر في قولهم دونك الحبل فاختنق والسما على هذا القول الهواء علوا فكانه اراد سقفا او شجرة ولفظ البخاري وقال ابن عباس بسبب الى سقف البيت انتهى والجمهور على ان القطع هنا هو الاختناق قال الخليل وقطع الرجل اذا اختنق بحبل ونحوه ثم ذكر الآية ويحتمل المعنى من ظن ان محمدا لا ينصر فليمت كمدا هو منصور لا محالة فليختنق هذا الظان غيظا وكدا ويؤيد هذا

ان الطبري والنقاش قالوا وبقال نزلت في نفر من بني اسد وغطفان قالوا نخاف ان لا ينصر محمد فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من يهود من المنافع والمعنى الاول الذي قيل للمابدين على حرف ليس بهذا ولكنه بمعنى من قلق واستبطاً النصر وظن ان محمداً لا ينصر فليختنق سفاهة اذ تعدى الامر الذي حد له في الصبر وانتظار صنع الله وقال مجاهد الضمير في ينصره عائد على من والمعنى من كان من المتقنين من المؤمنين وما في قوله ما يفيظ بمعنى الذي ويحتمل ان تكون مصدرية حرفاً فلا عائد عليها وابين الوجوه في الآية التاويل الاول وياقى الآية بين * وقوله وكثير من الناس اي ساجدون مرحومون بسجودهم وقوله وكثير حق عليه العذاب معادل له ويؤيد هذا قوله تعالى بعد هذا ومن يهن الله فإله من مكرم الآية * وقوله سبحانه هذان خصمان اختصموا في ربهم الآية نزلت هذه الآية في المبارزين يوم بدر وهم ستة نفر حمزة وعلي وعبيدة ابن الحارث رضي الله عنهم بارزوا لعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وشيبة بن ربيعة قال علي بن ابي طالب انا اول من يجثو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى واقسم ابوذر على هذا القول ووقع في صحيح البخاري رحمه الله تعالى ان الآية فيهم وقال ابن عباس الاشارة الى المؤمنين واهل الكتاب وذلك انه وقع بينهم تخاصم فقالت اليهود نحن اقدم دينا منكم ونحو هذا فنزلت الآية وقال مجاهد وجماعة الاشارة الى المؤمنين والكفار على العموم * قال (ع) وهذا قول تعضده الآية وذلك انه تقدم قوله وكثير من الناس المعنى هم مومنون ساجدون ثم قال تعالى وكثير حق عليه العذاب ثم اشار الى هذين الصنفين بقوله هذان خصمان والمعنى ان الايمان واهله والكفر واهله خصمان مذكنا الى يوم القيامة بالعداوة والجدال والحرب وخصم مصدر يوصف به الواحد والجمع ويدل على انه اراد الجمع قوله اختصموا فانه قراءة الجمهور وقرأ ابن

ابى علة اختصا (ت) وهذه التاويلات متفقات فى المعنى وقد ورد ان اول ما يقضى به بين الناس يوم القيامة فى الدماء ومن المعلوم ان اول مبارزة وقعت فى الاسلام مبارزة علي واصحابه فلاجرم كانت اول خصومة وحكومة يوم القيامة وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون من اهل الدنيا والاولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق وفى رواية المقضى بينهم * وقوله فى ربهم اى فى شأن ربهم وصفاته وتوحيده ويحتمل فى رضى ربهم وفى ذاته وقال (ص) فى ربهم اى فى دين ربهم انتهى ثم بين سبحانه حكم الفريقين فتوعد تعالى الكفار بعذابه الاليم وقطعت معناه جعلت لهم بتقدير كما يفضل الشوب وروي انها من نحاس ويصهر معناه يذاب وقيل معناه ينضج قيل ان الحميم بجرارته يهبط كل ما فى الجوف ويكشطه ويسلته وقد روى ابو هريرة نحوه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه يسلته ويبلغ به قدميه ويذيبه ثم يعاد كما كان * وقوله سبحانه كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم اعيدوا فيها روي فيه ان لهب النار اذا ارتفع رفعهم فيصلون الى ابواب النار فيريدون الخروج فتردهم الزبانية بمقامع الحديد وهي المقارع * وقوله سبحانه ان الله يدخل الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات الاية معادلة لقوله فالذين كفروا واللؤلؤ الجوهر واخبر سبحانه بان لباسهم فيها حرير لانه من اكمل حالات الدنيا قال ابن عباس لا تشبه امور الآخرة امور الدنيا الا فى الاسماء فقط واما الصفات فتباينة والطيب من القول لا اله الا الله وما جرى معها من ذكر الله وتسبيحه وتقديسه وسائر كلام اهل الجنة من محاوراة وحديث طيب فانها لا تسمع فيها لاغية وصراط الحميد هو طريق الله الذى دعا عباده اليه ويحتمل ان يريد بالحميد نفس الطريق فاضاف اليه على حد اضافته فى قوله دار الآخرة وقال البخاري وهدوا الى الطيب اى هموا الى قراءة القرآن وهدوا الى صراط

الحميد اي الى الاسلام انتهى * وقوله سبحانه ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله هذه الآية نزلت عام الحديبية حين صد النبي صلى الله عليه وسلم وجاء يصدون مستقبلا اذ هو فعل يدعمونه وخبر ان محذوف مقدر عند قوله والبادى تقدير خسروا او هلكوا والما كف المقيم في البلد والبادى القادم عليه من غيره * وقوله بالحاد قال ابو عبيدة الباء فيه زائدة (ت) قال ابن العربي في احكامه وجعل الباء زائدة لا يحتاج اليه في سبيل العربية لان حمل المعنى على القول اولى من حمله على الحروف فيقال المعنى ومن يهمل فيه بميل لان الاحاد هو الميل في اللغة الا انه قد صار في عرف الشرع ميلا مذموما فرفع الله الاشكال وبين سبحانه ان الميل بالظلم هو المراد هنا انتهى * قال (ع) والاحاد الميل وهو يشمل جميع المعاصي من الكفر الى الصفائر فلعمركم حرمة المكان توعده الله تعالى على نية السيئة فيه ومن نوى سيئة ولم يعملها لم يحاسب بذلك الا في مكة هذا قول ابن مسعود وجماعة من الصحابة وغيرهم قال (ص) وقوله ان لا تشرك ان مفسرة لقول مقدر اي قائلين له او موحين له لا تشرك وفي التقدير الاول نظر فانظره انتهى * وقوله تعالى وطهر بيتي للطائفين والقائمين الآية تطهير البيت عام في الكفر والبدع وجميع الانجاس والدماء وغير ذلك والقائمون هم المصلون وخص سبحانه بالذكر من اركان الصلاة اعظمها وهو القيام والركوع والسجود وروي ان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما امر بالاذان بالحج قال يارب واذا اذنت فن يسمعي فقليل له نادى ابراهيم فعليك النداء وعلينا البلاغ فصعد على ابي قبيس وقيل على حجر المقام ونادى ايها الناس ان الله تعالى قد امركم بحج هذا البيت فحجوا فروي ان يوم نادى اسمع كل من يحج الى يوم القيامة في اصلاب الرجال واجابه كل شي في ذلك الوقت من جماد وغيره لبيك اللهم لبيك فجرت التلبية

على ذلك قاله ابن عباس وابن جبير ورجالا جمع راجل والضامر قالت فرقة اراد بها الناقة وذلك انه يقال ناقة ضامر وقالت فرقة لفظ ضامر يشمل كل من اتصف بذلك من جل او ناقة وغير ذلك * قال (ع) وهذا هو الاظهر وفي تقديم رجالا تفضيل للمشاة في الحج واليه نحا ابن عباس قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى يا تين رد الضمير الى الابل تكربة لها لقصد لها الحج مع اربابها كما قال تعالى والعاديات ضبحا في خيل الجهاد تكربة لها حين سعت في سبيل الله انتهى والفج الطريق الواسعة والعميق معناه البعيد قال الشاعر

اذا الحيل جاءت من فجاج عميقة * يمد بها في السير اشعث شاحب
والمنافع في هذه الآية التجارة في قول اكثر المتأولين ابن عباس وغيره وقال ابو جعفر محمد بن علي اراد الاجر ومنافع الآخرة وقال مجاهد بعموم الوجبين (ت) واطهرها عندي قول ابى جعفر يظهر ذلك من مقصد الآية والله اعلم وقال ابن العربي الصحيح القول بالعموم انتهى * وقوله سبحانه ويذكروا اسم الله في ايام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الانعام ذهب قوم الى ان المراد ذكر اسم الله على النحر والذبح وقالوا ان في ذكر الايام دليلا على ان الذبح في الليل لا يجوز وهو مذهب مالك واصحاب الرأي وقالت فرقة فيها مالك واصحابه الايام المعلومات يوم النحر ويومان بعده * وقوله فكلوا ندب واستحب اهل العلم ان يأكل الانسان من هديه واضحيته وان يتصدق بالاكثربالبائس الذي قد مسه ضر الفاقة وبؤسها والمراد اهل الحاجة والتفت ما يصنعه المحرم عند حله من تقصير شعر وحلقه وازالة شعث ونحوه وليوفوا نذورهم وهو ما معهم من هدي وغيره وليطوفوا بالبيت العتيق يعنى طواف الافاضة الذي هو من واجبات الحج قال الطبري ولا خلاف بين

المتأولين في ذلك قال مالك هو واجب ويرجع تاركه من وطنه الا ان يطوف طواف الوداع فانه يجزيه عنه ويحتمل ان تكون الاشارة بالآية الى طواف الوداع وقد اسند الطبري عن عمرو بن ابي سلمة قال سألت زهيراً عن قوله تعالى وليطوفوا بالبيت العتيق فقال هو طواف الوداع وقاله مالك في الموطأ واختلف في وجه وصف البيت بالعتيق فقال مجاهد وغيره عتيق اي قديم وقال ابن الزبير لان الله تعالى اعتقه من الجباية وقيل اعتقه من غرق الطوفان وقيل غير هذا * وقوله ذلك يحتمل ان يكون في موضع رفع بتقدير فرضكم ذلك او الواجب ذلك ويحتمل ان يكون في محل نصب بتقدير امتثلوا ذلك ونحو هذا الاضمار واحسن الاشياء مضراً احسنها مظهراً ونحو هذه الاشارة البليغة قول زهير

هذا وليس كمن يمي بخطبته * وسط الندي اذا ما ناطق نطقاً
والحرمان المقصودة هنا هي افعال الحج وقال ابن العربي في احكامه الحرمان
امثال ما امر الله تعالى به واجتناب ما نهى عنه فان القسم الاول حرمة
المبادرة الى الامتثال وللثاني حرمة الانكفاف والازجار انتهى * وقوله فهو
خير ظاهره انها ليست للتفضيل وانما هي عدة بخير ويحتمل ان يجعل خير للتفضيل
على تجوز في هذا الموضع (ص) فهو خير له اي فالتعظيم خير له انتهى * وقوله
تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان يحتمل معنيين احدهما ان تكون من لبيان
الجنس اي الرجس الذي هو الاوثان فيقع النهي عن رجس الاوثان فقط
وتبقى سائر الارجاس نهياً في غير هذا الموضع والمعنى الثاني ان تكون من
لابتداء الغاية فكانه نهاهم سبحانه عن الرجس عموماً ثم عين لهم مبدأه الذي
منه يلحقهم اذ عبادة الوثن جامعة لكل فساد ورجس ويظهر ان الاشارة الى
الذبايح التي كانت للاوثان فيكون هذا مما يتلى عليهم والمروي عن ابن عباس

وابن جريج ان الآية نهي عن عبادة الاوثان والزور عام في الكذب والكفر
وذلك ان كل ما عدا الحق فهو كذب وباطل وقال ابن مسعود وغيره ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال عدلت شهادة الزور بالشرك وتلاه هذه الآية
والزور مشتق من الزور وهو الميل ومنه في جانب فلان زور ويظهر ان الاشارة
الى زور اقوالهم في تحريم وتحليل ما كانوا قد شرعوا في الانعام وخفاء معناه
مستقيمين او مائلين الى الحق بحسب ان لفظة الخف من الاضداد تقع على
الاستقامة وتقع على الميل والسحيق البعيد * وقوله سبحانه ذلك ومن
يعظم شعائر الله التقدير في هذا الموضع الامر بذلك والشعائر جمع شعيرة وهي
كل شيء لله عز وجل فيه امر اشعر به واعلم قال الشيخ ابن ابي جمرة ومن
يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب قال تعظيم شعائر الله كان من البقع
او من البشر او ممن شاء الله تعالى زيادة في الايمان وقوة في اليقين انتهى
وقال العراقي في ارجوزته * اعلام طاعة هي الشعائر * البيت وقالت
فرقة قصد بالشعائر في هذه الآية الهدي والانعام المشعة ومعنى تعظيمها
التسمين والاهتبال بامرها قاله ابن عباس وغيره ثم اختلف المتأولون في قوله
سبحانه لكم فيها منافع الآية فقال مجاهد وقتادة اراد ان للناس في انعامهم
منافع من الصوف واللبن والذبح للاكل وغير ذلك ما لم يبعثها ربها هديا
فاذا بيعها فهو الاجل المسمى وقال عطاء اراد لكم في الهدي المبعوث منافع
من الركوب والاحتلاب لمن اضطر والاجل نحرها وتكون ثم من قوله ثم محلها
الى البيت العتيق لترتيب الجمل لان المحل قبل الاجل ومعنى الكلام عند
هذين الفريقين ثم محلها الى موضع النحر وذكر البيت لانه اشرف الحرم
وهو المقصود بالهدي وغيره وقال ابن زيد والجسن وابن عمر ومالك
الشعائر في هذه الآية مواضع الحج كلها ومعالمه بنى وعرفة والمزدلفة والصفاء

والمروة والبيت وغير ذلك وفي الآية التي تأتي ان البدن من الشعائر والمنافع التجارة وطلب الرزق أو الاجر والمغفرة والاجل المسمى الرجوع الى مكة لطواف الافاضة ومحلها ماخوذ من احلال المحرم والمعنى ثم اخروا هذا كله الى طواف الافاضة بالبيت العتيق فالبيت على هذا التأويل مراد بنفسه قاله مالك في الموطأ (ت) وظهر هذه التأويلات عندى تأويل عطاء وفي الثالث بعض تكلف ثم اخبر تعالى انه جعل لكل امة من الامم المومنة منسكا اي موضع نسك وعبادة هذا على ان المنسك ظرف ويحتمل ان يريد به المصدر كانه قال عبادة والناسك العابد وقال مجاهد سنة في هراقة دماء الذبائح * وقوله ليذكروا اسم الله معناه امرناهم عند ذبائحهم بذكر الله وان يكون الذبح له لانه رازق ذلك وقوله فله اسلموا اي امنوا ويحتمل ان يريد استسلموا ثم امر سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم ان يبشر بشارة على الاطلاق وهي البغ من المفرة لانها مرسله مع نهاية التخييل للمختبين المتواضعين الخاشعين المومنين والحب ما انخفض من الارض والمختب المتواضع الذي مشيه متظامن كانه في حدود من الارض وقال عمرو بن اوس المختبون الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا قال (ع) وهذا مثال شريف من خلق المومن الهين اللين وقال مجاهد هم المطمئنون بامر الله تعالى ووصفهم سبحانه بالخوف والوجل عند ذكر الله تعالى وذلك لقوة يقينهم ومراقبتهم لربهم وكانهم بين يديه جل وعلا ووصفهم بالصبر وباقامة الصلاة وادامتها وروي ان هذه الآية قوله وبشر المختبين نزلت في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اجمعين * وقوله سبحانه والبدن جعلناها لكم من شعائر الله البدن جمع بدنة وهي ما اشعر من ناقة اوبرة قاله عطاء وغيره وسميت بذلك لانها بدن اي تسمن وقيل بل هذا الاسم خاص بالابل والخير هنا قيل فيه ما قيل

في المنافع التي تقدم ذكرها والصواب عمومها في خير الدنيا والآخرة * وقوله عليها يريد عند نحرها وصواف اي مصطفة وقرأ ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وغيرهم صوافن جمع صافنة وهي التي رفعت احدى يديها بالعقل ليلا تضرب ومنه في الخيل الصافنات الجياد ووجبت معناه سقطت * وقوله فكلوا منها ندب وكل العلماء يستحب ان يأكل الانسان من هديه وفيه اجر وامثال اذ كان اهل الجاهلية لا يأكلون من هديهم وتحرير القول في القانع انه السائل والمعتز المتعرض من غير سؤال قاله الحسن ومجاهد وغيرها وعكست فرقة هذا القول فحكي الطبري عن ابن عباس انه قال القانع المستغنى بما اعطيته والمعتز هو المتعرض وحكي عنه انه قال القانع المتعفف والمعتز السائل قال (ع) يقال قنع الرجل بفتح النون يقنع قنوعا فهو قانع اذا سال فالقانع هو السائل بفتح النون في الماضي وقنع بكسر النون يقنع قناعة فهو قنع اذا تعفف واستغنى ببلغته قاله الخليل بن احمد * وقوله سبحانه لن ينال الله لحومها الآية عبارة مبالغة وهي بمعنى لن ترفع عنده سبحانه وتتحصل سبب ثواب والمعنى ولكن تنال الرفعة عنده وتحصل الحسنة لديه بالتقوى * وقوله تعالى لتكبروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين روي ان قوله وبشر المحسنين نزلت في الخلفاء الاربعة حسبا تقدم في التي قبلها وظاهر اللفظ العموم في كل محسن * وقوله سبحانه ان الله يدافع عن الذين امنوا الآية وقرأ ابو عمرو وابن كثير يدافع ولولا دفع قال ابو علي اجريت دافع مجرى دفع كما قبت اللص وطارقت النعل قال ابو الحسن الاخفش يقولون دافع الله عنك ودفع عنك الا ان دفع اكثر في الكلام قال (ع) ويحسن يدافع لانه قد عن للمؤمنين من يدفعهم ويؤذيهم فيجيء دفعه سبحانه مدافعة عنهم وروي ان هذه الآية نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بنكة واذاهم الكفارهم بعضهم

ان يقتل من امكنه من الكفار ويقتال ويفدر فنزلت هذه الآية الى قوله كفور ثم اذن الله سبحانه في قتال المؤمنين لمن قاتلهم من الكفار بقوله اذن للذين يقاتلون * وقوله بانهم ظلموا معناه كان الاذن بسبب انهم ظلموا قال ابن جريج وهذه الآية اول ما نقضت الموادة قال ابن عباس وابن جريج نزلت عند هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة وقال ابو بكر الصديق لما سمعها علمت انه سيكون قتال (ت) وهذا الحديث خرج الترمذي قال ابن العربي ومعنى اذن ابيح وقرئ يقاتلون بكسر التاء وفتحها فعلى قراءة الكسرة تكون الآية خبرا عن فعل الماذون لهم وعلى قراءة الفتح فالآية خبر عن فعل غيرهم وان الاذن وقع من اجل ذلك لهم ففي فتح التاء بيان سبب القتال وقد كان الكفار يعتمدون النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاذاية وياملونهم بالنكاية وقد قتل ابو جهل سمية ام عمار بن ياسر وعذب بلال وبعد ذلك جاء الانتصار بالقتال انتهى ثم وعد سبحانه بالنصر في قوله وان الله على نصرهم لقدير * وقوله سبحانه الذين اخرجوا من ديارهم يريد كل من خرج من مكة واذاه اهلها حتى اخرجوه باذاتهم طائفة الى الحبشة وطائفة الى المدينة ونسب الاخراج الى الكفار لان الكلام في معرض تقرير الذنب والزامة لهم * وقوله الا ان يقولوا ربنا الله استثناء منقطع قال (ص) واجاز ابو اسحاق وغيره ان يكون في موضع جريدا لا من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون موجب الاقرار لاموجب الاخراج ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنّا بالله انتهى وهو حسن من حيث المعنى والانتقاد عليه مزيف * وقوله ولولا دفاع الله الناس الآية تقوية للامر بالقتال وذكر انه متقدم في الامم وبه صلت الشرائع فكانه قال اذن في القتال فليقاتل المؤمنون ولولا القتال والجهاد لتغلب على الحق

في كل امة هذا اصوب تاويلات الآية والصومعة موضع العبادة وهي بناء مرتفع منفرد حديد الاعلى والاصمع من الرجال الحديد القول وكانت قبل الاسلام مختصة برهبان النصارى وعباد الصابين قاله قتادة ثم استعملت في مئذنة المسلمين والبيع كنائس النصارى واحدها بيعة وقال الطبري قيل هي كنائس اليهود ثم ادخل عن مجاهد ما لا يقتضى ذلك والصلوات مشتركة لكل ملة واستعير الهدم للصلوات من حيث تعطيلها او اراد موضع صلوات وقال ابو العالية الصلوات مساجد الصابين وقيل غير هذا * وقوله يذكر فيها الضمير عائد على جميع ما تقدم ثم وعد سبحانه بنصرة دينه وشرعه وفي ذلك حض على القتال والجد فيه ثم الآية نعم كل من نصرحقا الى يوم القيامة * وقوله سبحانه الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة الآية قالت فرقة هذه الآية في الخلفاء الاربعة والعموم في هذا كله ابين وبه يتجه الامر في جميع الناس وانما الآية اخذة عهدا على كل من مكن في الارض على قدر ما مكن والاية امكن ماهي في الملوك * وقوله سبحانه والله عاقبة الامور توعده للمخالف عن هذه الامور التي تقتضيها الآية لمن مكن * وقوله سبحانه وان يكذبوك يعنى قريشا فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذب موسى الآية فيها وعيد لقريش وامليت معناه امهلت والذكر مصدر بمعنى الانكار * وقوله وبير معطلة قيل هو معطوف على العروش وقيل على القرية وهو اصوب ثم ونجهم تعالى على الغفلة وترك الاعتبار بقوله افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها وهذه الآية تقتضى ان العقل في القلب وذلك هو الحق ولا ينكر ان للدماغ اتصالا بالقلب يوجب فساد العقل متى اختل الدماغ * وقوله فتكون نصب بالفاء في جواب الاستفهام صرف الفعل من الجزم الى النصب *

وقوله سبحانه فانها لا تعى الابصار لفظ مبالغة كانه قال ليس العمى عمى العين وانما العمى كل العمى عمى القلب ومعلوم ان الابصار تعى ولكن المقصود ما ذكرنا وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة وليس المسكين بهذا الطواف والضمير في انها للقصة ونحوها من التقدير والضمير في يستعجلونك لقرش * وقوله وان يخلف الله وعده وعيد واخبار بان كل شيء الى وقت محدود والوعد هنا مقيد بالعذاب * وقوله سبحانه وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون قالت فرقة معناه وان يوما من ايام عذاب الله كالف سنة من هذه لطول العذاب وبؤسه فكان المعنى اى من هذه السنين فما اجهل من يستعجل هذا وكرر قوله وكأين لانه جلب معنى آخر ذكر اول القري المهلكة دون املاء بل بعقب التكذيب ثم ثنى سبحانه بالمهلة لئلا يفرح هؤلاء بتأخير العذاب عنهم وباقي الآية بين والرزق الكريم الجنة ومعازين معناه مغالين كانهم طلبوا عجز صاحب الآيات والآيات تقتضى تعجيزهم فصارت مفاعلة * وقوله سبحانه وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا اتى القى الشيطان فى امنيته الآية (ت) قال القاضى ابو الفضل عياض وقد ترجمت هاهنا لبعض الطاعنين سوالات منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال تلك الغرائيق العلى وان شفاعتها لترتجى قال عياض اعلم اكرمك الله ان لنا فى الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين احدهما فى توهين اصله والثانى على تقدير تسليمه اما المأخذ الاول فيكشفك ان هذا حديث لم يخرج به احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند متصل سليم وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم وصدق القاضى ابو بكر

ابن العلاء المالكي رحمه الله تعالى حيث يقول لقد بلي الناس ببعض اهل
الاهواء والتفسير ثم قال عياض قال ابو بكر البزار هذا الحديث لا نعلمه
يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره وانما يعرف عن
الكلي قال عياض والكلي ممن لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه
وكذبه كما اشار اليه البزار وقد اجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم
وزايقته عن مثل هذا انتهى ونحو هذا لابن عطية قال وهذا الحديث الذي
فيه هن الغرانة وقع في كتب التفسير ونحوها ولم يدخله البخاري ولا
مسلم ولا ذكره في علمي مصنف مشهور بل يقتضى مذهب اهل الحديث
ان الشيطان القى ولا يعينون هذا السبب ولا غيره قال (ع) وحدثني ابي رحمه
الله تعالى انه لقي بالمشرق من شيوخ العلماء والتكلمين من قال هذا لا يجوز
على النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم في التبليغ وانما الامر يعنى على
تقدير صحته ان الشيطان نطق بلفظ اسمعه الكفار عند قول النبي صلى الله
عليه وسلم افرأيتم السلات والعزى ومناة الثالثة الاخرى وقرب صوته من
صوت النبي صلى الله عليه وسلم حتى التبس الامر على المشركين وقالوا محمد
قرأها هذا على تقدير صحته وقد روي نحو هذا التاويل عن الامام ابي المعالى
(ت) قال عياض وقد اعادنا الله من صحته وقد حكى محمد بن عقبة في مغازيه
نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع
المشركين ومعنى قوله تعالى تمنى اي تلا ومنه قوله تعالى لا يعلمون الكتاب
الا ما نى اي تلاوة فينسخ الله ما يلقى الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به
ويحكم آياته وعبارة البخاري وقال ابن عباس اذا تمنى القى الشيطان في امنيه
اي اذا حدث القى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما يلقى الشيطان ويحكم آياته
ويقال امنيه قراءته انتهى قال عياض وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى

الله عليه وسلم من السهو اذا قرأ فتنبه لذلك ويرجع عنه انتهى * وقوله سبحانه ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة الفتنة الامتحان والاختبار والذين في قلوبهم مرض عامة الكفار والقاسية قلوبهم خواص منهم عتاة كابي جهل وغيره والشقاق البعد عن الخير والكون في شق غير شق الصلاح والذين اتوا العلم هم اصحاب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم والضمير في انه عائد على القرءان فتخت له قلوبهم معناه تتطامن وتخضع وهو ماخوذ من الحبث وهو المطمئن من الارض كما تقدم ولا يزال الذين كفروا في مرية منه اي من القرءان والمرية الشك حتى تاتيهم الساعة يعني يوم القيامة اوياتهم عذاب يوم عقيم قيل يوم بدر وقيل الساعة ساعة موتهم واليوم العقيم يوم القيامة * وقوله سبحانه والذين هاجروا في سبيل الله ثم قتلوا او ماتوا الآية ابتداء معنى آخر وذلك انه لما مات عثمان بن مظعون وابو سلمة بن عبد الاسد قال بعض الناس من قتل من المهاجرين افضل ممن مات حتف انفه فنزلت هذه الآية مسوية بينهم في ان الله تعالى يرزق جميعهم رزقا حسنا وليس هذا بقاض بتساويهم في الفضل وظاهر الشريعة ان المقتول افضل وقد قال بعض الناس المقتول والميت في سبيل الله شهيدان ولكن للمقتول مزية ما اصابه في ذات الله والرزق الحسن يحتمل ان يريد به رزق الشهداء عند ربهم في البرزخ ويحتمل ان يريد بمد يوم القيامة في الجنة وقرأت فرقة مدخلا بضم الميم من ادخل فهو محمول على الفعل المذكور وقرأت فرقة مدخلا بفتح الميم من دخل فهو محمول على فعل مقدر تقديره فيدخلون مدخلا ثم اخبر سبحانه عن عاقب من المؤمنين من ظلمه من الكفرة ووعد المبني عليه بانه ينصره وذلك ان هذه الآية نزلت في قوم من المؤمنين لقيهم كفار في الاشهر الحرم فابي المؤمنون من قتالهم وابي المشركون الا القتال فلما اقتتلوا جد المؤمنون ونصرهم الله تعالى فنزلت

الآية فيهم وجمل تقصير الليل وزيادة النهار وعكسهما ايلاجا تجوزا وتشبيها
وباقى الآية بين * وقوله سبحانه الم تر ان الله ازل من السماء ماء فتصبح الارض
مخضرة ان الله لطيف خبير له ما فى السموات وما فى الارض وان الله لهو الغنى
الحميد قوله فتصبح عبارة عن استعجالها اثر نزول الماء وروي عن عكرمة انه
قال هذا لا يكون الا بمكة وتهامة قال (ع) ومعنى هذا انه اخذ قوله فتصبح
مقصودا به صباح ليلة المطر وذهب الى ان ذلك الاخضرار فى سائر البلاد
يتأخر قال (ع) وقد شاهدت هذا فى السوس الاقصى نزل المطر ليلا بعد
قحط واصبحت تلك الارض الرملة التى تسفيها الرياح قد اخضرت نبات
ضعيف دقيق (ت) وقد شاهدت انا ذلك بصحراء سواكن بالمشرق وهى فى
حكم مكة الا ان البحر قد حال بينهما وذلك ان التعدية من جدة الى سواكن
مقدار يومين فى البحر او قل بالريح المعتدلة وكان ذلك فى اول الخريف
واجرى الله العادة ان امطار تلك البلاد تكون بالخريف فقط هذا هو
الغالب ولما شاهدت ذلك تذكرت هذه الآية الكريمة فسبحان الله
ما اعظم قدرته واللطيف المحكم للامور برفق * وقوله سبحانه الم تر ان
الله سخر لكم ما فى الارض والفلك تجرى فى البحر بامر الله اي سخر لنا سبحانه
ما فى الارض من الحيوان والمعادن وسائر المرافق وباقي الآية بين مما ذكر
فى غير هذا الموضع * وقوله سبحانه لكل امة جعلنا منسكا الآية المنسك
المصدر فهو بمعنى العبادة والشرعة وهو ايضا موضع المنسك وقوله هم ناسكوه
يعطى ان المنسك المصدر ولو كان الموضع لقال هم ناسكون فيه * وقوله سبحانه
وان جادلوك الآية موادة محضة نسختها اية السيف وباقي الآية وعيد *
وقوله سبحانه ان ذلك فى كتاب يعنى السوح المحفوظ * وقوله
ان ذلك على الله يسير يحتمل ان تكون الاشارة الى الحكم فى الاختلاف *

وقوله سبحانه واذا تتلى عليهم . اياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يعنى ان كفار قريش كانوا اذا تلى عليهم القرآن وسمعوا ما فيه من رفض . الهتهم والدعاء الى التوحيد عرفت المساواة في وجوههم والمنكر من مقتداهم وعداوتهم وانهم يريدون ويتسرعون الى السطوة بالتالين والسطو ايقاع ببطش ثم امر تعالى نبيه عليه السلام ان يقول لهم على جهة الوعيد والتقريع افأنبئكم اى اخبركم بشر من ذلكم والاشارة بذلكم الى السطو ثم ابتداء بخبر كأن قائلًا قال له وما هو قال النار اى نار جهنم * وقوله وعدها الله الذين كفروا يحتمل ان يكون اراد ان الله وعدهم بالنار فيكون الوعد فى الشر ويحتمل انه اراد ان الله سبحانه وعده النار بان يطعمها الكفار فيكون الوعد على بابه اذ الذى يقتضى قولها هل من مزيد ونحو ذلك ان ذلك من مسارها (ت) والظاهر الاول * وقوله سبحانه وان يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه الآية ذكر تعالى امر سلب الذباب وذلك انهم كانوا يضمخون اوتانهم بانواع الطيب فكان الذباب يتسلط ويذهب بذلك الطيب وكانوا يتألمون من ذلك فجعلت مثلاً واختلف المتأولون فى قوله تعالى ضعف الطالب والمطلوب فقالت فرقة اراد بالطالب الاصنام وبالمطلوب الذباب اى انهم ينبغي ان يكونوا طالبين لما يسلب من طيبهم على معهود الانفة فى الحيوان وقيل معناه ضعف الكفار فى طلبهم الصواب والفضيلة من جهة الاصنام وضعف الاصنام فى استلابه ما على الاصنام وضعف الاصنام فى ان لامنعة لهم وبالجمله فدلتهم الآية على ان الاصنام فى احط رتبة واخس منزلة لو كانوا يعقلون وماقدروا الله حق قدره المعنى ماوفوه حقه سبحانه من التعظيم والتوحيد * وقوله سبحانه الله بصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس الآية نزلت بسبب

قول الوليد بن المغيرة انزل عليه الذكر من بيننا (ص) ابو البقاء ومن الناس اي رسلا انتهى ثم امر سبحانه بعبادته وخص الركوع والسجود بالذكر تشريفا للصلاة واختلف الناس هل في هذه الآية سجدة ام لا قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا تقبلها قوم على انها سجدة تلاوة فسجدوها وقال ءاخرن هو سجود الصلاة فقصره عليه ورأى عمر وابنه عبد الله رضي الله عنهما انها سجدة تلاوة وانى لاسجدها واراها كذلك لما روى ابن وهب وغيره عن مالك وغيره انتهى وقوله سبحانه وافعلوا الخير ندب فيما عدا الواجبات (ت) وهذه الآية الكريمة عامة في انواع الخيرات ومن اعظمها الرأفة والشفقة على خلق الله ومواساة الفقراء واهل الحاجة وقد روى ابو داود والترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما مسلم كسا مسلما ثوبا على عري كساه الله من خضر الجنة وايما مسلم اطعم مسلما على جوع اطعمه الله من ثمار الجنة وايما مسلم سقى مسلما على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم انتهى وروى علي بن عبد العزيز البغوي في المسند المنتخب عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما مسلم كسا مسلما ثوبا كان في حفظ الله ما بقيت عليه منه رقعة وروى ابن ابي شيبه في مسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ايما اهل عرصة ظل فيهم امرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله انتهى من الكوكب الدري * وقوله سبحانه وجاهدوا في الله حق جهاده قالت فرقة الآية في قتال الكفار وقالت فرقة بل هي اعم من هذا وهو جهاد النفس وجهاد الكفار والظلمة وغير ذلك امر الله عباده بان يفعلوا ذلك في ذات الله حق فعله قال (ع) والعموم احسن وبين ان عرف اللفظة يقتضي القتال في سبيل الله * وقوله هو اجتباكم اي تخيركم وما جعل عليكم في الدين من حرج اي من تضيق وذلك ان الملة خفيفة سمحة ليست

كشداند بنى اسرائيل وغيرهم بل فيها التوبة والكفارات والرخص ونحو هذا مما يكثر عده ورفع الحرج عن هذه الامة لمن استقام منهم على منهاج الشرع واما السلافة والسراق واصحاب الحدود فهم ادخلوا الحرج على انفسهم بمفارقتهم الدين وليس فى الدين اشد من الزام رجل لاثنين فى سبيل الله ومع صحة اليقين وجودة العزم ليس بحرج وملة نصب بفعل مضر من افعال الاغراء * وقوله هوساكم قال ابن زيد الضمير لابراهيم والاشارة الى قوله ومن ذريتنا امة مسلمة لك وقال ابن عباس وقتادة ومجاهد الضمير لله عز وجل ومن قبل معناه فى الكتب القديمة وفى هذا اى فى القرآن وهذه اللفظة تضعف قول من قال الضمير لابراهيم عليه السلام ولا يتوجه الا على تقدير محذوف من الكلام مستأنف قال (ص) هو قيل يعود على الله تعالى وقيل على ابراهيم وعلى هذا فيكون وفى هذا القرآن اى وسميت بسببه فيه انتهى * وقوله سبحانه ليكون الرسول شهيدا عليكم اى بالتبليغ * وقوله وتكونوا شهداء على الناس اى بتبليغ رسلهم اليهم على ما اخبركم نبيكم ثم امر سبحانه بالصلاة المفروضة ان تقام ويدام عليها بجميع حدودها وبالزكاة ان تؤدى ثم امر سبحانه بالاعتصام به اى بالتعلق به والخلوص له وطلب النجاة منه ورفض التوكل على سواه * وقوله سبحانه هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير المولى فى هذه الآية معناه الذى يليكم نصره وحفظه وباقى الآية بين



تفسير سورة المومنين وهي مكية

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله سبحانه قد افلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون اخبر الله سبحانه عن فلاح المومنين وانهم نالوا البقية واحرزوا البقاء الدائم (ت) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحي يسمع عند وجهه صلى الله عليه وسلم دوي كدوي النحل فانزل عليه يوما فمكثنا ساعة وسري عنه فاستقبل القبلة ورفع يديه فقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا واثرنا ولا تؤثر علينا وارضا وارض عنا ثم قال انزلت نبي عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المومنون حتى ختم عشر آيات رواه الترمذي واللفظ له والنسائي والحاكم في المستدرک وقال صحيح الاسناد انتهى من سلاح المومن (ت) وقد نص بعض ائمتنا على وجوب الخشوع في الصلاة قال الغزالي رحمه الله ومن مكائد الشيطان ان يشغلك في الصلاة بفكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات لتمنع عن فهم ما تقرأ واعلم ان كل ما اشغلك عن معاني قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها انتهى من الاحياء وروي عن مجاهد ان الله تعالى لما خلق الجنة واتقن حسناتها قال قد افلح المومنون ثم وصف تعالى هؤلاء المفلحين فقال الذين هم في صلاتهم خاشعون والخشوع التظامن وسكون الاعضاء والوقار وهذا انما يظهر في الاعضاء ممن في قلبه

خوف واستكانة لانه اذا خشع قلبه خشعت جوارحه وروي ان سبب الآية ان المسلمين كانوا يلتفتون في صلاتهم يمنة ويسرة فنزلت هذه الآية وامروا ان يكون بصر المصلى حذاء قبلته او بين يديه وفي الحرم الى الكعبة واللفو سقط القول وهذا يعم جميع ما لا خير فيه ويجمع اداب الشرع وكذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه اي يعرضون عن اللفو وكأن الآية فيها موادة * والذين هم للزكاة فاعلون ذهب الطبري وغيره الى انها الزكاة المفروضة في الاموال وهذا بين ويحتمل اللفظ ان يريد بالزكاة الفضائل كانه اراد الا زكى من كل فعل كما قال تعالى خيرا منه زكاة واقرب رحما * وقوله تعالى والذين هم لفروجهم حافظون الى قوله العادون يقتضى تحريم الزنا والاستمنا ومواقعة البهائم وكل ذلك داخل في قوله وراء ذلك ويريد وراء هذا الحد الذى حد والعادى الظالم والامانة والعهد يجمع كل ما تحمله الانسان من امر دينه ودنياه قولاً وفعلًا وهذا يعم مباشرة الناس والمواعيد وغير ذلك ورعاية ذلك حفظه والقيام به والامانة اعم من العهد اذ كل عهد فهو امانة وقرأ الجمهور صلواتهم وقرأ حمزة والكسائي صلاتهم بالافراد والوارثون يريد الجنة وفي حديث ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جعل لكل انسان مسكناً فى الجنة ومسكناً فى النار فاما المومنون فيأخذون منازلهم ويرثون منازل الكفار ويحصل الكفار فى منازلهم فى النار (ت) وخرجه ابن ماجه ايضا بمعناه عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم الا من له منزلان منزل فى الجنة ومنزل فى النار فاذا مات يعنى الانسان ودخل النار ورث اهل الجنة منزله فذلك قوله تعالى اولئك هم الوارثون قال القرطبي فى التذكرة اسناده صحيح انتهى من التذكرة قال (ع) ويحتمل ان يسمى الله تعالى حصولهم فى الجنة وراثه من حيث حصولها دون غيرهم وفى الحديث عنه صلى الله عليه

وسلم انه قال ان الله احاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وغرس غراسها بيده وقال لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون فقال طوبى لك منزل الملوك خرج به البغوي في المسند المنتخب له انتهى من الكوكب الدرّي * وقوله سبحانه ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين الآية اختلف في قوله الانسان فقال قتادة وغيره اراد آدم عليه السلام لانه استل من الطين وقال ابن عباس وغيره المراد ابن آدم والقرار المكين من المرأة هو موضع الولد والمكين المتمكن والعلة الدم الغليظ والمضغة بضعة اللحم قدر ما يوضع واختلف في الخلق الآخر فقال ابن عباس وغيره هو نفخ الروح فيه وقال ابن عباس ايضا هو خروجه الى الدنيا وقال ايضا تصرفه في امور الدنيا وقيل هونبات شعره قال (ع) وهذا التخصيص كله لوجه له وانما هو عام في هذا وغيره من وجوه النطق والادراك وحسن المحاولة وتبارك مطاوع بارك فكانها بمنزلة تعالى وتقدس من معنى البركة * وقوله احسن الخالقين معناه الصانعين يقال لمن صنع شيئا خلقه وذهب بعض الناس الى نفي هذه اللفظة عن الناس فقال ابن جريج انما قال الخالقين لانه تعالى اذن لعيسى في ان يخلق واضطرب بعضهم في ذلك قال (ع) ولا تنفي اللفظة عن البشري معنى الصنع وانما هي منفية بمعنى الاختراع والابجاد من العدم * وقوله سبحانه ثم انكم بعد ذلك لميتون اي بعد هذه الاحوال المذكورة ويريد بالسبع الطرائق السموات والطرائق كل ما كان طبقات بعضه فوق بعض ومنه طارقت نعلى ويجوز ان تكون الطرائق بمعنى المبسوطات من طرقت الشيء (ت) وقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر الآية ظاهر الآية انه ماء المطر واسند ابو بكر ابن الخطيب في اول تاريخ بغداد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انزل الله من الجنة الى الارض خمسة انهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهر العراق والنيل وهو نهر مصر انزلها الله تعالى

من عين واحدة من عيون الجنة من اسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل فاستودعها الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معاشهم فذلك قوله تعالى وانزلنا من السماء ماء بقدر فاسكنناه في الارض فاذا كان عند خروج ياجوج وماجوج ارسل الله تعالى جبريل فرفع من الارض القرءان والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع ذلك كله الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقد اهلها خير الدين والدنيا وفي رواية خير الدنيا والآخرة انتهى فان صح هذا الحديث فلا نظر لاحد معه ونقل ابن العربي في احكامه هذا الحديث ايضا عن ابن عباس وغيره ثم قال في اخره وهذا جائز في القدرة ان صحت به الرواية انتهى قال (ع) قوله تعالى ماء بقدر قال بعض العلماء اراد المطر وقال بعضهم انما اراد الانهار الاربعة سيحان وجيحان والفرات والنيل قال (ع) والصواب ان هذا كله داخل تحت الماء الذي انزله الله تعالى * وقوله تعالى لكم فيها فواكه كثيرة يحتمل ان يعود الضمير على الجنات فيشمل انواع الفواكه ويحتمل ان يعود على النخيل والاعناب خاصة اذ فيهما مراتب وانواع والاول اعم لساائر الثمرات * وقوله سبحانه وشجرة عطف على قوله جنات ويريد بها الزيتون وهي كثيرة في طور سيناء من ارض الشام وهو الجبل الذي كلم فيه موسى عليه السلام قاله ابن عباس وغيره والطور الجبل في كلام العرب واختلف في سيناء فقال قتادة معناه الحسن وقال الجمهور هو اسم الجبل كما تقول جبل احد وقرأ الجمهور تنبت بفتح التاء وضم الباء فالتقدير تنبت ومعها الدهن كما تقول خرج زيد بسلاحه وقرأ ابن كثير وابو عمرو تنبت بضم التاء وكسر الباء واختلف في التقدير على هذه القراءة فقالت فرقة الباء زائدة

كما في قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة وقالت فرقة التقدير تنبت جناها ومعه الدهن فالمفعول نحذوف وقيل نبت وانبت بمعنى فيكون المعنى كما مضى في قراءة الجمهور والمراد بالآية تعديد النعم على الانسان وباقي الآية بين * وقوله سبحانه ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون فقال الملائ الذين كفروا من قومه ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم الآية هذا ابتداء تمثيل لكفار قريش باسم كفرت بانبيائها فاهلكوا وفي ضمن ذلك الوعيد بان يحل بهؤلاء نحو ما حل باولئك والملائ الاشراف والجنة الجنون وحتى حين معناه الى وقت يربحكم القدر منه ثم ان نوحا عليه السلام دعا على قومه حين يش منهم وان كان دعاؤه في هذه الآية ليس بنص وانما هو ظاهر من قوله بما كذبون فهذا يقتضى طلب العقوبة واما النصرة بمجرد ما كانت تكون بردهم الى الايمان * وقوله عز وجل فاوحينا اليه ان اصنع الفلك باعيننا ووحينا فاذا جاء امرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واهلك الامن سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون فاذا استويت انت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله قوله باعيننا عبارة عن الادراك هذا مذهب الحذاق ووقفت الشريعة على اعين وعين ولا يجوز ان يقال عينان من حيث لم توقف الشريعة على التشنية ووحينا معناه في كيفية العمل ووجه البيان لجميع حكم السفينة وما يحتاج اليه وامرنا يحتمل ان يكون واحد الاوامر ويحتمل ان يريد واحد الامور والصحيح من الاقوال في التنور انه تنور الخبز وانها اشارة كانت بين الله تعالى وبين نوح عليه السلام * وقوله فاسلك معناه فادخل يقال سلك واسلك بمعنى قرأ حفص عن عاصم من كل بالتنوين والباقون بغير تنوين والزوجان كل ما شأنه الاصطحاب من كل شيء نحو الذكر والانثى مبن الحيوان ونحو النعال

وغيرها هذا موقع اللفظة في اللغة * وقوله واهلك يريد قرابته ثم استثنى من سبق عليه القول بانه كافر وهوانه وامراته ثم امر نوح ان لا يراجع ربه ولا يخاطبه شافعا في احد من الظالمين ثم امر بالدعاء في بركة المنزل * وقوله سبحانه ان في ذلك لايات خطاب لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثم اخبر سبحانه انه يتلى عباده الزمن بعد الزمن على جهة الوعيد لكفار قريش بهذا الاخبار واللام في لمبتلين لام تأكيد ومبتلين معناه مصيبين ببلاء ومختبرين اختبارا يؤدى الى ذلك * وقوله سبحانه ثم انشأنا من بعدهم قرنا آخرين قال الطبري رحمه الله ان هذا القرن هم ثمود قوم صالح قال (ع) وفي جل الروايات ما يقتضى ان قوم عاد اقدم الا انهم لم يهلكوا بصيحة (ت) وهو ظاهر ترتيب قصص القران ان عاد اقدم واتفقناهم معناه نعمناهم وبسطناهم الاموال والازراق وقولهم ايدكم استفهام على جهة الاستبعاد وانكم الثانية بدل من الاولى عند سيبويه وقولهم هيهات هيهات استبعاد وهيهات احيانا تلى الفاعل دون لام تقول هيهات محبي زيد اي بعد ذلك ومنه قول جرير

فهيها هيهات العقيق ومن به * وهيها تخل بالعقيق نواصله
واحيانا يكون الفاعل محذوفا وذلك عند وجود اللام كهذه الآية التقدير بعد الوجود لما توقعن قال (ص) ورد بان فيه حذف الفاعل وحذف المصدر وهو الوجود وذلك غير جائز عند البصريين وذكر ابو البقاء ان اللام زائدة وما فاعل اي بعد ما توقعن قال ابو حيان وهذا تفسير معنى لا اعراب لانه لم تثبت مصدرية هيهات انتهى وقولهم ان هي الاحياتنا الدنيا ارادوا انه لا وجود لنا غير هذا الوجود وانما تموت منا طائفة فتذهب وتجيء طائفة جديدة وهذا هو كفر الدهرية * وقوله قال عما قليل ليصبحن نادمين المعنى قال الله لهذ النبي الداعي عما قليل يندم قومك على كفرهم حين لا ينفعهم الندم ومن ذكر الصيحة ذهب الطبري

الى انهم قوم ثمود * وقوله بالحق اي بما استحقوا بافعالهم وبما حق منا في عقوبتهم والغناء ما يحمله السيل من زبده الذي لا ينتفع به فيشه كل هامد وتالف بذلك قال ابو حيان وبعدا منصوب بفعل محذوف اي بعدوا بعدا اي هلكوا انتهى ثم اخبر سبجانه انه انشأ بعد هؤلأ، اما كثيرة كل امة باجل وفي كتاب لا تتعداه في وجودها وعند موتها وتترى مصدر من تواتر الشيء * وقوله سبجانه فاتبعنا بعضهم بعضا اي في الاهلاك * وقوله تعالى وجعلناهم احاديث يريد احاديث مثل وفلما يستعل الجعل حديثا الا في الشر وعالين معناه قاصدين للعلو بالظلم وقولهم وقومها لنا عابدون معناه خادمون متذللون والطريق المعد المذلل ومن المهلكين يريد بالفرق * وقوله سبجانه ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التوراة ولعلمهم يريد بني اسرائيل لان التوراة انما نزلت بعد هلاك فرعون والقبط والربوة المرتفع من الارض والقرار التمكن وبين ان ماء هذه الربوة يرى معينا جاريا على وجه الارض قاله ابن عباس والمعين الظاهر الجري للعين فالميم زائدة وهو الذي يعاين جريه لا كالبير ونحوه ويحتمل ان يكون من قولهم معن الماء اذا كثر وهذه الربوة هي الموضع الذي فرت اليه مريم وقت وضع عيسى عليه السلام هذا قول بعض المفسرين واختلف الناس في موضع الربوة فقال ابن المسيب هي الغوطة بدمشق وهذا اشهر الاقوال لان صفة الغوطة انها ذات قرار ومعين على الكمال وقال كعب الاحبار الربوة بيت المقدس وزعم ان في التوراة ان بيت المقدس اقرب الارض الى السماء وانه يزيد على الارض ثمانية عشر ميلا قال (ع) ويترجح ان الربوة في بيت لحم من بيت المقدس لان ولادة عيسى هنالك كانت وحيث كان الايواء وقال ابن العربي في احكامه اختلف الناس في تعيين هذه الربوة على اقوال منها ما تفسر لفة ومنها ما تفسر نقلا فيفتقر الى صحة سنده الى النبي صلى الله عليه وسلم الا

ان هاهنا نكتة وذلك انه اذا نقل الناس نقل تواتر ان هذا موضع كذا وان هذا الامر جرى كذا وقع العلم به ولزم قبوله لان الخبر المتواتر ليس من شرطه الايمان وخبر الآحاد لا بد من كون المخبر به بصفة الايمان لانه بمنزلة الشاهد والخبر المتواتر بمنزلة العيان وقد بينا ذلك في اصول الفقه والذي شاهدت عليه الناس ورأيتهم يعينونه تعيين تواتر موضع في سفح الجبل في غربي دمشق انتهى وما ذكره من ان التواتر ليس من شرطه الايمان هذا هو الصحيح وفيه خلاف الا انا لانسلم ان هذا متواتر لاختلال شرطه انظر المنتهى لابن الحاجب * وقوله سبحانه يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم يحتمل ان يكون معناه وقلنا يا ايها الرسل وقالت فرقة الخطاب بقوله يا ايها الرسل للنبي صلى الله عليه وسلم قال (ع) والوجه في هذا ان يكون الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وخرج بهذه الصيغة ليفهم وجيزا ان المقالة قد خوطب بها كل نبي، اوهي طريقتهم التي ينبغي لهم الكون عليها كما تقول لعالم يا علما، انكم ائمة يقتدى بكم فتمسكوا بعلمكم وقال الطبري الخطاب لعيسى (ت) والصحيح في تاويل الآية انه امر المرسلين كما هو نص صريح في الحديث الصحيح فلا معنى للتردد في ذلك وقد روى مسلم والترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب ولا يقبل الاطيبا وان الله امر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا اني بما تعملون عليم وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب لذلك اه * وقوله تعالى وان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاتقون فتقطعوا امرهم بينهم ذبرا كل حزب بما لديهم فرحون وهذه

الآية تقوى ان قوله تعالى يا ايها الرسل انما هو مخاطبة لجميعهم وانه بتقدير حضورهم واذا قدرت يا ايها الرسل مخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم قلق اتصال هذه واتصال قواه فتقطعوا ومعنى الامة هنا الملة والشرية والاشارة بهذه الى الحنيفية السمحة ملة ابراهيم عليه السلام وهو دين الاسلام * وقوله سبحانه فتقطعوا يريد الامم اي افترقوا وليس بفعل مطاوع كما تقول تقطع الثوب بل هو فعل متعد بمعنى قطعوا وقرأ نافع زبرا جمع زبور وهذه القراءة تحتمل معنيين احدهما ان الامم تنازعت كتباً منزلة فانبثت فرقة الصحف وفرقة التوراة وفرقة الانجيل ثم حرف الكل وبديل وهذا قول قتادة والثاني انهم تنازعوا امرهم كتباً وضعوها وضلالة الفوها قاله ابن زيد وقرأ ابو عمرو بخلاف زبرا بضم الزاي وفتح الباء ومعناها فرقا كزبر الحديد ومن حيث كان ذكر الامم في هذه الآية مثالا لقريش خاطب الله سبحانه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في شأنهم متصلا بقوله فذرهم اي فذر هؤلاء الذين هم بمنزلة من تقدم والغمرة ما عمهم من ضلالهم وفعل بهم فعل الماء النمر بما حصل فيه والخيرات هنا نعم الدنيا * وقوله سبحانه والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة الآية اسند الطبري عن عائشة انها قالت قلت يا رسول الله قوله تعالى يوتون ماء اتوا اهي في الذي يزني ويسرق قال لا يا بنت ابي بكر بل هي في الرجل يصوم ويتصدق وقله وجل يخاف ان لا يتقبل منه قال (ع) ولا نظرم مع الحديث والوجل نحو الاشفاق والخوف وصورة هذا الوجل اما المخطاط فينبغي ان يكون ابدا تحت خوف من ان يكون ينفذ عليه الوعيد بتخليطه واما التثني او التائب فخوفه امر الخاتمة وما يطلع عليه بعد الموت وفي قوله تعالى انهم الى ربهم راجعون تنبيهه على الخاتمة وقال الحسن معناه الذين يفعلون ما يفعلون من البر ويخافون ان لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم وهذه عبارة حسنة

وروي عن الحسن ايضا انه قال المؤمن يجمع احسانا وشفقة والمنافق يجمع
 اساءة وامنا (ت) ولهذا الخطب العظيم اطال الاولياء في هذه الدار حزنهم
 واجروا على الوجنات مدا معهم قال ابن المبارك في رقايقه اخبرنا سفيان قال
 انما الحزن على قدر البصيرة قال ابن المبارك واخبرنا مالك بن مغول عن رجل
 عن الحسن قال ما عبد الله بمثل طول الحزن وقال ابن المبارك ايضا اخبرنا مسعر
 عن عبد الاعلى التيمي قال ان من اوتي من العلم ما لا يبكيه خليف ان لا يكون
 اوتي علما ينفعه لان الله تعالى نعت العلماء فقال ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا
 يتلى عليهم الى قوله ويخرون للاذقان يبكون انتهى * وقوله سبحانه
 اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون اي اليها سابقون وهذا قول بعضهم
 في قوله لها وقالت فرقة معناه وهم من اجلها سابقون وقال الطبري عن ابن عباس
 المعنى سبقت لهم السعادة في الازل فهم لها ورجحه الطبري بان اللام متمكنة في
 المعنى * وقوله سبحانه ولدينا كتاب ينطق بالحق اظهر ما قيل فيه انه اراد كتاب
 احصاء الاعمال الذي ترفعه الملائكة وقيل الاشارة الى القرآن والاول اظهر *
 وقوله سبحانه بل قلوبهم في غمرة من هذا اختلف في الاشارة بقوله من هذا هل
 هي الى القرآن او الى كتاب الاحصاء او الى الدين بجملة او الى النبي صلى
 الله عليه وسلم ولهم اعمال اي من الفساد هم لها عاملون في الحال والاستقبال
 والمترف النعم في الدنيا الذي هو منها في سرف ويخرون معناه يستغيثون
 بصياح كصياح البقر وكثرا استعمال الجوار في البشر ومنه قول الاعشى

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جوارا

وقال (ص) جار الرجل الى الله تعالى اي تضرع قاله الحوفي انتهى وذهب
 مجاهد وغيره الى ان هذا العذاب المذكور هو الوعيد بيوم بدر وقيل غير هذا *
 وقوله سبحانه لا تجزوا اليوم اي يقال لهم يوم العذاب لا تجزوا اليوم *

وقوله قد كانت آياتي تتلى عليكم يعني القرآن وتنكصون معناه ترجعون وراءكم وهذه استعارة للاعراض والادبار عن الحق ومستكبرين حال والضمير في به عائد على الحرم والمسجد وان لم يتقدم له ذكر لشهرته والمعنى انكم تعتقدون في نفوسكم ان لكم بالمسجد الحرام اعظم الحقوق على الناس والمنزلة عند الله فانتم تستكبرون لذلك وليس الاستكبار من الحق وقالت فرقة الضمير عائد على القرآن المعنى يحدث لكم سماع آياتي كبرا وطغيانا وهذا قول جيد وذكر منذر ابن سعيد ان الضمير للنبي صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بما بعده كأن الكلام تم في قوله مستكبرين ثم قال بمحمد عليه السلام سامرا تهجرون وسامرا حال وهو مفرد بمعنى الجمع يقال قوم سمر وسمر وسامر ومعناه سهر الليل ماخوذ من السمر وهو ما يقع على الاشخاص من ضوء القمر وكانت العرب تجلس للسمر تتحدث وهذا اوجب معرفتها بالنجوم لانها تجلس في الصحراء فتري الطوالع من الغوارب وقرأ ابورجاء سمارا وقرأ ابن عباس وغيره سمرا وكانت قريش تسمرحول الكعبة في اباطيلها وكفرها وقرأ السبعة غير نافع تهجرون بفتح التاء وضم الجيم قال ابن عباس معناه تهجرون الحق وذكر الله وتقطعونه من الهجران المعروف وقال ابن زيد هو من هجر المريض اذا هذى اي تقولون المغو من القول وقاله ابو حاتم وقرأ نافع وحده تهجرون بضم التاء وكسر الجيم وهي قراءة اهل المدينة ومعناه تقولون الفحش والهجر من القول وهذه اشارة الى سبهم النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه قاله ابن عباس ايضا وغيره ثم ونجهم سبحانه بقوله افلم يدبروا القول لانهم بعد التدبر والنظر الفاسد قال بعضهم شعر وبعضهم سحر وغير ذلك ام جاءهم ما لم يات آباءهم الاولين اي ليس ببدع بل قد جاء آباءهم الاولين وهم سالف الامم الرسل كنوح وابراهيم واسماعيل وغيرهم وفي هذا التاويل من التجوز ان جعل سالف الامم آباء اذ الناس في الجملة اخرهم من اولهم

ام لم يعرفوا رسولهم المعنى لم يعرفوا صدقه وامانته مدة عمره صلى الله عليه وسلم *
 وقوله سبحانه ولو اتبع الحق اهواءهم قال ابن جريج وابو صالح الحق الله تعالى
 قال (ع) وهذا ليس من نط الآية وقال غيرها الحق هنا الصواب والمستقيم
 قال (ع) وهذا هو الاخرى ويستقيم على هذا فساد السموات والارض ومن
 فيهن لو كان بحكم هوى هؤلاء وذلك انهم جعلوا لله شركاء واولادا ولو كان هذا
 حقاً لم تكن لله عز وجل الصفات العلية ولو لم تكن له سبحانه لم تكن الصنعة ولا
 القدرة كما هي وكان ذلك فساد السموات والارض ومن فيهن لو كان فيها الهة
 الا الله لفسدتا * وقوله سبحانه بل اتيناهم بذكرهم قال ابن عباس بو عظمهم ويحتمل
 بشرفهم وهو مروي ام تسلمهم خرجا الخرج والحراج بمعنى وهو المال الذي يجبي
 ويؤتى به لاوقات محدودة * وقوله سبحانه فخرج ربك خير يريد ثوابه ويحمل
 ان يريد بخراج ربك رزقه ويؤيده قوله وهو خير الرازقين والصراط المستقيم
 دين الاسلام وناكبون اي مجادلون ومعرضون وقال البخاري لنا كيون لعادلون
 انتهى قال ابو حيان يقال نكب عن الطريق ونكب بالتشديد اي عدل عنه
 انتهى ثم اخبر تعالى عنهم انهم لوزال عنهم التحط ومن الله عليهم بالخصب ورحمهم
 بذلك لبقوا على كفرهم ولجوا في طغيانهم وهذه الآية نزلت في المدة التي
 اصاب فيها قريشا السنون الجدة والجوع الذي دعا به النبي صلى الله عليه وسلم
 في قوله اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف الحديث ولقد اخذناهم بالعذاب
 قال ابن عباس وغيره هو الجوع والجذب حتى اكلوا الجلود وما جرى مجراها
 وروي انهم لما بلغهم الجهد ركب ابوسفيان وجاء الى النبي صلى الله عليه وسلم
 بالمدينة فقال يا محمد الست ترعم انك بمث رحمة للعالمين قال بلى قال قد قتلت
 الاباء بالسيف والابناء بالجوع وقد اكلنا العلهز فنزلت الآية واستكانوا منه تواضعوا
 وانخفضوا * وقوله سبحانه حتى اذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد الآية

توعد بعذاب غير معين وهذا هو الصواب وهذه المجاعة انما كانت بعد وقعة بدر والمبلس الذى قد نزل به شر ويئس من زواله ونسخه بخير ثم ابتداء تعالى بتعديد نعم في نفس تعديدها استدلال بها على عظم قدرته سبحانه فقال وهو الذى انشأ لكم السمع والابصار الالية انشأ بمعنى اخترع والافئدة القلوب وذراىث وخلق * وقوله بل اضرب والجحد قبله مقدر كانه قال ليس لهم نظر في هذه الآيات اونحو هذا والاولون يشير به الى الامم الكافرة كعاد وثمود * وقوله تعالى لقد وعدنا نحن وءاباؤنا هذا من قبل آالية قولهم وءاباؤنا ان حكى المقالة عن العرب فرادهم من سلف من العالم جعلوهم ءاباء من حيث النوع واحد وكونهم سلفا وفيه تجوز وان حكى ذلك عن الاولين فالامر مستقيم فيهم * وقوله سبحانه قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل افلا تذكرون قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل افلا تتقون قل من بيده ملكوت كل شي . وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل فاني تسحرون امر الله تعالى نبيه عليه السلام بتوقيفهم على هذه الاشياء التى لا يمكنهم الا الاقرار بها ويلزم من الاقرار بها توحيد الله واذعائهم لشرعه ورسالة رسله وقرأ الجميع فى الاول لله بلا خلاف واختلف فى الثانى والثالث فقرأ ابو عمرو وحده الله جوابا على اللفظ وقرأ باقى السبعة لله جوابا على المعنى كانه قال فى السؤال لمن ملك السموات السبع * وقوله سبحانه فاني تسحرون استعارة وتشبيه لما وقع منهم من التخليط ووضع الافعال والاقوال غير مواضعها ما يقع من المسحور عبر عنهم بذلك وقالت فرقة تسحرون معناه تمنعون وحكى بعضهم ذلك لغة والاجارة المنع والمعنى ان الله اذا اراد منع احد فلا يُقدَر عليه واذا اراد اخذه فلا مانع له * وقوله سبحانه وانهم لكاذبون اي فيما ذكروه من الصاحبة والولد والشريك تعالى الله

عن قولهم علوا كبيرا وفي قوله سبحانه وما كان معه من اله الآلية دليل التمايز وهذا هو الفساد الذي تضمنه قوله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والجزء المخترع محال ان تتعلق به قدرتان فصاعدا وقد تقدم الكلام على هذا الدليل فانغى عن اعادته * وقوله اذا جواب لمحذوف تقديره لو كان معه اله اذا لذهب * وقوله عالم الغيب المعنى هو عالم الغيب وقرأ ابو عمرو وغيره عالم بالجر اتباعا للمكتوبة * وقوله سبحانه قل رب اما ترينى ما يوعدون رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين امر الله تعالى نبيه عليه السلام ان يدعو لنفسه بالنجاة من عذاب الظلمة ان كان قضى ان يرى ذلك وان شرط وما زائدة وترينى جزم بالشرط لزمته النون الثقيلة وهي لا تفارق اما عند المبرد ويجوز عند سيبويه ان تفارق ولكن استعمال القرءان لزومها فن هنالك الزمه المبرد وهذا الدعاء فيه استصحاب الحشية والتحذير من الامر بالمعذب من اجله ثم نظيره لسائر الامة دعاء فى حسن الخاتمة وقوله ثانيا رب اعترض بين الشرط وجوابه * وقوله سبحانه ادفع بالتى هي احسن السيئة امر بالصفح ومكارم الاخلاق وما كان منها لهذا فهو محكم باق فى الامة ابدا وما كان بمعنى الموادة فمفسوخ بناية القتال * وقوله نحن اعلم بما يصفون يقتضى انها اية موادة وقال مجاهد الدفع بالتى هي احسن هو السلام تسلم عليه اذا لقيته وقال الحسن والله لا يصيبها احد حتى يكظم غيظه ويصفح عما يكره وفى الآية عدة للنبي صلى الله عليه وسلم اى اشتغل انت بهذا وكل امرهم الينا ثم امره سبحانه بالتعوذ من همزات الشياطين وهي سورات الغضب التى لا يملك الانسان فيها نفسه وكانها هي التى كانت تصيب المؤمنين مع الكفار فتقع المجادلة ولذلك اتصلت بهذه الآية وقال ابن زيد همز الشيطان الجنون وفى مصنف ابى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم انى اعوذ بك من الشيطان همزه ونفخه ونفثه قال

ابوداود همزه الموتة ونفخه الكبر ونفثه السحر قال (ع) والتزغات وسورات الغضب من الشيطان وهي المتعوذ منها في الآية واصل الهمز الدفع والوكز بيذا وغيرها (ت) قال صاحب سلاح المومن وهمزات الشياطين خطراتها التي تخطر بها قلب الانسان انتهى وقال الواحدي همزات الشياطين نزعاتها ووساوسها انتهى * وقوله سبحانه حتى اذا جاء احدهم الموت قال رب ارجعون ليلي اعمل صالحا فيما تركت حتى في هذا الموضع حرف ابتداء والضمير في قوله احدهم للكفار وقوله ارجعون اي الى الحياة الدنيا والنون في ارجعون نون العظمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة اذا عاين المومن الموت قالت له الملائكة نرجعك فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدما الى الله واما الكافر فيقول ارجعون ليلي اعمل صالحا * وقوله كلا رد وزجر * وقوله انها كلمة هو قائلها تحتل ثلاثة معان احدها الاخبار الموكدة بان هذا الشيء يقع ويقول هذه الكلمة الثانية ان يكون المعنى انها كلمة لا تغني اكثر من انه يقولها ولا نفع له فيها ولا غوث الثالث ان يكون اشارة الى انه لورد لعاد والضمير في ورائهم للكفار والبرزخ في كلام العرب الحاجز بين المسافتين ثم يستعار لما عدا ذلك وهو هنا للمدة التي بين موت الانسان وبين بعثه هذا اجماع من المفسرين * وقوله عز وجل فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم الآية قال ابن مسعود وغيره هذا عند النفخة الثانية وقيام الناس من القبور فهم حينئذ لهول المطلاع واشتغال كل امرئ بنفسه قد انقطعت بينهم الوسائل وزال انتفاع الانساب فلذلك نفاها سبحانه والمعنى فلا انساب نافعة وروي عن قتادة انه ليس احد ابض الى الانسان في ذلك اليوم ممن يعرف لانه يخاف ان يكون له عنده مظلمة وفي ذلك اليوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبه وبنه ويفرح كل احد يومئذ ان يكون له حق على ابنه وابيه وقد ورد بهذا حديث وكان

ارتفاع التساؤل لهذه الوجوه ثم تأتي في القيامة مواطن يكون فيها السؤال والتعارف قال (غ) وهذا التاويل حسن وهو مروي المعنى عن ابن عباس وذكر البزار من حديث انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ملك موكل بالميزان فيوقى بابن آدم فيوقف بين كفتي الميزان فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق سعد فلان سعادة لايشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلائق شقي فلان شقاوة لايسعد بعدها ابدا انتهى من العاقبة وروى ابو داود في سننه عن عائشة انها ذكرت النار فبكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مايبكيك قالت ذكرت النار فبكت فهل تذكرون اهليكم يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما في ثلاثة مواطن فلا يذكر احد احدا عند الميزان حتى يعلم انخف ميزانه ام يشقل وعند الكتاب حتى يقول هاؤم اقرءوا كتابيه حتى يعلم اين يعطى كتابه افي يمينه ام في شماله ام من واء ظهره وعند الصراط اذا وضع بين ظهري جهنم انتهى ولفح النار اصابتها بالوهج والاحراق والكلوح انكشاف الشفتين عن الاسنان وقد شبه ابن مسعود ما في الآية بما يعتري رؤوس الكباش اذا شيطت بالنار فانها تكلم ومنه كلوح الكب والاسد (ت) وفي الترمذي عن ابي سعيد الحديري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهم فيها كالحون قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته الحديث قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح غريب انتهى وهذا هو الماعول عليه في فهم الآية واما قول البخاري كالحون معناه عابسون فقير ظاهر ولعله لم يقف على الحديث * وقوله سبحانه الم تكن آياتي اي يقال لهم والآيات هنا القراءان وقرأ حمزة شقاوتنا ثم وقع جواب رغبتهم بحسب ما حتمه الله من عذابهم بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون ويقال ان

هذه الكلمة اذا سمعوها يشعروا من كل خير فتنتطق عليهم جهنم وبقع اليأس عافانا الله من عذابه بمنه * وقوله اخسئوا زجروا وهو مستعمل في زجر الكلاب * وقوله عز وجل انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا ءامننا الآيات الهاء في انه مبهمه وهي ضمير الامر والشان والفريق المشار اليه كل مستضعف من المؤمنين يتفق ان تكون حاله مع كفار مثل هذه الحال ونزلت الآية في كفار قريش مع صهيب وعمار وبلال ونظر ائهم ثم هي عامة فيمن جرى مجراها قديما وبقية الدهر وقرأ نافع وحمة والكسائي سخر يا بضم السين والباقون بكسرها فقليل هما بمعنى واحد ذكر ذلك الطبري وقال ذلك ابو زيد الانصاري انها بمعنى الهز * وقال ابو عبيدة وغيره ان ضم السين من السخرة والاستخدام وكسرها من السخر وهو الاستهزاء ومعنى الاستهزاء هنا اليق الا ترى الى قوله وكنتم منهم تضحكون * وقوله سبحانه كم لبثتم في الارض عدد سنين الآية قوله في الارض قال الطبري معناه في الدنيا احياء وعن هذا وقع السؤال ونسوا لفرط هول العذاب حتى قالوا يوما او بمض يوم والغرض توقيفهم على ان اعمارهم قصيرة اداهم الكفر فيها الى عذاب طويل عافانا الله من ذلك بمنه وقال الجمهور معناه كم لبثتم في جوف التراب امواتا قال (ع) وهذا هو الاصبوب من حيث انكروا البعث وكان قولهم انهم لا يقومون من التراب وقوله ءاخرا وانكم اليها لا ترجعون يقتضى ما قلناه (ت) الآيات محتملة للمعنيين والله اعلم بما اراد سبحانه قال البخاري قال ابن عباس فاسأل العادين اي الملائكة انتهى (ص) قرأ الجمهور العادين بتشديد الدال اسم فاعل من عد وقرأ الحسن والكسائي في رواية العادين بتخفيف الدال اي الظلمة وان من قوله ان لبثتم نافية اي ما لبثتم الا قليلا اه وعبثا معناه باطلا لغير غاية مرادة وخرج ابو نعيم الحافظ عن حنش الصنعاني عن ابن مسعود انه قرأ في اذن مبتلى الخسبتم انما خلقناكم عبثا الى ءاخرا السورة فافاق

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قرأت في اذنه قال قرأت اخسبتم الى آخر السورة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لوان رجلا موقنا قرأها على جبل لزال انتهى وخرجه ابن السني ايضا ذكره النووي * وقوله سبحانه فتعالى الله الملك الحق المعنى فتعالى الله عن مقاتلهم في دعوى الشريك والصاحبة والولد ثم توعد سبحانه عبدة الاوثان بقوله فانما حسابه عند ربه وفي حرف عبد الله عند ربك وفي حرف ابي عند الله ثم امر تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالدعاء والذكر له فقال وقل رب اغفر وارحم وانت خير الراحمين



﴿ تفسير سورة النور وهي مدنية ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى سورة ازلناها وفرضناها الآية معنى فرضنا اوجبنا واثبتنا وقال الثعلبي والواحدي فرضناها اي اوجبنا ما فيها من الاحكام انتهى وقال البخاري قال ابن عباس سورة ازلناها بينها انتهى وما تقدم ابين (ص) فرضناها الجمهور بتخفيف الراء اي فرضنا احكامها وابو عمرو وابن كثير بتشديد الراء اما للمبالغة في الانجاب واما لان فيها فرائض شتى انتهى والآيات البينات امثالها ومواعظها واحكامها * وقوله تعالى الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة الآية هذه الآية ناسخة لآية الحبس باتفاق وحكم المحصنين منسوخ بآية الرجم والسنة المتواترة على ما تقدم في سورة النساء وقرأ الجمهور

رافة بهمة ساكنة من راف اذا رق ورحم والرافة المنهي عنها هي في
 اسقاط الحد اي اقيموه ولا بد وهذا تاويل ابن عمر وغيره وقال قتادة وغيره
 هي في تخفيف الضرب عن الزناة ومن رأيهم ان يخفف ضرب الحمر والفرية
 دون ضرب الزنا * وقوله تعالى وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين اي
 اغلاظا على الزناة وتوبيخا لهم ولا خلاف ان الطائفة كلما كثرت فهو اليق
 بامثال الامر واختلف في اقل ما يجزئ فقال الزهري الطائفة ثلاثة فصاعدا
 وقال عطاء لابد من اثنين وهذا هو مشهور قول مالك فراءها موضع شهادة *
 وقوله تعالى الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة مقصد الآية تشيع الزنا
 وتشيع امره وانه محرم على المؤمنين ويريد بقوله لا ينكح اي لا يوطأ فالكاح هنا
 بمعنى الجماع كقوله تعالى حتى تنكح زوجا غيره وقد بينه صلى الله عليه
 وسلم في الصحيح انه بمعنى الوطء حيث قال لاحق تذوق عسيلته الحديث
 وتحتمل الآية وجوها هذا احسنها * وقوله سبحانه والذين يرمون المحصنات
 ثم لم ياتوا باربعة شهداء الآية نزلت بسبب القاذفين وذكر تعالى في الآية
 قذف النساء من حيث هو اهم وابشع وقذف الرجال داخل في حكم
 الآية بالمعنى والاجماع على ذلك والمحصنات هنا العفاف وشدد تعالى على القاذف
 باربعة شهداء رحمة بعباده وسترا لهم وحكم شهادة الاربعة ان تكون على
 معاينة مبالغة كالمرود في المكحلة في موطن واحد فان اضطرب منهم واحد
 جلد الثلاثة والجلد الضرب ثم امر تعالى ان لا تقبل للقذفة المحدودين شهادة
 ابدا وهذا يقتضى مدة اعمارهم ثم حكم بفسقهم ثم استثنى تعالى من تاب
 واصلح من بعد القذف فالاستثناء غير عامل في جلده باجماع وعامل في فسقه
 باجماع واختلف في عمله في رد الشهادة والجمهور انه عامل في رد الشهادة فاذا
 تاب القاذف قبلت شهادته ثم اختلفوا في صورة توبته فقليل بان يكذب

نفسه والام لم تقبل وقالت فرقة منها مالك توبته ان يصلح وتحسن حاله وان لم يرجع عن قوله بكذب واختلف فقهاء المالكية متى تسقط شهادة القاذف فقال ابن الماجشون بنفس قذفه وقال ابن القاسم وغيره لا تسقط حتى يعجلد فان منع من جلده مانع عفو او غيره لم ترد شهادته قال اللخمي شهادته في مدة الاجل للانبات موقوفة وتابوا معناه رجعوا وقد رجح الطبري وغيره قول مالك واختلف ايضا على القول بجواز شهادته فقال مالك تجوز في كل شي باطلاق وكذلك كل من حد في شي وقال سحنون من حد في شي فلا تجوز شهادته في مثل ما حذفيه واتفقوا فيما احفظ على ولد الزنا ان شهادته لا تجوز في الزنا * وقوله سبحانه والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم الآية لما رمى هلال بن امية الواقفي زوجته بشريك بن سحما عزم النبي صلى الله عليه وسلم على ضربه حد القذف فنزلت هذه الآية حسبا هو مشروح في الصحاح فجمعها صلى الله عليه وسلم في المسجد وتلاعنا وجاء ايضا عويمر المجلافي فرمى امراته ولاعن والمشهور ان نازلة هلال قبل وانها سب الآية والازواج في هذه الآية يعم المسلمات والكافرات والاماء فكلهن يلاعنهن الزوج للانتفاء من الحمل وتختص الحرة بدفع حد القذف عن نفسها وقرا السبعة غير نافع ان لعنة وان غضب بتشديد ان فيهما ونصب اللعنة والغضب والعذاب المدرا في قول الجمهور هو الحد وجعلت اللعنة للرجل الكاذب لانه مفترمباها فابعد باللعة وجعل الغضب الذي هو اشد على المرأة التي باشرت المعصية بالفعل ثم كذبت وباهت بالقول والله اعلم واجمع مالك واصحابه على وجوب اللعان بادعاء الرؤية زنا لاوطء من الزوج بعده وذلك مشهور المذهب وقال مالك ان اللعان يجب بنفي حمل يدعى قبله استبراء والمستحب من الفاظ اللعان ان يمشي مع ترتيب القرء ان ولفظه فيقول الزوج اشهد بالله

لرأيت هذه المرأة تزني وإني في ذلك لمن الصادقين ثم يقول في الخامسة ولعنة الله علي ان كنت من الكاذبين وأما في لمان نفي الحمل فيقول ما هذا الولد مني وتقول المرأة اشهد بالله ما زنت وأنه في ذلك لمن الكاذبين ثم تقول غضب الله علي ان كان من الصادقين فان منع جهلها من ترتيب هذه الالفاظ وإتيابها في معناها اجزأ ذلك ومشهور المذهب ان نفس تمام اللعان بينهما فرقة ولا يحتاج معها الى تفريق حاكم وتحريم اللعان ابدي باتفاق فيما احفظ من مذهب مالك وجواب لولا محذوف تقديره لكشف الزناة بأبسر من هذا او لاخذهم بمقابله ونحو هذا * وقوله تعالى ان الذين جاءوا بالافك الآية نزلت في شأن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها ففي البخاري في غزوة بني المصطلق عن عائشة رضي الله عنها قالت وانزل الله العشر الآيات في براءتي ان الذين جاءوا بالافك والآيات والافك الزور والكذب وحديث الافك في البخاري ومسلم وغيرها مستوعب والعصبة الجماعة من العشرة الى الاربعين * وقوله سبحانه لا تحسبوه خطاب لكل من ساء ذلك من المؤمنين * وقوله تعالى بل هو خير لكم معناه انه تبرئة في الدنيا وترفع من الله تعالى في ان نزل وحيه بالبراءة من ذلك واجر جزيل في الآخرة وموعظة للمؤمنين في غابر الدهر واكتسب مستعملة في المأثم والاشارة بقوله تعالى والذي تولى كبره هي الى عبد الله بن ابي ابن سلول وغيره من المنافقين وكبره مصدر كبر الشيء وعظم ولكن استعملت العرب ضم الكاف في السن * وقوله تعالى لولا اذ سمعوه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا الآية الخطاب للمؤمنين حاشي من تولى كبره وفي هذا عتاب للمؤمنين اي كان الانكار واجبا عليهم ويقس فضلا المؤمنين الامر على انفسهم فاذا كان ذلك يبعد فيهم قام المؤمنون ابعد لفضلها ووقع هذا النظر السيد من ابي ايوب

وامراته وذلك انه دخل عليها فقالت له يا ابا ايوب اسمعت ما قيل فقال نعم
وذلك الكذب اكننت انت يا ام ايوب تفعلين ذلك قالت لا والله قال فعائشة
والله افضل منك قالت ام ايوب نعم فهذا الفعل ونحوه هو الذي عاتب الله فيه
المومنين اذ لم يفعلوه جميعهم والضمير في قوله لولا جاءوا للذين تولوا كبره *
وقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما افضتم
فيه عذاب عظيم هذا عتاب من الله تعالى بليغ في تعاطيهم هذا الحديث وان
لم يكن المخبر والمخبر مصدقين ولكن نفس التعاطى والتلقى من لسان
الى لسان والافاضة في الحديث هو الذي وقع العتاب فيه وقرأ ابن يعمرو عائشة
رضي الله عنها وهي اعلم الناس بهذا الامر اذ تلقونه بفتح التاء وكسر اللام
وضم القاف ومعنى هذه القراءة من قول العرب ولق الرجل ولقا اذا كذب
وحكى الطبري ان هذه اللفظة مأخوذة من الولق الذي هو اسراعك بالشيء
بعد الشيء يقال ولق في سيره اذا اسرع والضمير في تحسبونه للحديث والخوض
فيه والا ذاعله * وقوله تعالى سبحانه اي تنزيها لله ان يقع هذا من زوج
نبيه صلى الله عليه وسلم وحقيقة البهتان ان يقال في الانسان ما ليس فيه والغيبة
ان يقال في الانسان ما فيه ثم وعظهم تعالى في العودة الى مثل هذه الحالة *
وقوله سبحانه ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين امنوا الآية قال
مجاهد وغيره الاشارة بهذه الآية الى المنافقين وعذابهم الاليم في الدنيا الحدود
وفي الآخرة النار وقالت فرقة الآية عامة في كل قاذف وهذا هو الاظهر *
وقوله تعالى والله يعلم معناه يعلم البرئ من المذنب ويعلم سائر الامور وجواب لولا
ايضا محذوف تقديره لفضحكم بذنوبكم اولعذبكم ونحوه * وقوله تعالى يا ايها
الذين امنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان الآية خطوات جمع خطوة وهي ما بين
القدمين في المشي فكان المعنى لا تمشوا في سبله وطرقه (ت) وفي قوله سبحانه

ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا ما يردع العاقل عن
الاشتغال بغيره ويوجب له الاهتمام باصلاح نفسه قبل هجوم منيته وحلول
رمسه وحدث ابو عمر في التمهيد بسنده عن اسماعيل بن كثير قال سمعت مجاهدا
يقول ان الملائكة مع ابن آدم فاذا ذكر اخاه المسلم بخير قالت الملائكة ولك
مثله واذا ذكره بشر قالت الملائكة ابن آدم المستور عورته اربع على نفسك
واحمد الله الذى يستر عورتك انتهى وروينا في سنن ابى داود عن سهل بن
معاذ بن انس الجهني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حى مومنا
من منافق اراه قال بعث الله ملكا يحى لحمه يوم القيامة من نار جهنم ومن رمى
مسلمابشي يريد به شينه حبسه الله عز وجل على جسر جهنم حتى يخرج مما قال
وروينا ايضا عن ابى داود بسنده عن جابر بن عبد الله وابى طلحة بن سهل
الانصاريين انهما قالالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئى يخذل
امرا مسلما في موضع تنتهك فيه حرمة وينتقص فيه من عرضه الاخذله الله
في موطن يجب فيه نصرته وما من امرئى ينصر مسلما في موضع ينتقص فيه
من عرضه وينتهك فيه من حرمة الانصره الله في موضع يجب فيه نصرته انتهى
ثم ذكر تعالى انه يزكى من يشاء ممن سبقت له السعادة وكان عمله الصالح اشارة
على سبق السعادة له * وقوله تعالى ولا باطل اولوا الفضل منكم الآية المشهور
من الروايات ان هذه الآية نزلت في قصة ابى بكر رضي الله عنه ومسطح بن
أثاة وكان من قرابة ابى بكر وكان ابو بكر ينفق عليه لمسكنته فلما وقع امر الافاك
بلغ ابا بكرانه وقع مسطح مع من وقع خلف ابو بكر لا ينفق عليه ولا ينفعه بنافعة
ابدا فجاء مسطح معتذرا وقال انما كنت اسمع ولا اقول فنزلت الآية والفضل
الزيادة في الدين والسعة هناهي المال ثم قال تعالى الاتحبون ان يفر الله لكم الآية
اي كما تحبون عفو الله لكم عن ذنوبكم فكذلك اغفروا لمن دونكم فروينا ان ابا بكر قال

بلى انى احب ان يغفر الله لى ورجع الى مسطح ما كان يجرى عليه من النفقة والاحسان قال ابن العربي فى احكامه وفى هذه الآية دليل على ان الخنث اذا رآه الانسان خيرا هو اولى من البر ولقول النبي صلى الله عليه وسلم فرأى غيرها خيرا منها فليات الذى هو خير وليكفر عن يمينه انتهى وقال بعض الناس هذه ارجى . اية فى كتاب الله عز وجل من حيث لطف سبحانه بالقذفة العصاة بهذا اللفظ قال (ع) وانما تعطى الآية تفضلا من الله تعالى فى الدنيا وانما الرجاء فى الآخرة اما ان الرجاء فى هذه الآية بقياس اى اذا امر اولى الفضل والسعة بالمعفو فطرد هذا التفضل بسعة رحمته سبحانه لارب غيره وانما آيات الرجاء قوله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم وقوله تعالى الله لطيف بعباده وسمعت ابي رحمه الله يقول ارجى . اية فى كتاب الله عندى قوله تعالى وبشر المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا وقال بعضهم ارجى . اية قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى * وقوله تعالى ان الذين يرمون المحصنات الآية قال ابن جبير هذه الآية خاصة فى رمة عائشة وقال ابن عباس وغيره بل ولجميع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم لمكانهن من الدين ولم يقرن بآخر الآية توبة قال (ع) وقاذف غيره له اسم الفسق وذكر له التوبة ولعن الدنيا الابداد وضرب الحد والعامل فى قوله يوم فعل مضر تقديره يعذبون يوم او نحو هذا والدين فى هذه الآية الجزاء وفى مصحف ابن مسعود وابي يومئذ يوفيه الله الحق دينهم بتقديم الصفة على الموصوف * وقوله ويعلمون ان الله هو الحق المبين قوى قول من ذهب ان الآية فى المنافقين عبد الله بن ابي وغيره * وقوله تعالى الحبيشات للحبيشين الآية قال ابن عباس وغيره الموصوف بالحبت والطيب الاقوال والافعال وقال ابن زيسد الموصوف بالحبت والطيب النساء والرجال ومعنى هذا التفريق بين حكم ابن ابي واشباهه وبين حكم النبي صلى الله عليه

وسلم وفضلاء اصحابه وامته * وقوله تعالى اولئك مبرءون اشارة الى
الطيبين المذكورين وقيل الاشارة باولئك الى عائشة رضي الله عنها ومن في
معناها * وقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا سبب هذه
الآية فيماروى الطبري ان امرأة من الانصار قالت يا رسول الله اني اكون في
منزلى على الحال التي لا احب ان يرانى احد عليها لا والد ولا ولد وانه لا يزال
يدخل علي رجل من اهل وانا على تلك الحال فنزلت هذه الآية ثم هي عامة
في الامة غابر الدهر وبيت الانسان هو الذى لا احد معه فيه او البيت الذى
فيه زوجته او امته وما عدا هذا فهو غير بيته وتانسوا معناه تستعلموا من في
البيت وتستبصروا تقول آنت اذا علمت عن حس واذا ابصرت ومنه قوله
تعالى آنتم منهم رشدوا وستانس وزنه استفعل فكان المعنى في تانسوا تطلبوا ان
تعلموا ما يونسكم ويونس اهل البيت منكم واذا طلب الانسان ان يعلم امر
البيت الذى يريد دخوله فذلك يكون بالاستيذان على من فيه او بان يتنحج
ويشعر بنفسه باي وجه امكنه وبثأني قدر ما يتحفظ منه ويدخل اثر ذلك وذهب
الطبري في تانسوا الى انه بمعنى حتى تونسوا اهل البيت بانقسمم بالتنحج
والاستيذان ونحوه وتونسوا نفوسكم بان تعلموا ان قد شعر بكم قال (ع) وتصريف
الفعل يابى ان يكون من انس وقرأ ابي وابن عباس حتى تستاذنوا وتسلموا وصورة
الاستيذان ان يقول الانسان السلام عليكم أَدْخُلْ فان اذن له دخل وان امر
بالرجوع انصرف وان سَكَت عنه استاذن ثلاثاً ثم ينصرف جاءت في هذا كله
اثار والضمير في قوله تجددوا فيها للبيوت التي هي بيوت الغيرة واسند الطبري
عن قتادة انه قال قال رجل من المهاجرين لقد طلبت عمرى كله هذه الآية فما
ادركتها ان استاذن على بعض اخواني فيقول لى ارجع فارجع وانا مغتبط لقوله
تعالى هو اذكى لكم * وقوله تعالى والله بما تعملون عليم توعده لاهل التجسس *

وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تدخلوا بيوتا غير مسكونة الآية اباح سبحانه في هذه الآية رفع الاستيذان في كل بيت لا يسكنه احد لان العلة في الاستيذان خوف الكشفة على المحرمات فاذا زالت العلة زال الحكم وباقي الآية بين ظاهر التواعد وعن مالك رحمه الله انه بلغه انه كان يستحب اذا دخل البيت غير المسكون ان يقول الذي يدخله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين انتهى اخرجه في الموطأ * وقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم اظهر ما في من ان تكون للتبويض لان اول نظرة لا يملكها الانسان وانما يغض فيما بعد ذلك فقد وقع التبويض بخلاف الفروج اذ حفظها عام لها والبصر هو الباب الاكبر الى القلب وبحسب ذلك كثرة السقوط من جهته ووجب التحذير منه وحفظ الفرج هو عن الزنا وعن كشفه حيث لا يحل (ت) النواظر صوارم مشهورة فانغمدها في غمد الغض والحياء من نظر المولى والاجرحك بها عدو الهوى لا ترسل يريد النظر فيجلب لقلبك ردئ الفكر غرض البصر يورث القلب نورا واطلاقه يقدرح في القلب نارا انتهى من الكلم الفارقة في الحكم الحقيقية قال ابن العربي في احكامه قوله تعالى ذلك اذكى لهم يريد اطهر وانى يعنى اذا غض بصره كان اطهر له من الذنوب وانى لعمله في الطاعة قال ابن العربي ومن غض البصر كف التطلع الى المباحات من زينة الدنيا وجمالها كما قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى يريد ما عند الله تعالى انتهى * وقوله تعالى وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن الآية امر الله تعالى النساء في هذه الآية بغض البصر عن كل ما يكره من جهة الشرع النظر اليه وفي حديث ام سلمة قالت كنت انا وعائشة عند النبي صلى الله عليه وسلم فدخل ابن ام مكتوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم احتجبن فقلن انه اعمى فقال صلى الله عليه وسلم

افعمياوان انتما ومن الكلام فيها كالتى قبلها قال ابن العربي فى احكامه وكما لا يحل للرجل ان ينظر الى المرأة لا يحل للمرأة ان تنظر الى الرجل فان علاقته بها كملاقتها به وقصده منها كقصدها منه ثم استدل بحديث ام سلمة المتقدم انتهى وحفظ الفرج يعم الفواحش وستر العورة وما دون ذلك مما فيه حفظ ثم امر تعالى بان لا يبدين زينتهن الا ما يظهر من الزينة قال ابن مسعود ظاهر الزينة هو الثياب وقال ابن جبير وغيره الوجه والكفان والثياب وقيل غير هذا قال زينتها (ع) ويظهر لى بحكم الفاظ الآية ان المرأة مأمورة بان لا تبدي وان تجتهد فى الاخفاء لكل ما هو زينة ووقع الاستثناء فى كل ما غلبها فظهر بحكم ضرورة حركة فيما لا بد منه او اصلاح شان فما ظهر على هذا الوجه فهو المعفو عنه وذكر ابو عمر الخلاف فى تفسير الآية كما تقدم قال وروى عن ابى هريرة فى قوله تعالى ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها قال القلب والفتحة قال جرير بن حازم القلب السوار والفتحة الخاتم انتهى من التمهيد * وقوله تعالى وليضربن بخمرهن على جيوبهن قال ابن العربي الجيب هو الطوق والخمار هو المقنعة انتهى قال (ع) سبب الآية ان النساء كن فى ذلك الزمان اذا غطين رؤوسهن بالاخرة سدنها من وراء الظهر فيبقى النحر والعنق والاذنان لا ستر على ذلك فامر الله تعالى بلي الخمار على الجيوب وهيئة ذلك يستر جميع ما ذكرناه وقالت عائشة رضى الله عنها رحم الله المهاجرات الاول لما نزلت هذه الآية عمدن الى اكثف المروط فشققنها اخرة وضربن بها على الجيوب * وقوله سبحانه اونسائهن يعنى جميع المومنات ويخرج منه نساء المشركين وكتب عمر الى ابى عبيدة بن الجراح ان يمنع نساء اهل الذمة ان يدخلن الحمام مع نساء المسلمين فامثل * وقوله سبحانه او ما ملكت ايمانهن يدخل فيه الاماء الكتابيات والعبيد وقال ابن عباس وجماعة لا يدخل العبد على سيده فيرى شعرها الا ان يكون

وَعُدا * وقوله تعالى او التابعين يريد الاتباع ليطعموا وهم فسول الرجال الذين لا اربة لهم في الوطء ويدخل في هذه الصنفه المجبوب والشيخ الفاني وبعض المعتوهين والذي لا اربة له من الرجال قليل والاربة الحاجة الى الوطء والطفل اسم جنس ويقال طفل مالم يراهق الحلم ويظهروا معناه يطمعوا بالوطء * وقوله تعالى ولا يضربن بارجلهن الآية قيل سببها ان امرأة مرت على قوم فضربت برجلها الارض فصوت الخلل وسماع صوت هذه الزينة اشد تحريكاً للشهوة من ابدائها ذكره الزجاج ثم امر سبحانه بالتوبة مطلقة عامة من كل شيء صغير وكبير * وقوله تعالى وانكحوا الايامى منكم الايم من لازوجة له او لازوج لها فالايام يقال للرجل والمرأة * وقوله والصالحين يريد للنكاح وهذا الامر بالنكاح يختلف بحسب شخص شخص ففى نازلة يتصور وجوبه وفى نازلة النذب وغير ذلك حسبما هو مذكور فى كتب الفقه قال ابن العربي فى احكامه قوله تعالى والصالحين من عبادكم الاظهر فيه انه امر بالنكاح العبيد والاماء كما امر بالنكاح الايامى وذلك بيد السادة فى العبيد والاماء كما هو فى الاحرار بيد الاولياء انتهى ثم وعد تعالى باغناء الفقراء المتزوجين طلب رضا الله عنهم واعتصاما من معاصيه ثم امر تعالى كل من يتعذر عليه النكاح ان يستعفف حتى يغنيهم الله من فضله اذ الغالب من موانع النكاح عدم المال فوعده سبحانه المتعفف بالغنى والمكاتبه مفاعلة من حيث يكتب هذا على نفسه وهذا على نفسه ومذهب مالك ان الامر بالكتابة هو على النذب وقال عطاء ذلك واجب وهو ظاهر مذهب عمر بن الخطاب رضى الله عنه * وقوله ان علمتم فىهم خيرا قالت فرقة الخير هنا المال وقال مالك انه ليقال الخير القوة والاداء وقال عبيدة السلماني الخير هو الصلاح فى الدين * وقوله تعالى واتوهم قال المفسرون هو امر لكل مكاتب ان يضع عن

العبد من مال كتابته ورأى مالك هذا الامر على التدب ولم ير لقدرة الوضعية
 حدا واستحسن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان يوضع عنه الربع وقيل الثلث
 وقيل العشر ورأى عمران يكون ذلك من اول نجومه مبادرة الى الخير وخوف
 ان لا يدرك آخرها ورأى مالك وغيره ان يكون الوضع من آخر نجم وعلة
 ذلك انه ربما عجز العبد فرجع هو وماله الى السيد فعادت اليه وضيعته وهي شبه
 الصدقة (ت) والظاهر ان هذا لا يمد رجوعا كما لو رجع اليه بالميراث ورأى
 الشافعي وغيره ان الوضعية واجبة يحكم بها وقال الحسن وغيره الخطاب بقوله
 تعالى واتوهم للناس اجمعين في ان يتصدقوا على المكاتبين وقال زيد بن اسلم انما
 الخطاب لولاة الامور * وقوله سبحانه ولا تكرهوا فتياكم على البقاء ان اردن
 تحضنا الآية روي ان سبب الآية هو ان عبد الله بن ابي ابن سلول كانت له امة
 فكان يامرها بالزنا والكسب به فشكت ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت
 الآية فيه وفيمن فعل فعله من المنافقين وقوله ان اردن تحضنا راجع الى الفتيات
 وذلك ان الفتاة اذا ارادت التحصن فينشد يمكن ويتصور ان يكون السيد مكرها
 ويمكن ان ينهى عن الاكراه واذا كانت الفتاة لا تريد التحصن فلا يتصور
 ان يقال للسيد لا تكرهها لان الاكراه لا يتصور فيها وهي مريدة للفساد فيها
 امر في سادة وفتيات حالهم هذه وذهب هذا النظر عن كثير من المفسرين
 فقال بعضهم قوله ان اردن راجع الى الايامى في قوله وانكحوا الايامى منكم
 وقال بعضهم هذا الشرط في قوله ان اردن ملغى ونحو هذا مما هو ضعيف والله
 الموفق للصواب برحمته (ت) وما اختاره (ع) هو الذى عول عليه ابن العربي ونصه
 وانا ذكر الله تعالى ارادة التحصن من المرأة لان ذلك هو الذى يصور الاكراه
 فاما اذا كانت هي راغبة في الزنا لم يتحصل الاكراه فخطوه ان شاء الله انتهى من
 الاحكام وقرأ ابن مسعود وغيره فان الله من بعد اكراههن لمن غفور رحيم

ثم عدد سبحانه نعمه على المؤمنين في قوله ولقد انزلنا اليكم آيات مبينات ومثلاً
من الذين خلوا من قبلكم ليقتع التحفظ مما وقع اولئك فيه * وقوله تعالى
الله نور السموات والارض الآية النور في كلام العرب الاضواء المدركة
بالبصر ويستعمل مجازاً فيما صح من المعاني ولاح فيقال كلام له نور ومنه الكتاب
المنير والله تعالى ليس كمثله شيء فواضح انه ليس من الاضواء المدركة
ولم يبق الا ان المعنى منور السموات والارض اي به وبقدرته انارت اضواؤها
واستقامت امورها كما تقول الملك نور الامة اي به قوام امورها وصلاح
جملتها والامر في الملك مجاز وهو في صفة الله تعالى حقيقة محضة وقرأ ابو
عبد الرحمن السلمي وغيره الله نور بفتح النون والواو المشددة وفتح الراء
والضمير في نوره يعمود على الله تعالى قاله جماعة وهو اضافة خلق الى خالق كما
تقول ناقصة الله وبيت الله ثم اختلفوا في المراد بهذا النور ف قيل هو محمد
صلى الله عليه وسلم وقيل هو المومن وقيل هو الايمان والقرآن وفي قراءة ابي
ابن كعب مثل نور المؤمنين والمشكاة هي الكوة غير النافذة فيها القنديل
ونحوه وهذه الاقوال الثلاثة يطرد فيها مقابلة جزء من المثل بجزء من
المثل فعلى قول من قال المثل محمد صلى الله عليه وسلم وهو قول كعب
الاحبار فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو المشكاة او صدره والمصباح هو
الثبوة وما يتصل بهامن علمه وهداه والزجاجة قلبه والشجرة المباركة هي
الوحي والزيت هو الحجج والبراهين وعلى قول من قال ان المثل به هو
المومن وهو قول ابي بن كعب فالمشكاة صدره والمصباح الايمان والعلم
والزجاجة قلبه والشجرة القرآن وزيتها هو الحجج والحكمة التي تضمنها
قول ابي فهو على احسن الحال يمشى في الناس كالرجل الحي في قبور الاموات
وتحتمل الآية معنى آخر وهو ان يريد مثل نور الله الذي هو هده في الوضوح

كـهـذه الجملة من النور الذى تتخذونه انتم على هذه الصفة التى هي البـلـغ
 صفات النور الذى هو بين ايديكم ايها البشر وقال ابو موسى المشكاة الحديـدة
 او الرصاصـة التى يكون فيها القنديل فى جوف الزجاجة والاول اصح * وقوله فى
 زجاجة لانه جسم شفاف المصباح فيه انور منه فى غير الزجاجة والمصباح الفتيل
 بناره * وقوله كانه كوكب دري اي فى الانارة والضوء وذلك يحتمل
 معنيين اما ان يريد انها بالمصباح كذلك واما ان يريد انها فى
 نفسها لصفاتها وجودة جوهرها وهذا التاويل البـلـغ فى التعاون على النور قال
 الضحاك الكوكب الدرـي الزهرة وقرأ ابن كثير وابوعمر وتوقد بفتح التاء والدال
 والمراد المصباح وقرأ نافع وغيره يوقد اي المصباح * وقوله من شجرة اي من
 زيت شجرة المباركة المنماء * وقوله تعالى لاشرقية ولاغربية قال الحسن
 اي ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا وانا هو مثل ضربه الله تعالى لنوره ولو
 كانت فى الدنيا لكانت اما شرقية واما غربية وقيل غير هذا * وقوله سبحانه
 يكاد زيتها يضىء الآية مبالغة فى صفة صفائه وحسنه * وقوله نور على نور
 اي هذه كلها ومعان تكامل بها هذا النور المثل به وفى هذا الموضع تم المـثـال
 وباقى الآية بين * وقوله تعالى فى بيوت اذن الله ان ترفع قال ابن عباس
 وغيره هي المساجد المخصوصة بعبادة الله التى من عاداتها ان تنور بهذا النوع من
 المصابيح وقوله اذن الله بمعنى امر وقضى وترفع قيل معناه تبنى وتعلّى قاله مجاهد
 وغيره كقوله تعالى واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت وقال الحسن معناه تعظم
 ويرفع شأنها وذكر اسمه تعالى هو بالصلاة والعبادة قولاً وفعلاً ويسبح له فيها اي
 فى المساجد بالغدو والاصال قال ابن عباس اراد ركعتي الضحى والعصر وان ركعتي
 الضحى لنى كتاب الله وما ينفوس عليها الاغواص ثم وصف تعالى المسبحين بانهم
 لمراقبتهم امر الله تعالى وطلبهم رضاه لا يشغلهم عن الصلاة وذكر الله شي

من امور الدنيا (ت) وعن عمر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ويسمعهم الداعي فينادى مناد سيعلم اهل الجمع لمن الكرم اليوم ثلاث مرات ثم يقول اين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع ثم يقول اين الذين كانوا لآلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الى اخر الآية ثم ينادى مناد سيعلم اهل الجمع لمن الكرم اليوم ثم يقول اين الحمادون الذين يحمدون ربهم مختصرا رواه الحاكم في المستدرک على الصحيحين وله طرق عن ابى اسحاق انتهى من السلاح ورواه ايضا ابن المبارك من طريق ابن عباس قال اذا كان يوم القيامة نادى مناد ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الحمدون لله تعالى على كل حال فيقومون فيسرحون الى الجنة ثم ينادى ثانية ستعلمون من اصحاب الكرم ليقم الذين كانت جنوبهم تتجافى عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون قال فيقومون فيسرحون الى الجنة ثم ينادى ثالثة ستعلمون اليوم من اصحاب الكرم ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يحافون يوما تتقلب فيه القلوب والابصار فيقومون فيسرحون الى الجنة انتهى من التذكرة والزكاة هنا عند ابن عباس الطاعة لله وقال الحسن هي الزكاة المفروضة في المال واليوم المخوف هو يوم القيامة ومعنى الآية ان ذلك اليوم لشدة هوله القلوب والابصار فيه مضطربة قلقة متقلبة (ت) ومن الكلم الفارقة سعادة القلب اقباله على مقلبه والعالم بحال مثاله ومنقلبه القلوب بحار جواهرها المعارف وسواحلها الالسنه وغواصها الفكرة النافذة غواص بحر الصور يغوص بصورته في طلب مكسبه والمعارف يغوص بمعنى قلبه في بحار غيب ربه فيلتقط جواهر الحكمة ودرر الدراية قلوب العارفين كالبحار تنعقد في اصداف ضمائرهم جواهر المعارف والاسرار القلوب كالاراضي الى من اسلمت اليه قلبك

بذرفيه ما عنده اما من بذر نفسه ووسواسه العفن المسوس او بذر فيه معرفته
بالرب المقدس انتهى (ت) فان اردت سلامتك في ذلك اليوم فليكن قلبك
الآن مقبلا على طاعة مولاك فانه يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم قال الواحدى تتقلب فيه القلوب بين الطمع في النجاة والخوف
من الهلاك والابصار تتقلب في اي ناحية يوخذ بهم اذات اليمين ام ذات
الشمال ومن اي جهة يوتن كتبهم انتهى * وقوله سبحانه ليجزئهم اي فعلوا
ذلك ليجزئهم احسن ماعملوا اي ثواب احسن ما عملوا ولما ذكر تعالى حالة
المومنين وتنويره قلوبهم عقب ذلك بذكر الكفرة واعمالهم فقال والذين كفروا
اعمالهم كسراب بقيعة وهي جمع قاع والقاع المنخفض البساط من الارض ويريد
بجاءه جاء موضعه الذى تخيله فيه ويحتمل ان يعود الضمير فى جاءه على السراب
ثم يكون فى الكلام بعد ذلك متروك يدل عليه الظاهر تقديره فكذلك الكافر
يوم القيامة يظن عمله نافعا حتى اذا جاءه لم يجده شيئا * وقوله ووجد الله عنده
اي بالمجازات والظامير فى عنده عائد على العمل وباقي الآية وعيدبين * وقوله
تعالى او كظلمات عطف على قوله كسراب وهذا المثال الاخير تضمن صفة
اعمالهم فى الدنيا اي انهم من الضلال فى مثل هذه الظلمات المجتمعة من هذه
الاشياء وذهب بعض الناس الى ان فى هذا المثال اجزاء تقابل اجزاء من
المثل به فقال الظلمات الاعمال الفاسدة والمعتقدات الباطلة والبحر اللجى
صدر الكافر وقلبه واللجى معناه ذواللجة وهي معظم الماء وغمره واجتماع ما به
اشد لظلمته والموج هو الضلال والجهالة التى قد غمرت قلبه والسحاب هو
شهوته فى الكفر واعراضه عن الايمان قال (ع) وهذا التاويل سائغ وان لا يقدر
هذا التقابل سائغ * وقوله اذا اخرج يده لم يكدها لفظ يقتضى مبالغة
الظلمة واختلف فى هذه اللفظة هل معناها انه لم يريد البتة او المعنى انه رءاها

بعد عسر وشدة وكاد ان لا يراها ووجه ذلك ان كاد اذا صحبها حرف النفي وجب الفعل الذى بعدها واذا لم يصحبها انتفى الفعل وكاد معناها قارب * وقوله تعالى ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور قالت فرقة يريد في الدنيا اي من لم يهده الله لم يهتد وقالت فرقة اراد في الآخرة اي من لم يرحمه الله وينور حاله بالمغفرة والرحمة فلا رحمة له قال (ع) والاول ابين واليق بلفظ الآية وايضا فذلك متلازم ونور الآخرة انما هو لمن نور قلبه في الدنيا * وقوله تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض الآية الرؤية هنا قلبية والتسبيح التنزيه والتعظيم والآية عامة عند المفسرين لكل شي من العقلاء والجمادات * وقوله تعالى كل قد علم صلاته وتسبيحه قال الزجاج وغيره المعنى كل قد علم الله صلاته وتسبيحه وقال الحسن المعنى كل قد علم صلاة نفسه وتسبيح نفسه وقالت فرقة المعنى كل قد علم صلاة الله وتسبيح الله اللذين امر بهما وهدى اليهما فهذه اضافة خلق الى خالق وباقي الآية وعيد ويزجي معناه يسوق والركام الذى يركب بعضه بعضا ويتكاثف والودق المطر قال البخاري من خلاله اي من بين اضاف السحاب انتهى * وقوله تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برد قيل ذلك حقيقة وقد جعل الله في السماء جبالا من برد وقالت فرقة ذلك مجاز وانما اراد وصف كثرته وهذا كما تقول عند فلان جبال من مال وجبال من العلم (ت) وحمل اللفظ على حقيقته اولى ان لم يمنع من ذلك مانع ومن كتاب الفرج بعد الشدة للقاضي ابي علي التنوخي احد الرواة عن ابي الحسن الدارقطني والمختصين به قال اخبرنا ابو بكر الصولي عن بعض العلماء قال رأيت امرأة بالبادية وقد جاء البرد فذهب بزرعها فجاء الناس يعزونها فرفعت رأسها الى السماء وقالت اللهم انت المامول لاحسن الخلف وببيدك التعويض مما تلف فافعل بنا ما انت اهله فان ارزاقنا عليك واما لنا مصروفة اليك قال فلم ابرح حتى مر

رجل من الاجلاء، فحدث بما كان فوهب لها خمسمائة دينار فاجاب الله دعوتها
وفرج في الحين كربتها انتهى والسنا مقصورا الضوء وبالمجد والمجد والساء في
قوله بالابصار يحتمل ان تكون زائدة * وقوله سبحانه والله خلق كل دابة
من ماء الاية اية اعتبار والدابة كل مادب من جميع الحيوان وقوله من ماء قال
الجمهور يعني ان خلقه كل حيوان فيها ماء كما خلق آدم من الماء والطين وقال
النقاش اراد مني الذكور والمشى على البطن للحيات والحوت والدود وغيره
وعلى رجلين للانسان والطير اذا مشى وعلى اربع لسائر الحيوان وفي مصحف
ابي بن كعب ومنهم من يمشى على اكثر فعمم بهذه الزيادة جميع الحيوان *
وقوله تعالى لقد انزلنا آيات مبينات يعم كل ما نصب الله تعالى من آية *
وقوله تعالى ويقولون يعني المنافقين روي ان رجلا من المنافقين اسمه بشر دعاه
يهودي الى التحاكم عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان المنافق مبطلا فابي ودعا
اليهودي الى كعب بن الاشرف فنزلت هذه الاية فيه والحيف الميل * وقوله
سبحانه انما كان قول المؤمنين الاية المعنى انما كان الواجب ان يقولوا المومنون
اذا دعوا الى حكم الله ورسوله سمعنا واطعنا * وقوله سبحانه ومن يطع الله
ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون قال الغزالي في المنهاج التقوى
في القرآن تطلق على ثلاثة اشياء احدها بمعنى الخشية والهيبة قال الله عز وجل
واياي فاتقون وقال سبحانه واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله والثاني بمعنى
الطاعة والعبادة قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته قال ابن عباس
اطيعوا الله حق طاعته وقال مجاهد هو ان يطاع فلا يعصى وان يذكر فلا
ينسى وان يشكر فلا يكفر والثالث بمعنى تنزيه القلب عن الذنوب وهذه هي
الحقيقة في التقوى دون الاولين الاترى ان الله تعالى يقول ومن يطع الله
ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون ذكر الطاعة والخشية ثم

ذكر التقوى فعلمت ان حقيقة التقوى معنى سوى الطاعة والخشية وهي
تفريه القلب عن الذنوب انتهى * وقوله تعالى واقسموا بالله جهداً ايماهم
الآية جهد اليمين بلوغ الغاية في تعقيدها وليخرجن معناه الى الفوز وهذه في
النافقين الذين تولوا حين دعوا الى الله ورسوله * وقوله تعالى قل لا تقسموا
طاعة معروفة يحتمل معاني احدها النهي عن القسم الكاذب اذ قد عرف ان
طاعتهم دغلة فكانه يقول لا تغالطوا فقد عرف ما انتم عليه والثاني ان المعنى
لا تتكلفوا القسم فطاعة معروفة على قدر الاستطاعة امثل واجدر بكم وفي
هذا التأويل ابقاء عليهم وقيل غير هذا * وقوله تولوا معناه تتولوا والذي حمل
النبي صلى الله عليه وسلم هو التبليغ والذي حمل الناس هو السمع والطاعة
واتباع الحق وباقي الآية بين * وقوله تعالى وعد الله الذين امنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم الآية عامة لامة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في ان
يملكهم الله البلاد كما هو الواقع فسبحانه ما اصدق وعده وقال الضحاك في
كتاب النقاش هذه الآية تتضمن خلافة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي والصحيح
في الآية انها في استخلاف الجمهور واللام في ليستخلفنهم لام القسم * وقوله
يعبدونني فعل مستأنف اي هم يعبدونني * وقوله ومن كفر يحتمل ان يريد
كفر هذه النعم ويحتمل الكفر المخرج عن الملة عياداً بالله من سخطه وباقي الآية
بين مما تقدم في غيرها * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت
ايمانكم قيل الذين ملكت ايمانهم الرجال والنساء ورجحه الطبري وقيل الرجال
خاصة وقيل النساء خاصة ومعنى الآية عند جماعة من العلماء ان الله تعالى ادب
عباده بان يكون العبيد والاطفال الذين عقلوا معاني الكسفة ونحوها يستاذنون
على اهلهم في هذه الاوقات الثلاث وهي الاوقات التي تقتضى عادة الناس
الانكشاف فيها وملازمة التعمري في المضاجع وهي عند الصباح وفي وقت

﴿ ١٢٦ مكرر ﴾

القائلة وهي الظهيرة لان النهار يظهر فيها اذا علا واشتد حره وبعد العشاء لانه
وقت التعمري للنوم واما في غير هذه الاوقات فالعرف من الناس التحرز
والتحفظ فلا حرج في دخول هذه الصنيفة بغير اذن اذ هم طوافون يمضون
ويحيئون لا يجد الناس بدا من ذلك * وقوله بمضكم على بعض بدل من قوله
طوافون وثلاث مرات نصب على الظرف لانهم لم يومروا بالاستيذان ثلاثاً وانما
امروا بالاستيذان في ثلاث مواطن فالظرفية في ثلاث بيته * وقوله سبحانه
كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم بين للتأمل * وقوله سبحانه
واذا بلغ الاطفال منكم الحلم الآية امر تعالى في هذه الآية ان يكونوا اذا بلغوا
الحلم على حكم الرجال في الاستيذان في كل وقت وهذا بيان من الله عز وجل *
وقوله تعالى كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم بين لا يحتاج الى
تفسير * والقواعد من النساء هن اللواتي قد اسنن وقعدن عن الولد واحدتهن
قاعد وقال ربيعة هي هنا التي تستقدر من كبرها قال غيره وقد تقعد المرأة عن
الولد وفيها مستمتع ولما كان الغالب من النساء ان ذوات هذا السن لا مذهب
للرجال فيهن ابيح لهن ما لم يبيح لغيرهن وقرأ ابن مسعود وابي ان يضعن من
ثيابهن والعرب تقول امرأة واضع للتي كبرت فوضعت خمارها ثم استثنى
عليهن في وضع الثياب ان لا يقصدن به التبرج وابداء الزينة قرب عجوز يبدو
منها الحرص على ان يظهر لها جمال والتبرج طلب البدو والظهور للعين ومنه بروج
مشيدة والذي ابيح وضعه لهن الجلباب الذي فوق الحمار والرداء قاله ابن
مسعود وغيره ثم ذكر تعالى ان تحفظ الجميع منهن واستغفنه عن وضع
الثياب والتزامهن ما يلتزم الشواب من السترا فضلهن وخير * وقوله
تعالى والله سميع عليم اي سميع لما يقول كل قائل وقائلة عليم بمقصود
كل احد وفي هاتين الصفتين توعده وتحذير * وقوله تعالى ليس على

الاعمى خرج الى قوله كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون ظاهر الآية وامر الشريعة ان الحرج عنهم مرفوع في كل ما يضطرهم اليه العذر وتقتضى نيتهم الاتيان به بالاكمل ويقتضى العذر ان يقع منهم الانقص فالخرج مرفوع عنهم في هذا وللناس اقوال في الآية وتخصيصات يطول ذكرها وذكر الله تعالى بيوت القربات وسقط منها بيوت الابناء فقال المفسرون ذلك لانها داخلة في قوله من بيوتكم لان بيت ابن الرجل بيته * وقوله تعالى او ما ملكتم مفاتيحه يريد ما خزنتم وصار في قبضتكم فمعظمه ما ملكه الرجل في بيته وتحت غلقه وهو تاويل الضحاك ومجاهد وعند جمهور المفسرين يدخل في الآية الوكلاء والعبيد والاجراء بالمعروف وقرأ ابن جبير ملكتم مفاتيحه مبنيا للمفعول وزيادة يا بين التاء والحاء وقرن تعالى في هذه الآية الصديق بالقرابة المحضة الوكيدة لان قرب المودة لصيق قال معمر قلت لقتادة الا اشرب من هذا الجب قال انت لى صديق فما هذا الاستيذان قال ابن عباس في كتاب النقاش الصديق اوكد من القرابة الاترى استغاثة الجهميين فما لنا من شافعين ولا صديق حميم * وقوله تعالى ليس عليكم جناح ان تاكلوا جميعا او اشتاتا رد لمذهب جماعة من العرب كانت لا تاكل افذاذا البتة نحت به نحوكرم الخالق فافرطت في الزامه وان احضار الاكل لحسن ولكن بان لا يحرم الانفراد قال البخاري اشتاتا وشتى واحد انتهى وقال بعض اهل العلم هذه الآية منسوخة بقوله عليه السلام ان دماءكم واموالكم عليكم حرام الحديث وبقوله تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الآية وبقوله عليه السلام من حديث ابن عمر لا يجلبن احدكم ماشية احد الاباذنه الحديث (ت) والحق ان لا نسخ في شيء مما ذكر وسياتي مزيد بيان لهذا المعنى * وقوله سبحانه فاذا دخلتم بيوتا قال النخعي اراد المساجد والمعنى سلموا على من فيها

فان لم يكن فيها احد فالسلام ان يقول السلام على رسول الله السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين وقال ابن عباس وغيره المراد البيوت المسكونة اي ساموا على من فيها قالوا ويدخل في ذلك غير المسكونة ويسلم المرء فيها على نفسه بان يقول السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (ت) وفي سلاح المومن وعن ابن عباس في قوله عز وجل فاذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال هو المسجد اذا دخلته فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط الشيخين يعني البخاري ومسلم انتهى وهذا هو الصحيح عن ابن عباس وفهم النووي ان الآية في البيوت المسكونة قال ففى الترمذي عن انس قال قال لى النبي صلى الله عليه وسلم يا بني اذا دخلت على اهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى اهل بيتك قال الترمذي حديث حسن صحيح وفى ابى داود عن ابى امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة كلهم ضامن على الله عز وجل رجل خرج غازيا فى سبيل الله عز وجل فهو ضامن على الله تعالى حتى يتوفاه فيدخله الجنة او يرده بما نال من اجر او غنمة ورجل راح الى المسجد فهو ضامن على الله تعالى حتى يتوفاه فيدخله الجنة او يرده بما نال من اجر وغنمة ورجل دخل بيته بسلام فهو ضامن على الله تعالى حديث حسن رواه ابو داود باسناد حسن ورواه آخرون والضمان الرعاية للشيء والمعنى انه فى رعاية الله عز وجل انتهى وقوله تعالى تحية من عند الله مباركة وصفها تعالى بالبركة لان فيها الدعاء واستجلاب مودة المسلم عليه (ت) وقد ذكرنا فى سورة النساء ماورد فى المصاحفة من رواية ابن السني قال النووي وروينا فى سنن ابى داود والترمذي وابن ماجه عن البراء بن عازب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يفترقا انتهى والكاف من قوله كذلك كاف تشبيه وذلك اشارة الى هذه السنن وقال ايضا بعض الناس فى

هذه الآية انها منسوخة بناية الاستيذان المتقدمة قال (ع) والنسخ لا يتصور في شيء من هذه الآيات بل هي كلها محكمة اما قوله ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ففي التعدي والحدع ونحوه واما هذه الآية ففي اباحة طعام هذه الاصناف التي يسرها استباحة طعامها على هذه الصفة واما اية الاذن فعلة ايجاب الاستيذان خوف الكشف فاذا استاذن المرء ودخل المنزل بالوجه المباح صح له بعد ذلك اكل الطعام بهذه الاباحة وليس يكون في الآية نسخ فتأمله *

وقوله تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله الآية انما هنا للحصر والامر الجامع يراد به ما للامام حاجة الى جمع الناس فيه لمصلحة فالادب اللازم في ذلك ان لا يذهب احد لعذر الاباذه والامام الذي يتقرب اذنه هو امام الامارة وروي ان هذه الآية نزلت في وقت حضر النبي صلى الله عليه وسلم خندق المدينة فكان المومنون يستاذنون والمتفقون يذهبون دون اذن ثم امر تعالى نبيه عليه السلام بالاستغفار لصنفي المومنين من اذن له ومن لم يؤذن له وفي ذلك تأنيس للمومنين ورأفة بهم * وقوله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا اي لا تخاطبوه كخاطبة بعضكم لبعض وامرهم تعالى في هذه الآية وفي غيرها ان يدعوا رسول الله باشراف اسمائه وذلك هو مقتضى التوقير فالادب في الدعاء ان يقول يا رسول الله ويكون ذلك بتوقير وبر وخفض صوت قاله مجاهد واللواذ الروغان ثم امرهم تعالى بالحدز من عذاب الله ونقمته اذا خالفوا امره ومعنى يخالفون عن امره اي يقع خلافهم بعد امره ثم اخبر تعالى انه قد علم ما اهل الارض والسماء عليه وباقي الآية بين والحمد لله



تفسير سورة الفرقان وهي مكية في قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى تبارك هو مطاوع بارك من البركة وبارك فاعل من واحد ومعناه زاد وتبارك فعل مختص بالله تعالى لم يستعمل في غيره وهو صفة فعل اي كثرت بركاته ومن جملتها انزال كتابه الذي هو الفرقان بين الحق والباطل والضمير في قوله ليكون قال ابن زيد هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو عبده المذكور ويحتمل ان يكون للفرقان * وقوله وخلق كل شيء عام في كل مخلوق ثم عقب تعالى بالطعن على قريش في اتخاذهم الهة ليست لها صفات الالهية والنشور بعث الناس من القبور * وقال الذين كفروا يعني قريشا ان هذا الا fark افتراء محمد واعانه عليه قوم آخرون تقدمت الاشارة الى ذلك في سورة النحل ثم اكذبهم الله تعالى واخبر انهم ما جاءوا الا اثما وزورا اي ما قالوا الا باطلا وبهتاناً قال البخاري تلى عليه تقرأ عليه من املت واملئت انتهى ثم امر تعالى نبيه عليه السلام ان يقول ان الذي انزله هو الذي يعلم سر جميع الاشياء التي في السموات والارض وعبرة الشيخ العارف بالله سيدى عبد الله بن ابى حمزة رضي الله عنه ولما كان المراد منا بمقتضى الحكمة الربانية العبادة ودوامها ولذلك خلقنا كما ذكر مولانا سبحانه في الآية الكريمة يعنى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الآية وهو عز وجل غني عن عبادتنا وعن كل شيء لكن الحكمة اقتضته الامر ليعلمه

الا هو كما قال الله عز وجل الذى يعلم السر فى السموات والارض اى الذى يعلم
 الحكمة فى خلقها وكذلك فى خلقنا وخلق جميع المخلوقات انتهى * وقالوا
 مال هذا الرسول ياكل الطعام الآية المعنى عندهم ان من كان رسولا فهو
 مستغن عن الاكل والمشى فى الاسواق ومحاجتهم بهذا مذكورة فى السير ثم
 اخبر تعالى عن كفار قريش وهم الظالمون المشار اليهم انهم قالوا ان تتبعون الا
 رجلا مسحورا اى قد سحرتم نبه تعالى بنبيه مسليا له عن مقالته فقال انظر كيف
 ضربوا لك الامثال الآية والقصور التى فى هذه الآية تأولها الثعلبي وغيره انها
 فى الدنيا والقصور هي البيوت المبنية بالجدران لانها قصرت عن الداخلين
 والمستاذنين وبقى الآية بين والضمير فى رأتهم لجنهم * وقوله سبحانه قل
 اذلك خيرام جنة الخلد المعنى قل يا محمد لهؤلاء الكفرة الصائرين الى هذه
 الاحوال من النار اذلك خيرام جنة الخلد وهذا استفهام على جهة التوقيف
 والتوبيخ لان الموقف جائز له ان يوقف محاوره على ما شاء ليرى هل يجيبه
 بالصواب او بالخطأ * وقوله تعالى ويوم نحشرهم يعنى الكفار وما يعبدون من دون
 الله يريد كل شيء عبد من دون الله وقرأ ابن عامر فنقول بالنون قال جمهور
 المفسرين والموقف المجيب كل من ظلم بان عبد ممن يعقل كالملائكة وعيسى وعزير
 وغيرهم وقال الضحاك وعكرمة الموقف المجيب الاصنام التى لا تعقل يقدرها
 الله تعالى على هذه المقالة واجبى خزى الكفرة لذلك ابلغ وقرأ الجمهور نتخذ
 بفتح النون وذهبوا بالمعنى الى انه من قول من يعقل وان هذه الآية بمعنى التى
 فى سورة سبا ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة الآية وكقول عيسى
 ما قلت لهم الا ما امرتنى به وقولهم حتى نسوا الذكر اى ما ذكر به الناس على
 السنة الانبياء عليهم السلام وقرأ زيد بن ثابت وجماعة نتخذ بضم النون *
 وقوله تعالى فقد كذبوكم الآية خطاب من الله تعالى للكفرة اخبرهم ان معبوداتهم

كذبهم وفي هذا الاخبار خزي وتوبيخ لهم وقرأ حفص عن عاصم فاستطيعون
 بالتاء من فوق قال مجاهد الضمير في يستطيعون هو للمشركين وصرفا معناه رد
 التكذيب او العذاب * وقوله تعالى ومن يظلم منكم قيل هو خطاب للكفار وقيل
 للمؤمنين والظلم هنا الشرك قاله الحسن وغيره وقد يحتمل ان يعم غيره من المعاصي
 وفي حرف ابي ومن يكذب منكم نذقه عذابا كبيرا * وقوله تعالى وما ارسلنا
 قبلك من المرسلين الاية رد على قريش في قولهم ما لهذا الرسول يا كل الطعام
 ويمشى في الاسواق ثم اخبر عز وجل ان السبب في ذلك انه جعل بعض عبده
 فتنة لبعض على العموم في جميع الناس مومن وكافر والتوقيف باتصرون خاص
 بالمؤمنين المحققين قال ابن العربي في الاحكام ولما كثرت الباطل في الاسواق
 وظهرت فيه المناكر كره علماؤنا دخولها لارباب الفضل والمقتدى بهم في الدين
 تنزيها لهم عن البقاع التي يعصى الله تعالى فيها انتهى ثم اعرب قوله تعالى وكان
 ربك بصيرا عن الوعد للصابرين والوعيد للعاصين وعن عمر بن الخطاب رضي
 الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل السوق فقال لا اله الا الله
 وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير
 وهو على كل شيء قدير كتب الله له الف الف حسنة ومحا عنه الف الف سيئة
 ورفع له الف الف درجة رواه الترمذي وابن ماجه وهذا لفظ الترمذي وزاد
 في رواية اخرى وبني له بيتا في الجنة ورواه الحاكم في المستدرک من عدة طرق
 انتهى من السلاح * وقوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا الاية الرجاء هنا على
 بابه وقيل هو بمعنى الخوف ولما تمت كفار قريش رؤية ربهم اخبر تعالى عنهم انهم
 عظموا انفسهم وسألوا ما ليسوا به باهل (ص) لقد جواب قسم محذوف
 انتهى والضمير في قوله ويقولون قال مجاهد وغيره هو للملائكة والمعنى يقول
 الملائكة للمجرمين حجرا محجورا عليكم البشرى اي حراما محرمات والحجر الحرام

وقال مجاهد ايضا وابن جريج الضمير للكافرين المجرمين قال ابن جريج كانت العرب اذا ذكرها شيئا قالوا حجرا قال مجاهد حجرا عودا يستعيدون من الملائكة قال (ع) ويحتمل ان يكون المعنى ويقولون حرام محرم علينا العفو وقد ذكر ابو عبيدة ان هاتين اللفظتين عودا للعرب يقولها من خاف ، اخر في الحرم او في شهر حرام اذا لقيه وبينهما ترة قال الداودي وعن مجاهد وقدمنا اي عمدنا انتهى قال (ع) وقدمنا اي قصد حكمنا وانفاذا ونحو هذا من الالفاظ اللائقة ومعنى الآية وقصدنا الى اعمالهم التي لا ترن شيئا فصيرناها هباء اي شيئا لا تحصيل له والهباء ما يتطاير في الهواء من الاجزاء الدقيقة ولا يكاد يرى الا في الشمس قاله ابن عباس وغيره ومعنى هذه الآية جعلنا اعمالهم لاحكم لها ولا منزلة ووصف تعالى الهباء في هذه الآية بمنثور ووصفه في غيرها بمنبث فقالت فرقة هما سواء وقالت فرقة المنبث ارق وادق من المنثور لان المنثور يقتضي ان غيره نشره والمنبث كانه انبث من دقته * وقوله تعالى واحسن مقيلا ذهب ابن عباس والنخعي وابن جريج الى ان حساب الخلق يكمل في وقت ارتفاع النهار ويقل اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار فالمتعيل القائلة قال (ع) ويحتمل ان اللفظة انما تضمنت تفضيل الجنة جملة وحسن هوائها فالعرب تفضل البلاد بحسن المقيل لان وقت القائلة يبدي فساد هواء البلاد فاذا كان بلد في وقت فساد الهواء حسنا حاز الفضل وعلى ذلك شواهد * ويوم تشقق السماء يريد يوم القيامة (ص) بالغمام الباء للحال اي متغية او للسبب او بمعنى عن انتهى وفي قوله تعالى وكان يوما على الكافرين عسيرا دليل على انه سهل على المؤمنين وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليهون يوم القيامة على المومن حتى يكون عليه اخف من صلاة مكتوبة صلاحها في الدنيا وعض الدين هو فعل النادم قال ابن عباس وجماعة من المفسرين الظالم في هذه الآية

عقبة بن ابي معيط وذلك انه كان اسلم اوجنح الى الاسلام وكان ابي بن خلف الذي قتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده يوم احد خيلا لعقبة فنهاه عن الاسلام فقبل نهيه فنزلت الآية فيها فالظالم عقبة وفلانا ابي قال السهيلي وكفى سبحانه عن هذا الظالم ولم يصرح باسمه ليكون هذا الوعيد غير مخصوص به ولا مقصور عليه بل يتناول جميع من فعل مثل فعله انتهى وقال مجاهد وعيره الظالم عام اسم جنس وهذا هو الظاهر وان مقصد الآية تعظيم يوم القيامة وذكر هوله بانه يوم تندم فيه الظلمة وتتمنى انها لم تطع في دنياها اخلاها والسبيل المتناة هي طريق الآخرة وفي هذه الآية لكل ذى نهية تنبيه على تجنب قرين السوء والاحاديث والحكم في هذا الباب كثيرة مشهورة والذكر ما ذكر الانسان امر اخرته من قرآن او موعظة ونحوه * وكان الشيطان للانسان خذولا يحتمل ان يكون من قول الظالم ويحتمل ان يكون ابتداء اخبار من الله عز وجل على وجه التحذير من الشيطان الذى بلغهم ذلك المبلغ * وقوله تعالى وقال الرسول حكاية عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا وتشكيكه ما يليق من قومه هذا قول الجمهور وهو الظاهر وقالت فرقة هو حكاية عن قوله ذلك في الآخرة ومهجورا يحتمل ان يريد مبعدا مقصيا من الهجر بفتح الهاء وهذا قول ابن زيد ويحتمل ان يريد مقولا فيه الهجر بضم الهاء اشارة الى قولهم شعر وكهانة ونحوه قاله مجاهد قال (ع) وقول ابن زيد منبه للمومن على ملازمة المصحف وان لا يكون الغبار يعلوه في البيوت ويشغل بغيره وروى انس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من علق مصحفا ولم يتعاهده جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يارب هذا اتخذنى مهجورا اقض بينى وبينه وفى حلية النووي قال وروينا فى سنن ابي داود ومسند الدارمي عن سعد بن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ القرآن ثم نسيه لقي الله تعالى يوم

القيامة اجذم وروينا في كتاب ابي داود والترمذي عن انس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرضت علي اجور امتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد وعرضت علي ذنوب امتي فلم اذنبها اعظم من سورة من القرآن او اية او فيها رجل ثم نسيتها تكلم الترمذي فيه انتهى ثم سلاه تعالى عن فعل قومه بقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين اي فاصبر كما صبروا قاله ابن عباس ثم وعد تعالى بقوله وكفى بربك هاديا ونصيرا والباء في بربك للتاكيد دالة على الامر اذ المعنى اكتب بربك * وقال الذين كفروا للولا نزل عليه القرآن جملة واحدة قال ابن عباس وغيره قالوا في بعض معارضاتهم لو كان من عند الله لنزل جملة كالطوراة والانجيل * وقوله كذلك يحتمل ان يكون من قول الكفار اشارة الى التوراة والانجيل ويحتمل ان يكون من الكلام المستأنف وهو اولى ومعناه كما نزل اردناه فلا اشارة الى نزوله متفرقا والترتيل التفريق بين الشيء المتتابع ومنه ترتيل القرآن وجعل الله تعالى السبب في نزوله متفرقا تثبيت قلب نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان ينزله في النوازل والحوادث التي قد قدرها وقدر نزوله فيها وان هؤلاء الكفرة لا يحيون بمثل يضربونه على جهة المعارضة منهم الاجاء القرآن بالحق في ذلك والجلية ثم هو احسن تفسيراً وافصح بيانا وباقي الآية بين تقدم تفسير نظيره والجمهور ان هذا المشي على الوجوه حقيقة وقد جاء كذلك في الحديث وقد تقدم ولفظ البخاري عن انس ان رجلا قال يا نبي الله امحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال اليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة بلى وعزة ربنا انتهى * وقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب الايات تنبيه لكفار قريش وتوعد ان يحل بهم ما حل هؤلاء المعذبين قال قتادة اصحاب الرس واصحاب الايكة قومان ارسل اليها شعيب وقاله وهب بن منبه وقيل غير هذا *

وقوله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا ابهام لا يعلم حقيقته الا الله عز وجل والتبار
الهلاك والقرية التي امطرت مطر السوء هي سدوم مدينة قوم لوط ومالم نذكر
تفسيره قد تقدم بيانه للفاهم المتيقظ ثم ذكر سبحانه انهم اذا راوا محمدا عليه
السلام قالوا على جهة الاستهزاء اهذا الذي بعث الله رسولا قال (ص) ان
يتخذونك ان نافية جواب اذا انتهى ثم انس الله تعالى نبيه بقوله ارايت من اتخذ
اله هوام الآية المعنى لا تتأسف عليهم ومعنى اتخذ اله هوام اي جعل هوام مطاعا
فصار كالاله ان هم الا كالانعام اي بل هم كالانعام (ت) وعبرة الواحد
ان هم اي ما هم الا كالانعام انتهى * وقوله سبحانه لم تر الى ربك كيف مد
الظل الآية مد الظل باطلاق هو ما بين اول الاسفار الى بزوغ الشمس ومن
بعد مغيبها ايضا وقتا يسيرا فان في هذين الوقتين على الارض كلها ظلا
ممدودا * ولو شاء لجعله ساكنا اي ثابتا غير متحرك ولا منسوخ لكنه جعل
الشمس ونسخها اياه وطردها له من موضع الى موضع دليلا عليه مبينا لوجوده
ولوجه العبرة فيه وحكي الطبري انه لولا الشمس لم يعلم ان الظل شيء اذ
الاشياء انما تعرف باضدادها * وقوله تعالى قبضا يسيرا يحتمل ان يريد لطيفا اي
شيئا بعد شيء لاني مرة واحدة قال الداودي قال الضحاك قبضا يسيرا يعني
الظل اذا علت الشمس انتهى قال الطبري ووصف الليل باللباس من حيث
يستر الاشياء ويغشاها والسبات ضرب من الاغماء يمتري اليقظان مرضا فشبه
النوم به والنشور هنا الاحياء شبه اليقظة به ويحتمل ان يريد بالنشور وقت
انتشار وتفرق واناسي قيل هو جمع انسان والياء المشددة بدل من النون في
الواحد قاله سيبويه وقال المبرد هو جمع انسي والضمير في صرفناه عائد على
القرآن وان لم يتقدم له ذكر ويمضد ذلك قوله وجاهد هم به جهادا كبيرا * وقوله
تعالى وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح اجاج مرج معناه خلط

قال (ع) والذي اقول به في معنى هذه الآية ان المقصود بها التنبيه على قدرة الله تعالى في ان بث في الارض مياه عذبة كثيرة جعلها خلال الاجاج وجعل الاجاج خلالها كما هو مري تجدد البحر قد اكتسفته المياه العذبة في صفته وتجدد الماء العذب في الجزائر ونحوها قد اكتسفه الماء الاجاج وكل باق على حاله ومطعمه فالبحران يراد بهما جميع الماء العذب وجميع الماء الاجاج والبرزخ والحجر هو ما بين البحرين من الارض واليبس قاله الحسن والفرات الصافي اللذيذ المطعم والاجاج ابغ ما يكون من الملوحة * وقوله تعالى وهو الذي خلق من الماء بشرا الآية تعدد نعم على الناس والنسب هو ان يجتمع انسان مع آخر في اب وام والصهر هو تواشج المناكحة فقرابة الزوجة هم الاختان وقرابة الزوج هم الاحماء والاصهار يقع عاما لذلك كله * وقوله تعالى وكان الكافر على ربه ظهيرا اي معينا يعينون على ربهم غيرهم من الكفرة بطاعتهم للشيطان وهذا تاويل مجاهد وغيره والكافر هنا اسم جنس وقال ابن عباس هو ابو جهل قال (ع) فيشبه ان ابا جهل هو سبب الآية ولكن اللفظ عام للجنس كله (ت) والمعنى على دين ربه ظهيرا * وقوله تعالى الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا الظاهر فيه انه استثناء منقطع والمعنى لكن مستولى ومطلوب من شاء ان يهتدي ويومن ويتخذ الى رحمة ربه طريق نجاة * وقوله سبحانه وتوكل على الحي الذي لا يموت قال القشيري في التعبير واذا علم العبد ان مولاه حي لا يموت صح توكله عليه قال تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت قيل ان رجلا كتب الى اخوان صديق فلانا قد مات فمن كثرة ما بكيت عليه ذهب بصرى فكتب اليه الذنب لك حين احببت الحي الذي يموت فهلا احببت الحي الذي لا يموت حتى لا تحتاج الى البكاء عليه انتهى وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كربني امر الا تمثلى جبريل عليه السلام فقال يا محمد قل توكلت على الحي الذي لا

يموت والحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له ولي من
الذل وكبره تكبيرا رواه الحاكم فى المستدرک وقال صحيح الاسناد انتهى من
السلح * وقوله تعالى وسبح بحمده اي قل سبحان الله وبحمده اي تنزيهه
واجب وبحمده اقول وصح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من قال فى كل يوم
سبحان الله وبحمده مائة مرة غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر فهذا
معنى قوله وسبح بحمده وهي احدى الكلمتين الخفيفتين على اللسان الثقيلتين
فى الميزان الحديث فى البخارى وغيره (ت) وعن جويرية رضى الله عنها ان
النبي صلى الله عليه وسلم خرج من عندها بكرة حين صلى الصبح وهي فى
مسجدها ثم رجع بعد ان اضحى وهي جالسة فقال ما زلت على الحال التى
فارقتك عليها قالت نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم لقد قلت بعدك اربع
كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده
عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته رواه الجماعة الا البخارى زاد
النسائي فى اخره والحمد لله كذلك وفى رواية له سبحان الله وبحمده ولا اله
الا الله والله اكبر عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته انتهى من
السلح * وقوله سبحانه وكفى به بذنوب عباده خيرا وعيدبين * وقوله
تعالى الرحمن يحتمل ان يكون رفيه باضمار مبتدا اي هو الرحمن ويحتمل ان يكون
بدلا من الضمير فى قوله استوى * وقوله فسئل به خيرا فيه تاويلان احدهما
فسئل عنه خيرا والمعنى اسئل جبريل والعلماء واهل الكتاب والثانى ان
يكون المعنى كما تقول لو لقيت فلانا لقيت به البحر كرما اي لقيت منه والمعنى
فسئل الله عن كل امر وقال عياض فى الشفا قال القاضى ابو بكر بن العلاء المامور
بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمستول الخبير هو النبي صلى الله
عليه وسلم انتهى قال ابو حيان والظاهر تعلق به فسئل وبقاء الباء على بابها

وخبيرا من صفاته تعالى نحو لقيت بزيد اسدا اي انه الاسد شجاعة والمعنى
فسئل الله الخبير بالاشياء انتهى * واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما
الرحمن يعني ان كفار قريش قالوا ما نعرف الرحمن الا رحمن اليمامة وهو مسيلمة
الكذاب وكان مسيلمة تسمى بالرحمن * انسجد لما تأمرنا وزادهم هذا
اللفظ نفورا والبروج هي التي علمتها العرب وهي المشهورة عند اللغويين
واهل تعديل الاوقات وكل برج منها على منزلتين وثلاث من منازل القمر التي
ذكرها الله تعالى في قوله والقمر قدرناه منازل * وهو الذي جعل الليل والنهار
خلفة اي هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا قال مجاهد وغيره لمن اراد ان يذكر
اي يعتبر بالمصنوعات ويشكر الله تعالى على الاله وقال عمر وابن عباس والحسن
معناه لمن اراد ان يذكر ما فاته من الخير والصلاة ونحوه في احدهما فيستدركه في
الذي يليه وقرأ حمزة وحده يذكر بسكون الذال وضم الكاف ثم لما قال تعالى لمن
راد ان يذكر او اراد شكورا جاء بصفات عباده الذين هم اهل التذكر والشكور *
وقوله الذين يمشون خبر مبتدأ والمعنى وعباده حق عباده هم الذين يمشون *
وقوله يمشون على الارض عبارة عن عيشهم ومدة حياتهم وتصرفاتهم وهونا بمعنى
ان امرهم كله هين اي لين حسن قال مجاهد بالحلم والوقار وقال ابن عباس
بالطاعة والعفاف والتواضع وقال الحسن حلما ان جهل عليهم لم يجهلوا قال
الثعلبي قال الحسن يمشون حلما علماء مثل الانبياء لا يؤذون الذر في سكون
وتواضع وخشوع وهو ضد المختال الفخور الذي يتخال في مشيه اه قال عياض
في صفة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يخطو تكفوا ويمشى هونا كانما ينحط من
صبب انتهى من الشفا قال ابو حيان هونا نعت لمصدر محذوف اي مشيا هونا
او حال اي هينين انتهى وروى الترمذي عن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال الا اخبركم بمن يحرم على النار او بمن تحرم عليه النار على كل قريب هين

سهل قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى * واذا خاطبهم الجاهلون قالوا
سلاما العامل في سلاما قالوا والمعنى قالوا هذا اللفظ وقال مجاهد معنى سلاما
قولا سدادا اي يقول للجاهل كلاما يدفعه به برفق ولين وهذه الآية كانت
قبل آية السيف ففسخ منها ما يخص الكفرة وبقي ادبها في المسلمين الى يوم
القيامة قال صاحب الحكيم الفاروقية اذا نازعتك انسان فلا تجبه فان الكلمة الاولى
انثى واجابتها فخلها فان امسكت عنها بترتها وقطعت نسلها وان اجبتها القحتها
فكم من نسل مذموم يتولد بينهما في ساعة واحدة انتهى * والذين يبيتون
لربهم سجدا وقياما هذه آية فيها تحريض على قيام الليل بالصلاة قال الحسن
لما فرغ من وصف نهارهم وصف في هذه ليلهم وغراما معناه ملازما ثقيلا ومقاما
من الإقامة وعن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سأل
ثلاث الله الجنة ثلاث مرات قالت الجنة اللهم ادخله الجنة ومن استجار من النار
مرات قالت النار اللهم اجره من النار رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه وابن
حبان في صحيحه بلفظ واحد وراوه الحاكم في المستدرک وقال صحيح الاسناد
انتهى من السلاح * وقوله سبحانه والذين اذا انفقوا لم يسرفوا الآية عبارة
اكثر المفسرين ان الذى لا يسرف هو المنفق فى الطاعة وان افراط والمسرف
هو المنفق فى المعصية وان قل انفاقه وان المقتر هو الذى يمتع حقا عليه وهذا
قول ابن عباس وغيره والوجه ان يقال ان النفقة فى المعصية امر قد حظرت الشريعة
قليله وكثيره وهؤلاء الموصوفون منزهون عن ذلك وانما التاديب بهذه الآية
هو فى نفقة الطاعات والمباحات فادب الشريعة فيها ان لا يفرط الانسان
حتى يضيع حقا آخر او عيالا ونحو هذا وان لا يضيق ايضا ويقتصر حتى يجمع العيال
ويفرط فى الشح والحسن فى ذلك هو القوام اي المعتدل والقوام فى كل واحد
بحسب عياله وحاله وخير الامور اوساطها ولهذا ترك النبي صلى الله عليه وسلم ابابكر

الصديق يتصدق بجميع ماله لان ذلك وسط بنسبة جلده وصبره في الدين ومنع غيره من ذلك وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز حين زوجه ابنته فاطمة ما نفقتك فقال له عمر الحسنة بين السيئتين ثم تلا الآية وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه كفى بالمرء سرفا ان لا يشتهي شيئا الا اشتراه فاكله وقوا ما خبر كان واسمها مقدر اى الاتفاق * والذين لا يدعون مع الله الها آخر الآية في نحو هذه الآية قال ابن مسعود قلت يوما يا رسول الله اى الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم اى قال ان تزاني حيلة جارك ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية والاثام في كلام العرب العقاب وبه فسر ابن زيد وقتادة هذه الآية قال (ع) يضاعف بالجزم بدل من يلق قال سيبويه مضاعفة العذاب هو لقي الاثام * وقوله تعالى الامن تاب لاخلاف بين العلماء ان الاستثناء عام في الكافر والزاني واختلفوا في القاتل وقد تقدم بيان ذلك في سورة النساء * وقوله سبحانه فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات اى بان يجعل اعمالهم بدل معاصيهم الاولى طاعة قاله ابن عباس وغيره ويحتمل ان يكون ذلك في يوم القيامة يجعل بدل السيئات الحسنات تكرما منه سبحانه وتعالى كما جاء في صحيح مسلم وهو تاويل ابن المسيب (ص) والاولي ان يكون الاستثناء هنا منقطعا اى لكن من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات انتهى ثم اكد سبحانه امر التوبة ومدح التاب فقال ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا كانه قال فانه يجد بابا للفرج والمغفرة عظيما ثم استمرت الآيات في صفة عباد الله المؤمنين بان نفي عنهم شهادة الزور ويشهدون في هذا الموضع ظاهر منهاها يشاهدون ويحضرون والزور كل باطل زور واعظمه الشرك وبه فسر الضحاك ومنه الغناء وبه فسر مجاهد وقال علي وغيره معناه لا يشهدون بالزور فهي من

الشهادة لامن المشاهدة والمعنى الاول اعم واللغو كل سقط من فعل او قول وقال
 الثعلبي اللغو كل ما ينبغي ان يطرح ويلغى انتهى وكراما معناه معرضين
 مستحيين يتجافون عن ذلك ويصبرون على الاذى فيه قال (ع) واذا مر المسلم
 بمنكر فكرمه ان يغيره وحدود التغيير معروفة * وقوله تعالى والذين اذا ذكروا
 بآيات ربهم يريدوا ان يذكروا بالقرآن امرؤ اخرتهم ومعادهم * وقوله لم يخشوا
 عليها صما وعميانا يتحمل تاويلين احدهما ان يكون المعنى لم يكن خروهم بهذه
 الصفة بل يكونوا سجدا وبكيا وهذا كما تقول لم يخرج زيد الى الحرب جزعا اي
 انها خرج جريشا مقداما وكأن الذي يخراصم اعشى هو المتافق او الشاك والتاويل
 الثاني ذهب اليه الطبري وهو ان يخشوا صما وعميانا هي صفة للكفار وهي عبارة
 عن اعراضهم وقال الفراء لم يخشوا اي لم يقيموا وهو نحو تاويل الطبري انتهى
 وقال ابن العربي في احكامه قوله تعالى والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخشوا
 عليها صما وعميانا قال علماؤنا يعنى الذين اذا قرءوا القرآن قرءوه بقلوبهم قراءة
 فهم وتثبت ولم ينثروه نثر الدقل فان المرور عليه بغير فهم ولا تثبيت صمم
 وعمى انتهى وقرة العين من القر وهذا هو الاشهر لان دمع السرور بارد
 ودمع الحزن سخن فلهذا يقال اقر الله عينك واسخن الله عين العدو وقرة العين
 في الازواج والذرية ان يراهم الانسان مطيعين لله تعالى قاله ابن عباس والحسن
 وغيرهما وبين المقداد بن الاسود الوجه من ذلك بانه كان في اول الاسلام يبتدى
 الاب والابن كافر او الزوج والزوجة كافرة فكانت قرءة اعينهم في ايمان احبابهم *
 واجعلنا للمتقين اماما اي اجعلنا ياتم بنا المتقون وذلك بان يكون الداعى متقيا
 قدوة وهذا هو قصد الداعى قال النخعي لم يطلبوا الرياسة بل ان يكونوا قدوة
 في الدين وهذا حسن ان يطلب ويسمى له قال الثعلبي قال ابن عباس المعنى
 واجعلنا ائمة هدى انتهى وهو حسن لانهم طلبوا ان يجعلهم اهلا لذلك والغرفة

من منازل الجنة وهي الغرف فوق الغرف وهي اسم جنس كما قال
 ولولا الحبة السمرا * لم نحلل بواديكم
 (ت) واخرج ابو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد بن الشحامي عن انس بن مالك
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة لغرفا ليس لها معاليق من
 فوقها ولا عمد من تحتها قيل يا رسول الله وكيف يدخلها اهلها قال يدخلونها اشباه
 الطير قيل هي يا رسول الله لمن قال هي لاهل الاسقام والاوجاع والبلوى انتهى
 من التذكرة وقرأ حمزة وغيره يلقون بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف *
 وقوله تعالى قل ما يعزبكم الآية مانافية وتحتل التقرير ثم الآية تحتل ان تكون
 خطابا لجميع الناس فكانه قال لقريش منهم ما يبالي الله بكم ولا ينظر اليكم لولا
 عبادتكم اياه ان لو كانت اذ ذلك الذي يعبا بالبشر من اجله قال تعالى وما خلقت
 الجن والانس الا ليعبدون وقال النقاش وغيره المعنى لولا استغاثتكم اليه في الشدائد
 وقرأ ابن الزبير وغيره فقد كذب الكافرون وهذا يؤيد ان الخطاب بما يعبا هو
 لجميع الناس ثم يقول لقريش فانتم قد كذبتكم ولم تبدوه فسوف يكون العذاب
 او التكذيب الذي هو سبب العذاب لزاما ويحتمل ان يكون الخطاب بالآيتين
 لقريش خاصة وقال الداودي وعن ابن عيينة لولا دعاؤكم معناه لولا دعاؤكم اياه
 لتطيموه انتهى قال ابن العربي في احكامه زعم بعض الادباء ان لولا دعاؤكم
 معناه لولا سؤاكم اياه وطلبكم منه ورأى انه مصدر اضيف الى فاعل وليس كما
 زعم وانما هو مصدر اضيف الى مفعول والمعنى قل يا محمد للكفار لولا دعاؤكم
 ببعثة الرسول اليكم وتبين الادلة لكم فقد كذبتكم فسوف يكون لزاما ذكر هذا
 عند قوله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا في اخر سورة
 النور انتهى (ت) والحق ان الآية محتملة لجميع ما تقدم ومن ادعى التخصيص
 فعليه بالدليل والله اعلم ويعبا مشتق من العب وهو الثقل الذي يعبا ويرتب كما

يعبأ الجيش قال الثعلبي قال ابو عبيدة يقال ما عبأت به شيئاً اي لم اعدده شيئاً فوجوده وعدمه سواء انتهى وقال العراقي ما يعبأ اي ما يبالي انتهى واكثر الناس على ان اللزام المشار اليه هو يوم بدر وقالت فرقة هو توعد بمذاب الآخرة وقال ابن عباس اللزام الموت وقال البخاري فسوف يكون لزاما اي هلكة انتهى

تفسير سورة الشعراء وهي مكية كلها في قول الجمهور

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى طسم تلك آيات الكتاب المبين لعلك باخع نفسك الا يكونوا مومنين تقدم الكلام على الحروف التي في اوائل السور والباخع الثقائل والمهلك نفسه بالهم والحضوع للآية المنزلة اما الخوف هلاك كنتق الجبل على بني اسرايل واما لاجل الوضوح وبهر العقول بحيث يقع الاذعان لها والاعناق الجارحة المعلومة وذلك ان خضوع العنق والرقبة هو علامة الذلة والانتقاد وقيل المراد بالاعناق جماعتهم يقال جاء عنق من الناس اي جماعة * وقوله تعالى وما ياتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسياتهم انباء ما كانوا به يستهزئون اولم يروا الى الارض كم انتبتنا فيها من كل زوج كريم تقدم تفسير هذه الجملة فانظره في محله وقوله تعالى فسياتهم وعيبد بمذاب الدنيا كبدر وغيرها ووعيد بمذاب الآخرة والزوج النوع والصنف والكرم الحسن المتقن قاله مجاهد وغيره * وقوله تعالى وما كان اكثرهم مومنين حسم

على اكثرهم بالكفر ثم توعده تعالى بقوله وان ربك لهو العزيز الرحيم اي عزيز في انتقامه من الكفار رحيم باوليائه المؤمنين * وقوله تعالى واذا نادى ربك موسى التقدير واذا ذكر اذ نادى ربك موسى وسوق هذه القصة تمثيل لكفار قريش في تكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله فارسل الى هارون معناه يعينني ولهم علي ذنب يعني قتله القبطي * وقوله تعالى كلا ردا لقوله اني اخاف اي لا تخف ذلك وقول فرعون لموسى الم نربك فينا وليدا هو على جهة المن عليه والاحتقار اي ربيناك صغيرا ولم نقتلك في جملة من قتلنا ولبت فينا من عمرك سنين فتى كان هذا الذي تدعيه ثم قرره على قتل القبطي بقوله وفعلت فعلتك والفعللة بفتح الفاء المرة وقوله وانت من الكافرين يريد وقتلت القبطي وانت في قتلك اياه من الكافرين اذ هو نفس لا يحل قتلها قاله الضحاك او يريد وانت من الكافرين بنعمتي في قتلك اياه قاله ابن زيد ويحتمل ان يريد وانت الآن من الكافرين بنعمتي وكان بين خروج موسى عليه السلام حين قتل القبطي وبين رجوعه نبيا الى فرعون احد عشر عاما غير اشهر * وقوله قال فعلتها اذا من كلام موسى والضمير في قوله فعلتها لقتلة القبطي وقوله وانا من الضالين قال ابن زيد معناه من الجاهلين بان وكزني اياه تاتي على نفسه وقال ابو عبيدة معناه من الناسين ونزع بقوله ان تضل احدهما وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس وانا من الجاهلين ويشبه ان تكون هذه القراءة على جهة التفسير وحكما يريد النبوة وحكمتها * وقوله وجعلني من المرسلين درجة ثانية للنبوة قرب نبي ليس برسول * وقوله وتلك نعمة تمنها علي الآية قال قتادة هذا من موسى على جهه الانكار على فرعون كانه يقول اويصح لك ان تعد علي نعمة ترك قتلي من اجل انك ظلمت بني اسرائيل وقتلتهم اي ليست بنعمة لان الواجب كان الاتقتلني ولا تقتلهم ولا تستعبدهم وقرأ الضحاك وتلك نعمة

ما لك ان تنها علي وهذه قراءة تؤيد هذا التأويل وقال الطبري والسدي هذا الكلام من موسى عليه السلام على جهة الاقرار بالنعمة كانه يقول نعم وتربيتك نعمة علي من حيث عبت غيري وتركتني ولكن ذلك لا يدفع رسالتي ولما لم يجد فرعون حجة رجع الى معارضة موسى في قوله ومارب العالمين واستفهمه استفهاما فقال موسى هو رب السموات والارض الآية فقال فرعون عند ذلك الاستمعون على معنى الاغراء والتعجب من شناعة المثالة اذ كانت عقيدة القوم ان فرعون ربهم ومعبودهم والفراغة قبله كذلك فزاده موسى في البيان بقوله ربكم ورب اباائكم الاولين فقال فرعون حينئذ على جهة الاستخفاف ان رسولكم الذى ارسل اليكم لمجنون فزاده موسى في بيان الصفات التى تظهر نقص فرعون وتبين انه فى غاية البعد عن القدرة عليها وهي ربوبية المشرق والمغرب ولم يكن لفرعون الاملك مصر ولما انقطع فرعون فى باب الحجة رجع الى الاستعلاء والتغلب فقال لموسى انى اتخذت الها غيرى لاجعلتك من المسجونين وفى توعده بالسجن ضعف لانه خارت طباعه معه وكان فيماروي انه يفزع من موسى فزعا شديدا حتى كان لا يمسك بوله وكان عند موسى من امر الله والتوكل عليه ما لا يفزع توعده فرعون فقال له موسى على جهة اللطف به والطمع فى ايمانه اولو جئت بك بشيىء مبين يتضح لك معه صدقى فلما سمع فرعون ذلك طمع ان يجد اثناؤه موضع معارضة فقال له فات به ان كنت من الصادقين فالقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين على ما تقدم بيانه ونزع يده من جيبه فاذا هي تتلألأ كأنها قطعة من الشمس فلما رأى فرعون ذلك هاله ولم يكن له فيه مدفع غير انه فزع الى رميه بالسحر * وقوله يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره تقدم بيانه وكذلك قولهم وابعث فى المدائن حاشرين ياتوك بكل سحار عليهم تقدم بيانه * وقوله تعالى قال نعم وانكم اذا

لمن المقربين يريد بتقريبهم الجاه الزائد على العطاء الذي طلبوه * وقوله تعالى
 قالقي السحرة ساجدين قالوا امانا برب العالمين رب موسى وهارون قال امنت
 له قبل ان اذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لا قطعن
 ايديكم وارجلكم من خلاف ولا صلبنكم اجمعين قالوا لا ضررانا الى ربنا منقلبون
 تقدم بيان هذه الجملة والحمد لله فانظره في محله قال ابن العربي في
 احكامه قال مالك دعا موسى فرعون اربعين سنة الى الاسلام وان السحرة
 امنوا في يوم واحد انتهى وقولهم لا ضرراي لا يضرنا ذلك مع انقلابنا الى
 مغفرة الله ورضوانه وقولهم ان كنا اول المؤمنين يريدون من القبط وصنيفتهم
 والافقد كانت بنو اسرائيل امنت والشرذمة الجمع القليل المحتر وشردمة كل
 شىء بقيته الحسيسة * وقوله لغائظون يريد بخلافهم الامر وباخذهم الاموال
 عارية وحذرون جمع حذر والضمير في قوله فاخرجناهم عائد على القبط
 والجنات والعيون بجافتي النيل من اسوان الى رشيد قاله ابن عمر وغيره والمقام
 الكريم قال ابن لهيعة هو الفيوم وقيل هو النابرو قيل مجالس الامراء والحكام
 وقيل المساكن الحسان ومشرقين معناه عند شروق الشمس وقيل معناه نحو
 المشرق والطود هو الجبل وازلنا معناه قربنا وقرأ ابن عباس وازلنا بالقاف *
 واتل عليهم نبا ابراهيم الآية هذه الآية تضمنت الاعلام بنغيب والعكوف
 الزوم * وقوله فانهم عدوا لي الارب العالمين قالت فرقة هو استثناء متصل
 لان في الآباء الاقدمين من قد عبد الله تعالى وقالت فرقة هو استثناء منقطع
 لانه انما اراد عباد الاوثان من كل قرن منهم واسند ابراهيم عليه السلام المرض
 الى نفسه والشفاء الى ربه عز وجل وهذا حسن ادب في العبارة والكل من
 عند الله واوقف عليه السلام نفسه على الطمع في المغفرة وهذا دليل على شدة
 خوفه مع علو منزلته عند الله وروى الترمذي عن ابي هريرة قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا اوزار اخاله في الله ناداه مناد ان طبت وطاب
 ممشاك وتبوات من الجنة منزلا قال ابو عيسى هذا حديث حسن انتهى وفي
 صحيح مسلم عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة حتى يرجع قيل يا
 رسول الله وما خرفة الجنة قال جناها انتهى وعنه صلى الله عليه وسلم من عاد
 مريضا لم يحضر اجله فقال عنده سبع مرات اسأل الله العظيم رب العرش العظيم
 ان يشفيك الاعافاه الله سبحانه خرجه ابوداود والترمذي والحاكم في المستدرک
 على الصحيحين بالاسناد الصحيح انتهى من حلية النووي وعن ابن عباس
 رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عاد مريضا لم يحضر اجله
 فقال عند رأسه سبع مرات اسأل الله العظيم رب العرش العظيم ان يشفيك
 الاعافاه الله من ذلك المرض رواه ابو داود واللفظ له والترمذي والنسائي والحاكم
 وابن حبان في صحيحهما بمعناه وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين يعني
 البخاري ومسلم وفي رواية النسائي وابن حبان كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا
 عاد المريض جلس عند رأسه ثم قال فذكر مثله بمعناه انتهى من السلاح *
 وقوله خطيتى ذهب اكثر المفسرين الى انه اراد كذباته الثلاث قوله
 هي اختى في شأن سارة وقوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقالت فرقة
 اراد بالخطيئة اسم الجنس فدعا في كل امره من غير تعيين قال (ع) وهذا
 اظهر عندى * وقوله رب هب لي حكما اي حكمة ونبوة ودعاؤه في مثل
 هذا هو في معنى التثبيت والدوام ولسان الصدق هو الثناء الحسن
 واستغفاره لآبيه في هذه الآية هو قبل ان يتبين له انه عدوله * وقوله
 بقلب سليم معناه خالص من الشرك والمعاصي وعلق الدنيا المتروكة وان كانت
 مباحة كالمال والبنين قال سفیان هو الذى يلقي ربه وليس فى قلبه شئ غير

قال (ع) وهذا يقتضى عموم اللفظة ولكن السليم من الشرك هو الأهم وقال الجنيد بقلب لديغ من خشية الله والسليم اللديغ (ص) الأمن اتي الله الظاهرانه استثناء منقطع اي لكن من اتي الله بقلب سليم نفعتة سلامة قلبه انتهى وازلفت معناه قربت والفاوون الذين برزت لهم الجحيم هم المشركون ثم اخبر سبحانه عن حال يوم القيامة من ان الاصنام تكبكب في النار اي تلقى كبة واحدة وقال (ص) فككبوا اي قلب بعضهم على بعض وحروفه كلها اصول عند جمهور البصريين وذهب الزجاج وابن عطية وغيرها الى انه مضاعف الباء من كب وقال غيرها وجعل التكرير من اللفظ دليلا على التكرير في المعنى وذهب الكوفيون الى ان اصله ككب والكاف بدل من الباء الثانية انتهى والفاوون الكفرة الذين شملتهم الغواية وجنود ابليس نسله وكل من يتبعه لانهم جندله واعوان ثم وصف تعالى ان اهل النار يختصمون فيها ويتلاومون قائلين لاصنامهم تالله ان كنا لفي ضلال مبين في ان نعبدكم ونجعلكم سواء مع الله الذي هو رب العالمين ثم عطفوا يردون الملامة على غيرهم اي ما اضلنا الاكبراءونا واهل الجرم والجرأة ثم قالوا على جهة التلief والتأسف حين رأوا شفاعنة الملائكة والانبياء والعلماء نافعة في اهل الايمان عموما وشفاعة الصديق في صديقه خصوصا فمالنا من شافعين ولاصديق حميم والحميم الولي والقريب الذي يخصك امره وتخصه امرك وحامة الرجل خاصته وباقي الآية بين وقول نوح عليه السلام اني لكم رسول امين اي امين على وحي الله ورسالته (ص) قرأ الجمهور واتبعك والجملة حال اي وقد اتبعك ويعقوب واتباعك وعن اليماني واتباعك بالجر عطفًا على الضمير في لك انتهى والاردلون جمع الاردل ولايستعمل الامعرا او مضافا او بمن قال (ع) ويظهر من الآية ان مراد قوم نوح بنسبة الرذيلة الى المؤمنين تهجين افعالهم لا النظر في صنائعهم

وذهب اشراف قوم نوح في استنقاذهم ضعفة المؤمنين مذهب كفار قريش في
 شأن عمار بن ياسر وصهيب وبلال وغيرهم وقولهم من المرجومين يحتمل ان
 يريدوا بالحجارة او بالقول والاشتم وقوله افتح معناه احكم والفتاح القاضى بلفظة
 يمانية والفلك السفينة والمشحون معناه المملوء وقول هود عليه السلام لقومه
 اتبنون هـ و على جهة التوبيخ والريع المرتفع من الارض وله في كلام العرب
 شواهد وعبر المفردون عن الريع بعبارات وجلة ذلك انه المكان المشرف وهو
 الذى يتنافس البشر في مبانيه والآية البنيان قال ابن عباس آية علم وقال
 مجاهد ابراج الحمام وقيل القصور الطوال والمصانع جمع مصنع وهو ما صنع
 واتقن في بنيانه من قصر مشيد ونحوه قال البخاري كل بناء مصنع انتهى *
 وقوله اعلمكم تخلدون اي كانكم تخلدون وكذا نقله البخاري عن ابن عباس غير
 مسند انتهى والبطش الاخذ بسرعة والجبار المتكبر ثم ذكرهم عليه السلام باياد
 الله تعالى فيما منحهم وحذرهم من عذابه فكانت مراجعتهم ان سوا بين وعظه
 وتركه الوعظ وقرأ نافع وغيره خلق الاولين بضم اللام فالاشارة بهذا الى دينهم
 اي ما هذا الذى نحن عاينه الاخلاق الناس وعادتهم وقرأ ابن كثير وغيره خلق
 بسكون اللام فيحتمل المعنى ما هذا الذى ترعوه الاخلاق الاولين من الكذبة
 فانت على منهاجهم وروى علقمة عن ابن مسعود الاختلاق الاولين وقول
 صالح لقومه اتتركون فيما هاهنا تخويف لهم بمعنى انطمعون ان تقرؤا في النعم
 على معاصيكم والهضم معناه اللين الرطب والطلع الكفرى وهو عنقود التمر
 قبل ان يخرج من الكم في اول نباته فكان الاشارة الى ان ظلمها يتم ويرطب
 قال ابن عباس اذا ائنع وبلغ فهو هضم وقال الزجاج هو فيما قيل الذى رطبه
 بغير نوى وقال الثعلبي قال ابن عباس هضم لطيف ما دام في كفره انتهى
 وقرأ الجمهور تنجثون بكسر الحاء وفرهين من الفراهة وهي جودة منظر

الشيء، وخبرته وقوته * وقوله ولا تطيعوا امر المسرفين خاطب به جمهور قومه
وعنى بالمسرفين كبراءهم واعلام الكفر والاضلال فيهم قالوا انما انت من
المسحرين اي قد سحرت (ص) قرأ الجمهور شرب بكسر الشين اي نصيب
وقرأ ابن ابي عبلة بضم الشين فيهما انتهى * وقوله تعالى كذبت قوم لوط
المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط قال النقاش ان في مصحف ابن مسعود واي
وحفصة اذ قال لهم لوط وسقط اخوهم * وقوله اني لعلمكم من القاين القلي
البنض فنجاه الله بان امره بالرحلة على ما تقدم في قصصهم * وقوله تعالى
كذب اصحاب ليكة المرسلين قرأ نافع وابن كثير وابن عامر اصحاب ليكة
على وزن فعلة هنا وفي ص وقرأ الباقون الايكة وهي الدوحة الملتفة من
الشجر على الاطلاق وقيل من شجر معروف له غضارة تالفه الحمام والقماري
ونحوها وليكة اسم البلد في قراءة من قرأ ذلك قاله بعض المفسرين وذهب قوم
الى انها مسهلة من الايكة وانها وقعت في المصحف هنا وفي ص بغير الف *
وقوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين وكذلك ما بعده بلفظ الجمع من حيث
ان تكذيب نبيى، واحد يستلزم تكذيب جميع الانبياء لانهم كلهم يدعون
الخلق الى الايمان بالله تعالى واليوم الآخر وفي قول الانبياء عليهم السلام
الاتسقون عرض رفيق وتلطف كما قال تعالى فقل هل لك الى ان تزكى والجيلة
الخليقة والقرون الماضية والكسف القطع واحدا كسفة ويوم الظلة هو
يوم عذابهم وصورته فيما روي ان الله امتحنهم بحر شديد وانشأ الله سبحانه في
بعض قطرهم فجاء بعضهم الى ظلمها فوجد لها بردا وروحا فتداعوا اليها حتى
تكاملوا فاضطربت عليهم نارا فاحرقتهم عن آخرهم وقيل غير هذا والحق انه
عذاب جعله الله ظلة عليهم * وقوله تعالى وانه لتنزىل رب العالمين يعنى
القرآن * وقوله بلسان عربي متعلق بنزل اي سمعه النبي صلى الله عليه وسلم

من جبريل حروفا عربية وهذا هو القول الصحيح وما سوى هذا فمردود *
وقوله سبحانه وانه لفي زبر الاولين اي القرءان مذكور في الكتب المنزلة
القديمة منه عليه مشار اليه او لم يكن لهم آية ان يعلمه علماء بني اسرائيل
كعبد الله بن سلام ونحوه قاله ابن عباس ومجاهد قال مقاتل هذه الآية مدنية
ومن قال ان الآية مكية ذهب الى ان علماء بني اسرائيل ذكروا لقريش ان في
التوراة صفة النبي الامي وان هذا زمانه فهذه الاشارة الى ذلك وذلك ان قريشا
بعثت الى الاحبار يستلونها عن امر النبي صلى الله عليه وسلم ثم اخبر تعالى ان
هذا القرءان لو سمعوه من اعجم اي من حيوان غير ناطق او من جماد والاعجم
كل ما لا يفصح ما كانوا يؤمنون والاعجمون جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وان
كان عربي النسب وكذلك يقال للحيوانات والجمادات ومنه الحديث جرح
العجماء جبار والعجمي هو الذي نسبه في العجم وان كان افصح الناس وقرأ
الحسن الاعجميين قال ابو حاتم اراد جمع الاعجمي المنسوب الى العجم وقال الثعلبي
معنى الآية ولو زنناه على رجل ليس بعربي اللسان فقرأه عليهم بغير لغة العرب لما
امنوا به افقة من اتباعه انتهى * وقوله تعالى كذلك سلكتنا في قلوب المجرمين
قال (ع) وسلكتنا معناه ادخلناه والضمير فيه للكفر الذي يتضمنه قوله ما كانوا به
مؤمنين قاله الحسن وقيل الضمير للتكذيب وقيل للقرءان ورجح بانه المتبادر الى
الذهن والمجرمون اراد به مجرمي كل امة اي ان هذه عادة الله فيهم لا يؤمنون حتى
يروا العذاب فكفار قريش كذلك وهل نحن منظرون اي مؤخرون * وقوله
سبحانه افعذابنا يستعجلون توبيخ لقريش على استعجالهم العذاب وقولهم
للنبي صلى الله عليه وسلم اسقط علينا كسفا من السماء وقولهم اين ما تعدنا ثم
خاطب سبحانه نبيه عليه السلام بقوله افرأيت ان متعناهم سنين قال عكرمة
سنين يريد عمر الدنيا ثم اخبر تعالى انه لم يهلك قرية من القرى الا بعد ارسال

من يذرههم عذاب الله عز وجل ذكرى لهم وتبصرة * وقوله تعالى وماتنزلت به الشياطين الضمير في به عائد على القرآن * وقوله تعالى انهم عن السمع لمعزلون اي لان السماء محروسة بالشهب الجارية اثر الشياطين ثم وصى تعالى نبيه بالثبوت على التوحيد والمراد امته فقال فلا تجعل مع الله الها آخر الآية * وقوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين الآية وفي صحيح البخاري وغيره عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية خرج النبي صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارايتم ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد الحديث وخص بانذاره عشيرته لانهم مظنة الطواغية واذ يمكنه من الاغلاظ عليهم مالا يحتمله غيرهم ولان الانسان غير متم على عشيرته والعشيرة قرابة الرجل وخفض الجناح استعارة معناه لين الكلمة وبسط الوجه والبر والضمير في عصوك عائد على عشيرته ثم امر تعالى بنبيه عليه السلام بالتوكل عليه في كل اموره ثم جاء بالصفات التي تونس المتوكل وهي العزة والرحمة * وقوله الذي يراك حين تقوم يراك عبارة عن الادراك وظاهر الآية انه اراد قيام الصلاة ويحتمل سائر التصرفات وهو تاويل مجاهد وقتادة * وقوله سبحانه وتقبلك في الساجدين قال ابن عباس وغيره يريد اهل الصلاة اي صلاتك مع المصلين * وقوله تعالى قل هل أنسيكم اي قل لهم يا محمد هل اخبركم على من تنزل الشياطين والافاك الكذاب والاثيم الكثير الاثم ويريد الكهنة لانهم كانوا يتلقون من الشياطين الكلمة الواحدة التي سمعت من السماء فيخاطبون معها مائة كذبة حسبما جاء في الحديث وقد ذكرناه في غير هذا الموضع والضمير في يلقون يحتمل ان يكون للشياطين ويحتمل ان يكون للكهنة ولما ذكر الكهنة بافكهم وحالهم التي تقتضي نفى كلامهم عن كلام

الله تعالى عتب ذلك بذكر الشعراء وحالهم لينبه على بعد كلامهم من كلام
القرآن اذ قال بعض الكفرة في القرآن انه شعر والمراد شعراء الجاهلية ويدخل
في الآية كل شاعر مغلط يهجو ويمدح شهوة ويقذف المحصنات ويقول الزور *
وقوله الغاؤون قال ابن عباس هم المستحسنون لاشعارهم المصاحبون لهم وقال
عكرمة هم الرعاع الذين يتبعون الشاعر ويفتنمون انشاده * وقوله في كل واد
يهيمون عبارة عن تغليطهم وخوضهم في كل فن من غث الكلام وباطله قاله
ابن عباس وغيره وروى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
من مشى سبع خطوات في شعر كتب من الغاوين ذكره اسد بن موسى وذكره
النقاش * وقوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات الآية هذا الاستثناء
هو في شعراء الاسلام كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة
وكل من اتصف بهذه الصفة ويروى عن عطاء بن يسار وغيره ان هؤلاء شق
عليهم ما ذكر قبل في الشعراء فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت آية
الاستثناء بالمدينة * وقوله تعالى وذكروا الله كثيرا يحتمل ان يريد في اشعارهم
وهو تاويل ابن زيد ويحتمل ان ذلك خلق لهم وعبادة قاله ابن عباس فكل
شاعر في الاسلام يهجو ويمدح عن غير حق فهو داخل في هذه الآية وكل
تقي منهم يكثر من الزهد ويمسك عن كل ما يعاب فهو داخل في
الاستثناء (ت) قد كتبنا والحمد لله في هذا المختصر جملة صالحة في فضل الاذكار
عسى الله ان ينفع به من وقع بيده في جامع الترمذي عن ابي سعيد الخدري
قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم اي العباد افضل درجة عند الله تعالى يوم
القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قلت ومن الغازی في سبيل الله عز وجل قال
لو ضرب بسيفه في الكفار والمشرکین حتى ينکسر ویجتضب دما لکان الذاکرون
الله تعالى افضل منه وروى الترمذي وابن ماجه عن ابي الدرداء قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها
عند مليكم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق
وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى قال
ذكر الله تعالى قال الحماكم ابو عبد الله في كتابه المستدرک على الصحيحين هذا
حديث صحيح الاسناد انتهى من حلية النووي * وقوله وانتصروا من بعد
ما ظلموا اشارة الى ما رد به حسان وعلي وغيرها على قريش (ت) قيل وانصف
بيت قالته العرب قول حسان لابي سفيان اولابي جهل
اتهجوه ولست له بكفوف * فشرکما لحيرکما الفداء
وباقى الآية وعيد لظلمة كفار مكة وتهديد لهم



﴿ تفسير سورة النمل وهي مكيتة ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين هدى وبشرى للمؤمنين
تقدم القول في الحروف المقطعة وعطف الكتاب على القرآن وهما لمسمى
واحد من حيث هما صفتان لمعنيين فالقرآن لانه اجتمع والكتاب لانه
يكتب واقامة الصلاة ادامتها واداؤها على وجهها * وقوله تعالى زينا
لهم اعمالهم اي جعل سبحانه عقابهم على كفرهم ان حتم عليهم الكفر وجب
اليهم الشرك وزينه في نفوسهم والعمه الحيرة والتردد في الضلال ثم توعدهم
تعالى بسوء العذاب فمن ناله منه شيء في الدنيا بقي عليه عذاب الآخرة ومن
لم ينله عذاب الدنيا كان سوء عذابه في موته وفي ما بعده * وقوله تعالى

وانك لتلقى القرآن تلثي مضاعف لثي يلقي ومعناه تعطى كما قال وما يلقيها
الاذو حظ عظيم وهذه الآية رد على كفار قريش في قولهم ان القرآن
من تلقاء محمد ومن لدن معناه من عنده ومن جهته ثم قص تعالى خبر موسى
حين خرج بزوجه بنت شبيب عليه السلام يريد مصر وقد تقدم في طه قصص
الآية * وقوله سياتيكم منها بنجر او آتيكم بشهاب قبس الآية اصل الشهاب
الكوكب المنقض في اثر مسترق السمع وكل ما يقال له شهاب من المنيرات
فعلى التشبيه والقبس يحتمل ان يكون اسما ويحتمل ان يكون صفة وقرأ
الجمهور باضافة شهاب الى قبس وقرأ حمزة والكسائي وعاصم بتنوين
شهاب قبس فهذا على الصفة (ص) وقوله جاءها ضمير المفعول عائد على
النار وقيل على الشجرة انتهى وبورك معناه قدس ونفي خيره والبركة مختصة
بالخير * وقوله تعالى من في النار قال ابن عباس اراد النور وقال الحسن وابن
عباس واراد بن حولها الملائكة وموسى قال (ع) ويحتمل ان تكون من
للملائكة لان ذلك النور الذي حسبه موسى نارا لم يخل من ملائكة ومن
حولها لموسى والملائكة المطيفين به وقرأ ابي بن كعب ان بورك النار ومن
حولها * وقوله تعالى وسبحان الله رب العالمين هو تنزيه لله تعالى مما عساه
ان يخطر ببال في معنى النداء من الشجرة اي هو منزّه عن جميع ما تنوهمه
الاهوام وعن التشبيه والتكليف والضمير في انه للامر والشان * وقوله
سبحانه والى عطاك الآية امره تعالى بهذين الامرين القاء العصا وامر اليد
تدريسا له في استعمالهما والجان الحيات لانها تجن انفسها اي تسترها وقالت
فرقة الجان صغار الحيات * وقوله تعالى ولى مدبرا ولم يعقب اي ولى فارا
قال مجاهد ولم يرجع وقال قتادة ولم يلتفت قال (ع) وعقب الرجل اذا ولى
عن امر ثم صرف بدنه او وجهه اليه ثم ناداه سبحانه مؤنسا له يا موسى لا

تخف انى لا يخاف لدي المرسلون * وقوله تعالى الامن ظلم قال الفراء
وجماعة الاستثناء منقطع وهو اخبار عن غير الانبياء كانه سبحانه قال لكن
من ظلم من الناس ثم تاب فاني غفور رحيم وهذه الآية تقتضى المغفرة للتائب
والجيب الفتح في الثوب لرأس الانسان * وقوله تعالى في تسع آيات متصل
بقوله التى وادخل يدك وفيه اقتضاب وحذف والمعنى فى جملة تسع آيات
وقد تقدم بيانها والضمير فى جاءتهم لفرعون وقومه وظاهر قوله تعالى وجحدوا
بها واستيقنتها حصول الكفر عنادا وهى مسألة خلاف قد تقدم بيانها وظلما
معناه على غير استحقاق للجحد والعلو فى الارض اعظم افة على طالبه قال الله
تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا *
وقوله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما الآية هذا ابتداء قصص فيه غيوب
وعبر * وورث سليمان داود اى ورث ملكه ومنزلته من النبوة بعد موت
ابيه وقوله علمنا منطق الطير اخبار بنعمة الله تعالى عندهما فى ان فهمها من
اصوات الطير المعاني التى فى نفوسها وهذا نحو ما كان النبى صلى الله عليه وسلم
يسمع اصوات الحجارة بالمسلم عليه وغير ذلك حسب ما هو فى الآثار قال
قتادة وغيره انما كان هذا الامر فى الطير خاصة والنملة طائر اذ قد يوجد لها
جناحان وقالت فرقة بل كان ذلك فى جميع الحيوان وانما خص الطير لانه كان
جندا من جنود سليمان يحتاجه فى التظليل من الشمس وفى البعث فى الامور
والنمل حيوان فطن قوي شام جدا يدخر ويتخذ القرى ويشق الحب بقطعتين
ليلا يثبت ويشق الكزبرة باربع قطع لانها تنبت اذا قسمت شقين وياكل فى
عامه نصف ما جمع ويستبقى سائر عدة قال ابن العربي فى احكامه ولا خلاف
عند العلماء فى ان الحيوانات كلها لها افهام وعقول وقد قال الشافعي الحمام
اعقل الطير انتهى * وقوله واوتينا من كل شيء معناه يصلح لنا ونتمناه

وليست على العموم ثم ذكر شكر فضل الله تعالى واختلف في مقدار جند سليمان عليه السلام اختلافا شديدا لا ارى ذكره لعدم صحة التحديد غير ان الصحيح في هذا ان ملكه كان عظيما مملأ الارض وانقادت له المعمورة كلها وكان كرسيه يحمل اجناده من الانس والجن وكانت الطير تظله من الشمس ويبعثها في الامور ويوزعون معناه يرد اولهم الى اخرهم ويكفون قال قتادة فكان لكل صف وزعة ومنه قول الحسن البصري حين ولي قضاء البصرة لا بد للحاكم من وزعة ومنه قول ابي قحافة للجارية ذلك يا بنية الوازع ومنه قول الشاعر

على حين عابت المشيب على الضبا * فقلت الما اصح والشيب وازع
اي كاف وهكذا نقل ابن العربي عن مالك فقال يوزعون اي يكفون قال
ابن العربي وقد يكون بمعنى يلهمون من قوله اوزعني ان اشكر نعمتك اي
الهمني انتهى من الاحكام * وقوله تعالى فتبسم ضاحكا من قولها التبسم
هو ضحك الانبياء في غالب امرهم لا يليق بهم سواه وكان تبسمه سرورا
بنعمة الله تعالى عليه في اسماعه وتفهمه وفي قول النملة وهم لا يشعرون ثناء
على سليمان وجنوده يتضمن تنزيههم عن تعدد القبيح ثم دعا سليمان عليه
السلام ربه ان يعينه ويفرغه لشكر نعمته وهذا معنى ايزاع الشكر وقال الثعلبي
 وغيره اوزعني معناه الهمني وكذلك قال العراقي اوزعني الهمني انتهى *
وقوله تعالى وتفقد الطير الآية قالت فرقة ذلك بحسب ما تقتضيه العناية
بالمملكة والتهمم بكل جز، منها وهذا ظاهر الآية انه تنقد جميع الطير وقالت
فرقة بل تفقد الطير لان الشمس دخلت من موضع الهدهد فكان ذلك
سبب تفقد الطير ليبين من اين دخلت الشمس وقال عبد الله بن سلام
اغاطب الهدهد لانه احتاج الى معرفة الماء على كم هو من وجه الارض لانه

كان نزل في مفازة عدم فيها الماء وان الهدهد كان يرى باطن الارض وظهرها فكان يخبر سليمان بموضع الماء ثم كانت الجن تخرجه في ساعة وقيل غير هذا والله اعلم بما صح من ذلك ثم توعد عليه السلام الهدهد بالعذاب فروي عن ابن عباس وغيره ان تعذيبه للطير كان بنتف ريشه والسلطان الحجة حيث وقع في القراء ان قاله ابن عباس وفعل سليمان هذا بالهدهد اغلاظا على العاصين وعقابا على اخلاله بنبوته ورتبه والضمير في مكث يحتمل ان يكون لسليمان اولاهدهد وفي قراءة ابن مسعود فتمكث ثم جاء فقال وفي قراءة ابي فتمكث ثم قال احطت (ت) وهاتان القراءتان تبينان ان الضمير في مكث للهدهد وهو الظاهر ايضا في قراءة الجماعة ومعنى مكث اقام * وقوله غير بعيد يعنى في الزمن * وقوله احطت اي علمت وقرأ الجمهور سبأ بالصرف على انه اسم رجل وبه جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث فروة بن مسيك وغيره سئل عليه السلام عن سبأ فقال كان رجلا له عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاأم اربعة ورواه الترمذي من طريق فروة بن مسيك وقرأ ابن كثير وابو عمرو سبأ بفتح الهمزة وترك الصرف على انه اسم بلدة وقاله الحسن وقتادة * وقوله واوتيت من كل شيء اي مما تحتاجه المملكة قال الحسن من كل امر الدنيا وهذه المرأة هي بلقيس ووصف عرشها بالعظم في الهيئة ورتبة الملك واكثر بعض الناس في قصصها بما رأيت اختصاره لعدم صحته وانما اللازم من الآية انها امرأة ملكة على مدائن اليمن ذات ملك عظيم وكانت كافرة من قوم كفار * وقوله الا يسجدوا لله الى قوله العظيم ظاهره انه من قول الهدهد وهو قول ابن زيد وابن اسحاق ويحتمل ان يكون من قول الله تعالى اعترضا بين الكلامين وقراءة التشديد في الاتعطى ان الكلام للهدهد وهي قراءة الجمهور وقراءة التخفيف وهي

للكسائي تمنعه وتقوى الآخر فتأمله وقرأ الاعمش هلا يسجدون وفي حرف
عبد الله الاهل تسجدون بالتاء والحب الخفي من الامور وهو من خبات
الشيء واللفظة تعم كل ما خفي من الامور وبه فسر ابن عباس وقرأ الجمهور
يخفون ويعلنون بياء الغائب وهذه القراءة تعطى ان الآية من كلام الهدهد وقرأ
الكسائي وحفص عن عاصم تخفون وتعلنون بياء الخطاب وهذه القراءة تعطى
ان الآية من خطاب الله تعالى لامة محمد صلى الله عليه وسلم * قوله فאלقه اليهم
ثم قول عنهم قال وهب بن منبه امره بالتولي حسن ادب ليتنحى حسب ما يتأدب
به مع الملوك بمعنى وكن قريبا حتى ترى مراجعاتهم وليكل الامر الى حكم ما في
الكتاب دون ان تكون للرسول ملازمة ولا الجاح وروى وهب بن منبه في
قصص هذه الآية ان الهدهد وصل فوجد دون هذه الملكة حجب جدران
فعمد الى كوة كانت بلبقيس صنعتها لتدخل منها الشمس عند طلوعها لمعنى عبادتها
اياها فدخل منها ورمى بالكتاب اليها فقرأته وجمعت اهل ملكها فخطبهم بما ياتي
بعد قالت يا ايها المسلاتعني الاشراف اني القي الي كتاب كريم وصفت الكتاب
بالكريم اما لانه من عند عظيم اولانه بدئ باسم كريم ثم اخذت تصف لهم ما في
الكتاب ثم اخذت في حسن الادب مع رجالها ومشاورتهم في امرها فراجعها
قومها بما يقر عينها من اعلامهم اياها بالقوة والبأس ثم سلموا الامر الى نظرها
وهذه محاوره حسنة من الجميع وفي قراءة عبد الله ما كنت قاضية امرا بالاضاد
من القضاء ثم اخبرت بلقيس بفعل الملوك بالقرى التي يتغلبون عليها وفي كلامها
خوف على قومها وحيطة لهم قال الداودي وعن ابن عباس اذا دخلوا قرية افسدوها
قال اذا اخذوها عنوة اخربوها انتهى * وقوله وكذلك يفعلون قالت فرقة
هو من قول بلقيس وقال ابن عباس هو من قول الله تعالى معرفا لمحمد عليه
السلام وامته بذلك * واني مرسله اليهم بهدية الآية روي ان بلقيس قالت

لقومها انى اجرب هذا الرجل بهدية فيها نفائس الاموال فان كان ملكا دنيويا
ارضاه المال وان كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا الا ان نتبعه على دينه
فينبئني ان نومن به ونتبعه على دينه فبعثت اليه بهدية عظيمة * وقوله تعالى
فلما جاء سليمان يعنى رسل بلقيس وقول سليمان ارجع خطاب لرسلها لان
الرسول يقع على الجمع والافراد والتذكير والتانيث وفي قراءة ابن مسعود فلما
جاءوا سليمان وقرأ ارجعوا ووعد سليمان لهم مقترن بدوامهم على الكفر قال
البخاري لا قبل لهم بها اي لاطاقة لهم انتهى ثم قال سليمان لجمعه يا ايها الملأ ايكم
ياتيني بعرشها قال ابن زيد وغرضه في استدعاء عرشها ان يريها القدرة التي من
عند الله وليغرب عليها ومسلمين في هذا التاويل بمعنى مستسلمين ويحتمل ان
يكون بمعنى الاسلام وقال قتادة كان غرض سليمان اخذه قبل ان بعضهم الاسلام
فالاسلام على هذا التاويل يراد به الدين (ت) والتاويل الاول السبق بمنصب
النبوة فيتمين حمل الآية عليه والله اعلم وروي ان عرشها كان من ذهب وفضة
مرصعا بالياقوت والجوهر وانه كان في جوفه سبعة ابيات عليها سبعة اغلاق
والعفريت هو من الشياطين القوي المارد * وقوله قبل ان تقوم من مقامك
قال مجاهد وقتادة معناه قبل قيامك من مجلس الحكم وكان يجلس من الصبح
الى وقت الظهر في كل يوم وقيل معناه قبل ان تستوي من جلوسك قائما وقول
الذى عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال ابن جبير
وقتادة معناه قبل ان يصل اليك من يقع طرفك عليه في ابعد ما ترى وقال
مجاهد معناه قبل ان تحتاج الى التغميض اي مدة ما يمكنك ان تمد بصرك دون
تغميض وذلك ارتداده قال (ع) وهذان القولان يقابلان القولين قبلهما *
وقوله لقوي امين معناه قوي على حمله امين على ما فيه ويروى ان الجن كانت
نخبر سليمان بمنقل سير بلقيس فلما قربت قال ايكم ياتيني بعرشها فدعا الذى

عنده علم من التوراة وهو الكتاب المشار اليه باسم الله الاعظم
الذى كانت العادة فى ذلك الزمان ان لا يدعوه به احد الا اجيب فشقت الارض
بذلك العرش حتى نبع بين يدي سليمان عليه السلام وقيل بل جيء
به فى الهواء وجمهور المفسرين على ان هذا الذى عنده علم من الكتاب كان
رجلا صالحا من بنى اسرائيل اسمه آصف بن برخيا روي انه صلى ركعتين ثم
قال لسليمان يا نبي الله امدد بصرك نحو اليمن فمد بصره فاذا بالعرش فما رد
سليمان بصره الا وهو عنده وقال قتادة اسمه بلخيا وقول سليمان عليه السلام
نكروا لها عرشها يريد تجربة ميزها ونظرها وروت فرقة ان الجن احست
من سليمان اوظنت به انه ربما تزوجها فكرهوا ذلك وعيوبوها عنده بانها غير
عاقلة ولا مميزة وان رجلا كحافر دابة فجرب عقلها وميزها بتكثير السرير وجرب
امر رجلا بامر الصرح لتكشف عن ساقها عنده وتكثير العرش تغيير وضعه
وستر بعضه وقولها كانه هو تجرذ فصيح وقال الحسن بن الفضل شبهوا عليها
فشبهت عليهم ولو قالوا اهذا عرشك لقات نعم ثم قال سليمان عند ذلك
واوتينا العلم من قبلها الآية وهذا منه على جهة تعديد نعم الله عليه وعلى
ابائه * وقوله تعالى وصدها ما كانت تعبد اي عن الايمان وهذا الكلام يحتمل
ان يكون من قول سليمان او من قول الله اخبارا لمحمد عليه السلام قال محمد
ابن كعب القرظي وغيره ولما وصلت بلقيس امر سليمان الجن فصنعت له
صرحا وهو السطح فى الصحن من غير سقف وجعلته مبنيا كالصهريج
وملئ ماء وبث فيه السمك وطبقه بالزجاج الابيض الشفاف وبهذا جاء
صرحا والصرح ايضا كل بناء عال وكل هذا من التصريح وهو الاعلان
البالغ ثم وضع سليمان فى وسط الصرح كرسي فلما وصلته بلقيس قيل لها ادخلى
الى النبي عليه السلام فلما رأت الصرح حسبته لجة وهو معظم الماء ففرغت

وظنت انها قصد بها الفرق وتمجبت من كون كرسيه على الماء ورأت ماها لها ولم يكن لها بد من امثال الامر فكشفت عن ساقها فرأى سليمان ساقها سليمة مما قالت الجن غير انها كثيرة الشعر فلما بلغت هذا الحد قال لها سليمان انه صرح بمرد من قوارير والمرد المحكوك المملس ومنه الامر فغند ذلك قالت رب انى ظلمت نفسي واسلمت مع سليمان لله رب العالمين فروي ان سليمان تزوجها عند ذلك واسكنها الشام قاله الضحاك وقيل تزوجها وردها الى ملكها باليمن وكان ياتيها على الريح كل شهر مرة فولدت له غلاما سماه داود مات في حياته وروي ان سليمان لما اراد زوال شعر ساقها امر الجن بالتلطف في زواله فصنعوا النورة ولم تكن قبل وصنعوا الحمام * وقوله تعالى ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا الآية تمثيل لقريش وفريقان يريد بهما من آمن بصالح ومن كفر به واختصامهم هو تنازعهم وقد ذكر تعالى ذلك في سورة الاعراف ثم ان صالحا عليه السلام ترفق بقومه ووقفهم على خطيئهم في استعجالهم العذاب قبل الرحمة او المعصية لله قبل الطاعة ثم اجابوه بقولهم اطيرنا بك اي تشاء منا بك وتسعة رهط هم رجال كانوا من اوجه القوم واعتاهم وهم اصحاب قدار والمدينة مجتمع ثمود وقريتهم * وقوله تعالى تقاسموا قال الجمهور هو فعل امر اشار بعضهم على بعض بان يتحالفوا على هذا الفعل بصالح وحكى الطبري انه يجوز ان يكون تقاسموا فعلا ماضيا في موضع الحال كانه قال متقاسمين او متحالفين بالله لنبيته واهله وتؤيده قراءة عبد الله ولا يصلحون تقاسموا باسقاط قالوا قال (ع) وهذه الالفاظ الدالة على قسم تجاوب باللام وان لم يتقدم قسم ظاهر فاللام في نبيته جواب القسم وروي في قصص هذه الآية ان هؤلاء التسعة لما كان في صدر الثلاثة الايام بعد عقر الناقة وقد اخبرهم صالح بمجيئ العذاب اتفق هؤلاء التسعة فتحالفوا

على ان ياتوا دار صالح ليلا فيقتلوه واهله المختصين به قالوا فان كان كذبا
في وعيده اوقعنا به ما يستحق وان كان صادقا كنا قد عجلناه قبلنا
وشفيئنا به نفوسنا فجاءوا واختفوا لذلك في غار قريب من داره فروي
انه انحدرت عليهم صخرة شذختهم جميعا وروي انها طبقت عليهم الفسار
فهلكوا فيه حين هلك قومهم وكل فريق لا يعلم بما جرى على الآخر وقد
كانوا بنوا على جحود الامر من قرابة صالح وبني بالاهل كل من آمن به
قاله الحسن * وقوله سبحانه ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون قال ابن العربي
الحاتمي المكر ارداف النعم مع المخالفة وابقاء الحال مع سوء الادب انتهى
من شرحه لالفاظ الصوفية والتدمير الهلاك وخاوية معناه قفرا وهذه
البيوت المشار اليها هي التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم عام تبوك لا
تدخلوا بيوت المذنبين الا ان تكونوا باكين الحديث في صحيح مسلم
وغيره * وقوله تعالى ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة وانتم تبصرون
انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم تجهلون تقدم
قصص هؤلاء القوم وتبصرون معناه بقلوبكم قال ابو حيان وشهوة مفعول
من اجله انتهى وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن
الله من عمل عمل قوم لوط رواه ابو داود والترمذي والنسائي واللفظ له وابن
ماجه وابن حبان في صحيحه انتهى من السلاح * وقوله تعالى قل الحمد لله
وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير اما تشركون الايات هذا ابتداء
تقرير وتنبيه لقريش والعرب وهو بعد يعم كل مكلف من الناس جميعا
وافتح ذلك بالقول بحمده سبحانه وتمجيده وبالسلم على عباده الذين
اصطفاهم للنبوة والايمان فهذا اللفظ عام لجميعهم من ولد ادم وكأن هذا
صدر خطبة للتقرير المذكور قالت فرقة وفي الآية حذف مضاف في

موضعين التقدير اتوحيد الله خير ام عبادة ما تشركون فما على هذا موصولة بمعنى الذى وقالت فرقة ما مصدرية وحذف المضاف انما هو اولا تقديره اتوحيد الله خير ام شرككم (ت) ومن كلام الشيخ العارف بالله ابى الحسن الشاذلى قال رحمه الله ان اردت ان لا يصدأ لك قلب ولا يبلحقتك هم ولا كرب ولا يبقى عليك ذنب فاكثر من قولك سبحان الله وبجمده سبحان الله العظيم لا اله الا الله اللهم ثبت علمها فى قلبى واغفر لى ذنبى واغفر للمؤمنين والمؤمنات وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى انتهى * وقوله تعالى امن خلق وما بعدها من التقريرات توبيخ لهم وتقرير على ما لامندوحة عن الاقرار به والحدائق مجتمع الشجر من الاعناب والنخيل وغير ذلك قال قوم لا يقال حديقة الالمسا عليه جدار قد احدث به وقال قوم يقال ذلك كان جدار او لم يكن لان البياض محدق بالاشجار والبهجة الجمال والنضارة * وقوله سبحانه ما كان لكم ان تنبتوا شجرها اى ليس ذلك فى قدرتكم ويعدلون يجوز ان يراد به يعدلون عن طريق الحق ويجوز ان يراد به يعدلون بالله غيره اى يجعلون له عديلا ومثيلا وخلالها معناه بينها والرواسى الجبال والبحران الماء العذب والماء الاجاج على ما تقدم والحاجز ما جعل الله بينهما من حواجز الارض وموانعها على رقتها فى بعض المواضع ولطافتها لولا قدرة الله لغلغ المالح العذب * وقوله سبحانه امن يجب المضطر اذا دعاه الآية وعن حبيب بن سلمة الفهري وكان بجانب الدعوة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يجتمع ملا فيدعو بعضهم ويؤمن بعضهم الا اجابهم الله رواه الحاكم فى المستدرک انتهى من سلاح المؤمن وعن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء

من قلب غافل لاه رواه الترمذي وهذا لفظه قال صاحب السلاح ورواه الحاكم في المستدرک وقال مستقيم الاسناد انتهى والسوء عام في كل ضر يكشفه الله تعالى عن عباده قال ابن عطاء الله ما طلب لك شيء مثل الاضطرار ولا اسرع بالمواهب لك مثل الذلة والافتقار انتهى والظلمات عام لظلمة الليل وظلمة الجهل والضلال والرزق من السماء هو بالمطر ومن الارض بالنبات هذا هو مشهور ما يحسه البشر وكم لله بعد من لطف خفي ثم امر تعالى نبيه ان يوقفهم على ان الغيب مما انفرد الله بعلمه ولذلك سمي غيبا لغيبه عن المخلوقين روي ان هذه الآية من قوله قل لا يعلم انما نزلت لاجل سؤال الكفار عن الساعة الموعود بها فجاء بلفظ يعم الساعة وغيرها واخبر عن البشر انهم لا يشمرون ايان يبعثون (ص) ايان اسم استفهام بمعنى متى وهي معمولة ليعثون والجملة في موضع نصب بيشمرون انتهى وقرأ جمهور القراء بل ادرك اصله تدارك وقرأ عاصم في رواية ابي بكر بل ادرك على وزن افتعل وهي بمعنى تفاعل وقرأ ابن كثير وابو عمرو بل ادرك وهذه القراءات تحتل معنيين احدهما ادرك علمهم اي تناهى كما تقول ادرك النبات والمعنى قد تناهى علمهم بالآخرة الى ان لا يعرفوا لها مقدارا فيؤمنوا وانما لهم ظنون كاذبة اولى ان لا يعرفوا لها وقتا والمعنى الثاني بل ادرك بمعنى يدرك اي انهم في الآخرة يدرك علمهم وقت القيامة ويرون العذاب والحقائق التي كذبوا بها واما في الدنيا فلا وهذا هو تاويل ابن عباس ونحنا اليه الزجاج فقوله في الآخرة على هذا التاويل ظرف وعلى التاويل الاول في بمعنى الباء ثم وصفهم عز وجل بانهم في شك منها ثم اردف بصفة هي البلع من الشك وهي العمى بالجملة عن امر الآخرة وعمون اصله عميون فعملون كحذرون * وقوله تعالى وقال الذين كفروا اذا كنا ترابا وءابؤنا انذا لمخرجون لقد وعدنا هذا فنحن

وءاباؤنا من قبل ان هذا الاساطير الاولين هذه الآية معناها واضح مما تقدم
 في غيرها ثم ذكر تعالى استعجال كفار قريش امر الساعة والعذاب
 بقولهم متى هذا الوعد على معنى التعجيز وردف معناه قرب وازف قاله
 ابن عباس وغيره ولكنها عبارة عما يجيء بعد الشيء قريبا منه والماء
 في غائبة للمبالغة اي ما من شيء في غاية الغيب والخفاء الا في كتاب
 عند الله وفي مكنون علمه لا اله الا هو ثم نبه تعالى على ان هذا القرآن
 يقص على بني اسرائيل اكثر الاشياء التي كان بينهم اختلاف في صفتها جاء
 بها القرآن على وجهها وانه لهدى ورحمة للمومنين كما انه عمى على الكافرين
 المحتوم عليهم ثم سلى نبيه بقوله انك لا تسمع الموقى فشبههم مرة بالموقى ومرة
 بالصم من حيث ان فائدة القول لهؤلاء معدومة وقرأ حمزة وحده وما انت
 تهدي العمي بفعل مستقبل ومعنى قوله تعالى واذا وقع القول عليهم اي اذا
 انتجز وعد عذابهم الذي تضمنه القول الازلي من الله في ذلك وهذا بمنزلة
 قوله تعالى حققت كلمة العذاب فمعنى الآية واذا اراد الله ان ينفذ في الكافرين
 سابق علمه لهم من العذاب اخرج لهم دابة من الارض وروي ان ذلك حين
 ينقطع الحير ولا يومر بمعروف ولا ينهي عن منكر ولا يبقى منيب ولا نائب
 ووقع عبارة عن الثبوت واللزوم وفي الحديث ان الدابة وطلوع الشمس من
 المغرب من اول الاشارات وهذه الدابة روي انها تخرج من الصفا بمكة
 قاله ابن عمر وغيره وقيل غير هذا وقرأ الجمهور تكلمهم من الكلام وقرأ ابن
 عباس وغيره تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام من الكلام وهو الجرح
 وسئل ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم او نكلمهم فقال كل ذلك والله
 تفعل تكلمهم وتكلمهم وروي انها تمر على الناس فتسم الكافر في جبهته
 وترره وتشتمه وربما خطمته وتمسح على وجه المومن فتبيضه ويعرف بعد ذلك

الايمان والكفر من اثرها وفي الحديث تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا
 موسى فتجلبو وجوه المؤمنين بالعصا وتختتم انف الكافر بالخاتم حتى ان
 الناس ليجتمعون فيقول هذا يأسومن ويقول هذا ياكافر رواء البزار انتهى من
 الكوكب الدرري وقرأ الجمهور ان الناس بكسر ان وقرأ حمزة والكسائي
 وعاصم ان بفتحتها وفي قراءة عبد الله تكلمهم بان وعلى هذه القراءة
 فيكون قوله ان الناس الى اخرها من كلام الدابة وروي ذلك عن
 ابن عباس ويحتمل ان يكون من كلام الله تعالى * وقوله تعالى ويوم
 نحشر من كل امة فوجا هو تذكير يوم القيامة والفوج الجماعة الكثيرة
 ويوزعون معناه يكفون في السوق اي يحبس اولهم على اخرهم قاله قتادة
 ومنه وازع الجيش ثم اخبر تعالى عن توقيفه الكفرة يوم القيامة وسؤالهم
 على جهة التوبيخ اكذبتكم الآية ثم قال اماذا كنتم تعملون على معنى
 استيفاء الحجج اي ان كان لم عمل اوحجة فهاؤها ثم اخبر عن وقوع القول
 عليهم اي نفوذ العذاب وحتم القضاء وانهم لا ينطقون بحجة وهذا في موطن
 من موطن القيامة ولما تكلم المحاسبي على احوال القيامة قال واذكر الصراط
 بدقته وهوله وزلته وعظيم خطره وجهنم تخفق بامواجها من تحته فياله من
 منظر ما افظعه واهوله فتوهم ذلك بقلب فارغ وعقل جامع فان احوال
 يوم القيامة انما خفت على الذين توهموها في الدنيا بمقولهم فتحملوا في الدنيا
 الهموم خوفا من مقام ربهم فخففها مولاهم يوم القيامة عنهم انتهى من كتاب
 التوهم * ويوم ينفخ في الصور وهو القرن في قول جمهور الامة وصاحب الصور
 هو اسرافيل عليه السلام وهذه النفخة المذكورة هنا هي نفخة الفزع
 وروي ابو عريرة انها ثلاث نفخات نفخة الفزع وهو فزع حياة الدنيا وليس
 بالنفزع الاكبر ونفخة الصعق ونفخة القيام من القبور وقالت فرقة انما هما نفختان

كانهم جعلوا الفزع والصمق في نفخة واحدة مستدلين بقوله تعالى ثم نفخ فيه
 اخرى الآية قالوا واخرى لا يقال الا في الثانية قال (ع) والاول اصح واخرى
 يقال في الثالثة ومنه قوله تعالى ومناة الثالثة الاخرى * وقوله تعالى الامن شاء
 الله استثناء فيمن قضى الله سبحانه من ملائكته وانبيائه وشهداء عبيده
 ان لا ينالهم فزع النفخ في الصور حسب ماورد في ذلك من الآثار قال (ع)
 واذا كان الفزع الاكبر لا ينالهم فهم حريون ان لا ينالهم هذا وقرأ حمزة
 وكل اتوه على صيغة الفعل الماضي والداخر المتذلل الخاضع قال ابن عباس
 وابن زيد الداخر الصاغر وقد تظاهرت الروايات بان الاستثناء في هذه
 الآية انما اريد به الشهداء لانهم احياء عند ربهم يرزقون وهم اهل للفزع
 لانهم بشر لكن فضلو بالامن في ذلك اليوم (ت) واختار الحلبي هذا القول
 قال وهو مروي عن ابن عباس ان المستثنى هم الشهداء وضعف ما عده من
 الاقوال قال القرطبي في تذكرته وقد ورد في حديث ابي هريرة بانهم الشهداء
 وهو حديث صحيح انتهى * وقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة الآية
 هذا وصف حال الاشياء يوم القيامة عقب النفخ في الصور والرؤية
 هي بالعين قال ابن عباس جامدة قائمة والحسنة الايمان وقال ابن عباس
 وغيره هي لاله الا الله وروي عن علي بن الحسين انه قال كنت في
 بمض خلواتي فرفعت صوتي بلاله الا الله فسمعت قائلاً يقول انها الكلمة
 التي قال الله فيها من جاء بالحسنة فله خير منها وقال ابن زيد يعطى بالحسنة
 الواحدة عشرا قال (ع) والسيئة التي في هذه الآية هي الكفر والمعاصي
 فيمن حتم الله عليه من اهل المشيئة بدخول النار * وقوله انما امرت المعنى
 قل يا محمد لقومك انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة يعني مكة وان
 اتلوا القرآن ان معناه تابع في قراءتك اي بين آياته واسرد قال (ص) وان

اتلوا معطوف على ان اكون وقرأ عبد الله وان اتل بغير واو وقوله ومن
ضل جوابه محذوف يدل عليه ما قبله اي فوبال ضلاله عليه
او يكون الجواب فقل ويقدر ضمير عائد من الجواب على الشرط لانه اسم
غير ظرف اي من المنذرين له انتهى وتلاوة القرآن سبب الاهتداء
الى كل خير * وقوله تعالى سيرىكم اياته توعده بمذاب الدنيا
كبد ونحوه بمذاب الآخرة * وما ربك بغافل عما تعملون فيه وعيد

﴿ تفسير سورة القصص وهي مكية ﴾

الاقوله تعالى ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فانها نزلت بالجهفة
فى وقت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة قاله ابن سلام وغيره
وقال مقاتل فيها من المدنى الذين اتيناهم الكتاب الى قوله لانتفى الجاهلين

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى طسم تلك ايات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبيا موسى الآية
معنى نتلوا نقص وخص تعالى بقوله لقوم يؤمنون من حيث انهم هم المستضعفون
بذلك دون غيرهم وعلا فى الارض اي علوطنيان وتغلب وفى الارض يريد
ارض مصر والشيع الفرق والطائفة المستضعفة هم بنو اسرائيل يذبح ابناهم
خوف خراب ملكه على ما اخبرته كهنته اولاجل رؤيا رءاها قاله السدي
وطمع بجهله ان يرد القدر واين هذا المترع من قول النبي صلى الله عليه وسلم

لعمر ان يكنه فلن تسلط عليه وان لم يكنه فلا خير لك في قتله يعني ابن صياد
اذخاف عمر ان يكون هو الدجال وباقي الآية بين وتقدم قصصه والائمة
ولاة الامور قاله قتادة * ونجعلهم الوارثين يريد ارض مصر والشام رقرأ
حمزة ويرى فرعون بالياء وفتح الراء والمعنى ويقع فرعون وقومه فيما خافوه
وحذروه من جهة بنى اسرائيل وظهورهم وهامان هو وزير فرعون والكثير
رجاله وهذا الوحي الى ام موسى قيل وحي الهام وقيل بملك وقيل في
منام وجملة الامر انها علمت ان هذا الذى وقع في نفسها هو من عند الله
قال السدي وغيره امرت ان ترضعه عقب الولادة وتصنع به ما في الآية
لان الخوف كان عقب كل ولادة واليم معظم الماء والمراد نيل مصر واسم ام
موسى يوحناذ وروي في قصص هذه الآية ان ام موسى لقيه في ثيابه وجعلت له
تابوتا صغيرا وسدته عليه بقفل وعلقت مفتاحه عليه واسلمته ثقة بالله وانتظارا
لوعده سبحانه فلما غاب عنها عاودها بثها واسفت عليه واخطها الشيطان فاهتمت
به وكادت تفتضح وجعلت الاخت تقصه اي تطلب اثره وتقدم باقى القصة في
طه وغيرها والاتقاط النقاء عن غير قصد وال فرعون اهله وجملة واللام في
ليكون لام العاقبة وقال (ص) ليكون اللام للتعليل المجازي ولما كان
مثاله الى ذلك عبر عنه بلام العاقبة ولام الصيرورة انتهى وقرأ حمزة
والكسائي وحزنا بضم الحاء وسكون الزاي والخطئى متعمد الخطأ والمخطئى
الذى لا يعتمد * وقوله وهم لا يشعرون اي بانه هو الذى يفسد ملك
فرعون على يده قاله قتادة وغيره * واصبح فؤاد ام موسى فارغا اي فاذا من
كل شيء الامن ذكر موسى قاله ابن عباس وقال مالك هو ذهاب العقل
وقالت فرقة فارغا من الصبر * وقوله تعالى ان كادت لتبدي به اي امر
ابنها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال كادت ام موسى ان تقول وابناه

وتخرج سائحة على وجهها والربط على القلب تأنيسه وتقويته ولتكون من المؤمنين اي من المصدقين بوعد الله وما اوحى اليها به وعن جنب اي ناحية فمضى عن جنب عن بعد لم تدن منه فيشعر لها * وقوله وهم لا يشعرون معناه انها اخته ووعد الله المشار اليه هو الذى اوحاه اليها اولاما بملك او بئامة حسبما تقدم والقول بالالهام ضعيف ان يقال فيه وعد * وقوله واكثرهم يريد به القبط والاشد شدة البدن واستحكام امره وقوته واستوى معناه تكامل عقله وذلك عند الجمهور مع الاربعين والحكم الحكمة والعلم المعرفة بشرع ابراهيم عليه السلام * وقوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها قال السدي كان موسى في وقت هذه القصة على رسم التعلق بفرعون وكان يركب مراكبه حتى انه كان يدعى موسى بن فرعون فركب فرعون يوما وسار الى مدينة من مدائن مصر فركب موسى بعهده ولحق بملك المدينة في وقت القائلة وهو حين الغفلة قاله ابن عباس وقال ايضا هو بين العشاء والعمة وقيل غير هذا * وقوله تعالى هذا من شيعته اي من بنى اسرائيل وعدوه هم القبط والوكز الضرب باليد مجموعة وقرأ ابن مسعود فلكزه والمعنى واحد الا ان اللكز فى الاحى والوكز على القلب وقضى عليه معناه قتله مجبزا ولم يرد عليه السلام قتل القبطي لكن وافقت وكزته الاجل فندم ورأى ان ذلك من نزع الشيطان فى يده ثم ان ندامة موسى حملته على الخضوع لربه والاستغفار من ذنبه فغفر الله له ذلك ومع ذلك لم يزل عليه السلام يعيد ذلك على نفسه مع علمه انه قد غفر له حتى انه فى القيامة يقول وقتلت نفسا لم اوامر بقتلها حسبما صح فى حديث الشفاعة ثم قال موسى عليه السلام معاها لربه رب بعمتك علي وبسبب احسانك وغفرانك فانا ملتزم ان لا اكون معينا للمجرمين هذا

احسن ما تأول وقال الطبري انه قسم اقسام بنعمة الله عنده قال (ع) واحتج اهل الفضل والعلم بهذه الآية في منع خدمة اهل الجور ومعونتهم في شي من امرهم ورأوا انها تتناول ذلك نص عليه عطاء بن ابي رباح وغيره قال ابن عباس ثم ان موسى مر وهو بحالة الترقب واذا ذلك الاسراييلي الذي قاتل القبطي بالامس يقاتل آخر من القبط وكان قتل القبطي قد خفي على الناس واكتتم فلما رأى الاسراييلي موسى استصرخه بمعنى صاح به مستغيثا فلما رأى موسى قتاله لآخر اعظم ذلك وقال له معاتبا ومؤثبا انك لغوي مبين وكانت ارادة موسى مع ذلك ان ينصر الاسراييلي فلما دنا منهما وحبس الاسراييلي وفزع منه وظن انه ربما ضربه وفزع من قوته التي رأى بالامس فناداه بالفضيحة وشهر امر المقتول ولما اشتهر ان موسى قتل القتل وكان قول الاسراييلي يغلب على النفوس تصديقه على موسى مع ما كان لموسى من المقدمات اتى رأي فرعون وملائه على قتل موسى وغلب على نفس فرعون انه المشار اليه بفساد المملكة فانفذ فيه من يطلبه ويأتى به للقتل والهم الله رجلا يقال انه مومن من آل فرعون او غيره فجاء الى موسى وبلغه قلبهم ويسمى معناه يسرع في مشيه قاله الزجاج وغيره وهو دون الجري فقال ياموسى ان الملائة ياترون بك الآية (ت) قال الهروي قوله تعالى ياترون بك اي يوامر بعضهم بعضا في قتلك وقال الازهري الباء في قوله ياترون بك بمعنى في يقال ائتمر القوم اذا شاور بعضهم بعضا انتهى وعن ابي مجلز واسمه لاحق بن حميد قال من خاف من امير ظلما فقال رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً وبالقرآن حكماً واماماً نجاه الله منه رواه ابن ابي شيبة في مصنفه انتهى من السلاح وتلقا معناه ناحية مدين وبين مصر ومدين مسيرة ثمانية ايام

وكان ملك مدين لغير فرعون ولما خرج عليه السلام فارا بنفسه منفردا حافيا
لاشيء معه ولا زاد وغير عارف بالطريق اسند امره الى الله تعالى وقال عسى
ربي ان يهديني سواء السبيل ومشى عليه السلام حتى ورد ماء مدين
ووروده الماء معناه بلوغه ومدين لا ينصرف اذ هو بلد معروف والامة الجمع
الكثير ويسقون معناه ماشيتهم ومن دونهم معناه ناحية الى الجهة التي جاء منها
فوصل الى المراتين قبل وصوله الى الامة وتذودان معناه تمنعان وتحبسان غنمها
عن الماء خوفا من السقاة الاقوياء وابونا شيخ كبير اي لا يستطيع لضعفه ان
يباشر امر غنمه * وقوله تعالى فسقى لهما قالت فرقة كانت ابارهم مغطاة
بحجارة كبار فعمد الى بير وكان حجرها لا يرفعه الاجماع فرفعه وسقى للمراتين
فمن رفع الصخرة وصفته احدا هما بالقوة وقيل وصفته بالقوة لانه زحم الناس
وغلبهم على الماء حتى سقى لهما وقرأ الجمهور يصدر الرعاء على حذف المفعول
تقديره مواشيهم وتولى موسى الى الظل وتعرض لسؤال ما يطعمه بقوله رب
اني لما انزلت الي من خير فقير ولم يصرح بسؤال هكذا روى جميع المفسرين
انه طلب في هذا الكلام ما ياكله قال ابن عباس وكان قد بلغ به الجوع الى ان
اخضر لونه من اكل البقل ورئت خضرة البقل في بطنه وانه لا كرم الخلق يومئذ
على الله وفي هذا معتبر وحاكم بهوان الدنيا على الله تعالى وعن معاذ بن انس
قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من اكل طاماما فقال الحمد لله الذي اطعمني
هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن
لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقنيه من غير حول مني
ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر رواه ابو داود واللفظ له والترمذي
وابن ماجه والحاكم في المستدرک وقال صحيح على شرط البخاري وقال الترمذي
حسن غريب انتهى من السلاح * وقوله تعالى فجاءته احدهما تمشي على

استحياء الآية في هذا الموضع اختصار يدل عليه الظاهر قدره ابن اسحاق فذهبتا الى ابيهما فاخبرتا بما كان من الرجل فامر احدى ابنتيه ان تدعوه له فجاءته على ما في الآية وقوله على استحياء اي خفرة قد سترت وجهها بكم درعها قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وروى الترمذي عن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء من الايمان والايمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى والجمهور ان الداعي لموسى عليه السلام هو شعيب عليه السلام وان المرأتين ابنتاه فقالت ان ابى يدعوك الآية فقام يتبعها فهبت ريح ضمت قيصها الى بدنهما فتخرج موسى من النظر اليها فقال لها امشى خلفي وارشديني الى الطريق ففهمت عنه فذلك سبب وصفها له بالامانة قاله ابن عباس فلما جاءه وقص عليه القصص فانس به قوله لا تخف نجوت من القوم الظالمين فلما فرغ كلامهما قالت احدى الابنتين يا ابت استاجرته ان خير من استاجرت القوي الامين فقال لها ابوها ومن اين عرفت هذا منه قالت اما قوته في رفع الصخرة واما امانته ففي تخرجه عن النظر الي قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد وغيرهم فقال له الاب عند ذلك اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين الآية قال ابن العربي في احكامه قوله اني اريد ان انكحك احدى ابنتي هاتين يدل على انه عرض لاعتقد لانه لو كان عقدا لعين العقود عليها لان العلماء وان اختلفوا في جواز البيع اذا قال له بعتك احد عبدي هذين بثمن كذا فانهم اتفقوا على ان ذلك لا يجوز في النكاح لانه خيار وشي من الخيار لا يلحق بالنكاح وروي انه قال شعيب ايها تريد قال الصغرى انتهى وتاجر معناه تشيب وجعل شعيب الثمانية الاعوام شرطا ووكل العامين الى المروءة ولما فرغ كلام شعيب قرره موسى وكرر معناه على جهة التوثق في ان الشرط انما وقع في ثمان حجج واثبات استفهام

نصب بقضيت وما صلة للتاكيد ولاعدوان معناه لاتباعة علي والوكيل الشاهد القائم بالامر * وقوله تعالى فلما قضى موسى الاجل قال ابن عباس قضى اكلمها عشر سنين واسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله اني انست نارا لعلي اتيم منها بخبر اوجدوة من النار لعلكم تصطلون فلما اتاها نودي الآية تقدم قصصها فانظره في محاله قال البخاري والجذوة قطعة غليظة من الحشب فيها لهب انتهى قال العراقي وانس معناه ابصر انتهى * وقوله من الشجرة يقتضى ان موسى عليه السلام سمع ما سمع من جهة الشجرة وسمع وادرك غير مكيف ولاحدد قال السهيلي قيل ان هذه الشجرة عوسجة وقيل عليقة والعوسج اذا عظم قيل له الفرقد انتهى ولم يعقب معناه لم يرجع على عقبه من توليته * وقوله تعالى واضم اليك جناحك من الرهب ذهب مجاهد وابن زيد الى ان ذلك حقيقة امره بضم عضده وذراعه وهو الجناح الى جنبه ليخف بذلك فزعه ورهبه ومن شان الانسان اذا فعل ذلك فى اوقات فزعه ان يقوى قلبه وذهبت فرقة الى ان ذلك على المجاز وانه امر بالعزم على ما امر به كما تقول العرب اشد حيازيمك واربط جأشك اي شمر فى امرك ودع عنك الرهب * وقوله تعالى فذائك برهانا من ربك قال مجاهد والسدي هي اشارة الى العصا واليد وقرأ الجمهور ردا بالهمز وقرأ نافع وحده ردا بتنوين الدال دون همز وذلك على التخفيف من ردء والردء الوزير المميز وشد العضد استعارة فى المعونة والسلطان الحجة * وقوله بشاياتنا متعلق بقوله الغالبون اي تغلبون بشاياتنا وهي المعجزات ثم ان فرعون استمر فى طريق مخرقته على قومه وامر هامان بان يطبخ له الاجر وان يبني له صرحا اي سطحا فى اعلى الهواء موها لجهلة قومه ان يطلع بزعمه فى السماء ثم قال وانى لاطنه من الكاذبين يعنى موسى فى انه ارسله مرسل

ونبذناهم معناه طرحناهم واليم بحر القلزم في قول اكثر الناس وهو الاشهر *
وقوله تعالى وجعلناهم ائمة يدعون الى النار الآية عبارة عن حالهم وافعالهم
وخاتمهم اي هم بذلك كالداعين الى النار وهم فيه ائمة من حيث اشتهروا
وبقي حديثهم فهم قدوة لكل كافر وعات الى يوم القيامة والمقبوحين الذين يقبح
كل امرهم قولاهم وفعلنا بهم قال ابن عباس هم الذين قبحوا بسواد الوجوه
وزرقة العيون ويوم ظرف مقدم ولقد آتينا موسى الكتاب يعني التوراة والقصد
بهذا الاخبار التمثيل لقريش بما تقدم في غيرها من الامم وبصائر نصب على
الحال اي طرائق هادية * وقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي الآية اي
ما كنت يا محمد حاضرا لهذه الغيوب التي تخبرهم بها ولكنها صارت اليك
بوحينا اي فكان الواجب ان يسارعوا الى الايمان بك قال السهيلي وجانب
الغربي هو جانب الطور الايمن فحين ذكر سبحانه نداءه لموسى قال وناديتاه
من جانب الطور الايمن وحين نفى عن محمد عليه السلام ان يكون بذلك
الجانب قال وما كنت بجانب الغربي والغربي هو الايمن وبين اللفظين في ذكر
المقامين ما لا يخفى في حسن العبارة وبديع الفصاحة والبلاغة فان محمدا عليه
السلام لا يقال له وما كنت بجانب الايمن فانه لم يزل بالجانب الايمن مذ كان
في ظهر ادم عليه السلام انتهى * وقوله سبحانه فتناول عليهم العمر الثملي
اي فنسوا عهد الله انتهى وقضينا معناه انفذنا والامر يعنى التوراة وقالت
فرقة يعنى به ما علمه من امر محمد عليه السلام قال (ع) وهذا تاويل حسن
يلتئم معه ما بعده من قوله ولكننا انشأنا قرونا (ت) قال ابو بكر بن العربي قوله
تعالى اذ قضينا الى موسى الامر معناه اعلمناه وهو احد ما يرد تحت لفظ القضاء
مرادا انتهى من كتاب تفسير الافعال الواقعة في القرءان والثاوى المقيم *
وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور يريد وقت ازال التوراة الى موسى *

وقوله اذ نادينا روي عن ابي هريرة انه نودي يومئذ من السماء يا امة محمد
استجبت لكم قبل ان تدعوني وغفرت لكم قبل ان تسألوني فحيثذ قال موسى
عليه السلام اللهم اجملني من امة محمد فالعنى اذ نادينا بامرئ واخبرنا
بنبوتك وقال الطبري معنى قوله اذ نادينا بان سأكتبها للذين يتقون
ويوتون الزكاة الآية * وقوله سبحانه ولولا ان تصيبهم مصيبة الآية
المصيبة عذاب في الدنيا على كفرهم وجواب لولا محذوف يقتضيه الكلام
تقديره لما جلناهم بما يستحقونه وقال الزجاج تقديره لما ارسلنا الرسل * وقوله
سبحانه فلما جاءهم الحق يريد القراء ان ومحمدا عليه السلام والمقالة التي قالتها
قريش لولا اوتي مثل ما اوتي موسى كانت من تعليم اليهود لهم قالوا لهم لم لا ياتي
بآية باهرة كالعصا واليد وغير ذلك فعكس الله عليهم قولهم ووقفهم على انهم
قد وقع منهم في تلك الآيات ما وقع من هؤلاء في هذه فالضمير في قوله يكفروا
لليهود وقرأ الجمهور ساحران والمراد موسى وهارون قال (ع) ويحتمل ان يريد
بما اوتي موسى من امر محمد والاخبار به الذي هو في التوراة * وقوله وقالوا انا
بكل كافرون يؤيد هذا التاويل وقرأ حمزة والكسائي وعاصم سحران والمراد بهما
التوراة والقراء ان قاله ابن عباس وتظاهرا معناه تعاونا * وقوله اهدى منهما قال
الثعلبي يعنى اهدى من كتاب محمد وكتاب موسى انتهى (ت) ويحتمل ان
يكون الضمير في يكفروا لقريش كما اشار اليه الثعلبي وكذا في قالوا لقريش
عنده وساحران يريدون موسى ومحمدا عليهما السلام وهو ظاهر قولهم انا بكل
كافرون لان اليهود لا يقولون ذلك في موسى في عصر نبينا محمد عليه السلام
ويبين هذا كله قوله تعالى فان لم يستجيبوا لك الآية فان ظاهر الآية ان المراد
قريش وعلى هذا كله مر الثعلبي انتهى * وقوله تعالى ولقد وصلنا لهم القول
الآية الذين وصل لهم القول هم قريش قاله مجاهد وغيره قال الجمهور

والمعنى واصلنا لهم في القرآن وتابعتنا موصولا ببعضه ببعض في المواعظ والزواجر والدعاء الى الاسلام وذهبت فرقة الى ان الاشارة بتوصيل القول انما هي الى الالفاظ فالمعنى ولقد وصلنا لهم قولاً معجزاً دالاً على نبوتك قال (ع) والمعنى الاول تقديره ولقد وصلنا لهم قولاً يتضمن معاني من تدبرها اهتدى ثم ذكر تعالى القوم الذين آمنوا بمحمد من اهل الكتاب مباهايا بهم قريشا واختلف في تعيينهم فقال الزهري الاشارة الى النجاشي وقيل الى سلمان وابن سلام واسند الطبري الى رفاة القرظي قال نزلت هذه الآية في اليهود في عشرة انا احدهم اسلمنا فاوذنا فنزلت فينا هذه الآية والضمير في قبله يعود على القرآن واجرهم مرتين معناه على ملتين وهذا المعنى هو الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم ثلاثة يوتون اجرهم مرتين رجل من اهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي الحديث ويدرون معناه يدفعون وهذا وصف لمكارم الاخلاق اي يتغابون ومن قال لهم سوءاً لا يؤوه وقابلوه من القول الحسن بما يدفعه والغوسق سقط القول والقول يسقط لوجوه يعز حصرها والمراد منه في الآية ما كان سباً واذى ونحوه فادب الاسلام الاعراض عنه وسلام في هذا الموضع قصده المتاركة لا التحية قال الزجاج وهذا قبل الامر بالقتال ولا ينبغي الجاهلين معناه لانطلبهم للجدال والمراجعة والمشاقة (ت) قال ابن المبارك في رقائه اخبرنا حبيب بن حجر القيسي قال كان يقال ما احسن الايمان يزيه العلم وما احسن العلم يزيه العمل وما احسن العمل يزيه الرفق وما اضفت شيئاً الى شيء مثل حلم الى علم انتهى واجمع جل المفسرين على ان قوله تعالى انك لا تهدي من احببت انما نزلت في شان ابي طالب فروى ابو هريرة وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليه وهو يوجود بنفسه فقال له اي عم قل لاله الا الله كلمة اشهد لك بها عند الله الحديث قد ذكرناه في سورة براءة فمات ابو طالب على

كفره فنزلت هذه الآية فيه قال ابو روق قوله تعالى ولكن الله يهدي من يشاء. اشارة الى العباس والضمير في قوله وقالوا لقريش قال ابن عباس والمتكلم بذلك فيهم الحارث بن نوفل وحكى الثعلبي انه قال له انا لنعلم ان الذي تقول حق ولكن ان اتبعناك تحطفتنا العرب وتجي معناه تجمع وتجلب * وقوله كل شي يريد مما به صلاح حالهم ثم توعد قريشا بقوله وكم اهلكنا من قرية وبطرت معناه سفهت واشرت وطفت قاله ابن زيد وغيره (ت) قال الهروي قوله تعالى بطرت معيشتها اي في معيشتها والبطر الطغيان عند النعمة انتهى ثم احالهم على الاعتبار في خراب ديار الامم المهلكة كحجر ثمود وغيره ثم خاطب تعالى قريشا محقرا لما كانوا يفتخرون به من مال وبنيان وان ذلك متاع الدنيا الفاني وان الآخرة وما فيها من النعيم الذي اعده الله للمؤمنين خير وابقى (ت) وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة رواه الترمذي من طريق سهل بن سعد قال وفي الباب عن ابي هريرة قال ابو عيسى هذا حديث صحيح انتهى وبقى الآية بين لمن ابصر واهتدى جعلنا الله منهم منبه * وقوله سبحانه ائمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقية الآية معناها يعم جميع العالم ومن المحضرين معناه في عذاب الله قاله مجاهد وقتادة ولفظة محضر مشيرة الى سوق يجبر * وقوله تعالى ويوم يناديهم الضمير المتصل بينادي لعدة الاوثان والاشارة الى قريش وكفار العرب * وقوله قال الذين حق عليهم القول هؤلاء المجيبون هم كل مغوداع الى الكفر من الشياطين والاس طمعوا في التبري من متبعيهم فقالوا ربنا هؤلاء انما اضلانا هم كما ضللنا نحن باجتهد لنا ولهم واحبوا الكفر كما احببناه تبرانا اليك ما كانوا ايانا يمدون ثم اخبر تعالى انه يقال للكفرة العابدين للاصنام ادعوا شركاءكم يعني

الاصنام فدعوهم فلم يكن في الجمادات ما يجيب ورأى الكفار العذاب *
وقوله تعالى لو انهم كانوا يهدون ذهب الزجاج وغيره الى ان جواب لو محذوف
تقديره لما نالهم العذاب وقالت فرقة لو متعلقة بما قبلها تقديره فودوا حين
رأوا العذاب لو انهم كانوا يهدون * وقوله سبحانه ويوم يناديهم فيقول ماذا
اجتمع المرسلين هذا النداء ايضا للكفار وعميت عليهم الانباء معناه اظلمت عليهم
جهاتها * وقوله فهم لا يتساءلون معناه في قول مجاهد لا يتساءلون بالارحام
ويحتمل ان يريد انهم لا يتساءلون عن الانباء ليقين جميعهم انه لا حاجة لهم *
وقوله سبحانه فعسى ان يكون من المفلحين قال كثير من العلماء
عسى من الله واجبة قال (ع) وهذا ظن حسن بالله تعالى يشبه كرمه
وفضله سبحانه واللازم من عسى انها ترجية لا واجبة وفي كتاب
الله تعالى عسى ربه ان طلقكن (ت) ومعنى الوجوب هنا الوقوع *
وقوله سبحانه وربك مخلق ما يشاء ويختار الآية قيل سبها قول قريش لولا
نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ونحو ذلك من قولهم فرد الله
عليهم بهذه الآية وجماعة المفسرين ان ما نافية اي ليس لهم الحيرة وذهب
الطبري الى ان ما مفعولة بيختار اي ويختار الذي لهم فيه الحيرة وعن
سعد بن ابي وقاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعادة ابن
ادم استخارته الله ومن شقاوته تركه رواه الحاكم في المستدرک وقال صحيح
الاسناد انتهى من السلاح وباقي الآية بين والسرمد من الاشياء الدائم الذي
لا ينقطع (ت) وقوله سبحانه ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه
ولتبتغوا من فضله الآية معناها بين وينبئ للعاقل ان لا يجعل ليله كله نوما
فيكون ضائع العمر جيفة بالليل بطلا بالنهار كما قيل

نهارك بطل وملك نائم * كذلك في الدنيا تعيش البهائم

فان اردت ايها الاخ ان تكون من الابرار فعليك بالقيام في الاسحار وقد نقل صاحب الكوكب الدري عن البزار ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما قالت ام سليمان لسليمان عليه السلام يا بني لا تسكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل يدع الرجل فقيرا يوم القيامة انتهى وابتغاء الفضل هو بالمشي والتصرف * وقوله تعالى ونزعنا من كل امة شهيدا اي عدول الامم واخيارها فيشهدون على الامم بخيرها وشرها فيحقق العذاب على من شهد عليه بالكفر وقيل له على جهة الاعذار في المحاوراة هاتوا برهانكم ومن هذه الآية انتزع قول القاضي عند ارادة الحكم ابقيت لك حجة * وقوله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم الآية كان قارون من قرابة موسى ممن آمن بموسى وحفظ التوراة وكان عند موسى من عباد المومنين ثم ان الله اضله وبنى على قومه بانواع البغي من ذلك كفره بموسى وقال الثعلبي قال ابن المسيب كان قارون عاملا لفرعون على بنى اسرائيل ممن يبغى عليهم ويظلمهم قال قتادة بنى عليهم بكثرة ماله وولده انتهى (ت) وما ذكره ابن المسيب هو الذى يصح في النظر لتأمل الآية ولولا الاطالة لبينت وجه ذلك والمفاتيح ظاهرها انها التى يفتح بها ويحتمل ان يريد بها الخزائن والاولوية الكبار قاله الضحاك لان المفتاح في كلام العرب الخزانة واما قوله لتنوء فمعناه تنهض بتحمل واشتداد قال كثير من المفسرين ان المراد ان العصبة تنوء بالمفتاح المثقلة لها فقلب (ت) وقال عريب الاندلسي في كتاب الانواء له نوء كذا معناه ميله ومنه لتنوء بالعصبة انتهى وهو حسن ان ساعده النقل وقال الداودي عن ابن عباس لتنوء بالعصبة اولى القوة يقول تشقل وكذا قال الواحدي انتهى واختلف في العصبة كم هم فقال ابن عباس ثلاثة وقال قتادة هم من العشرة الى الاربعين قال البخاري يقال الفرحين المرحين قال الفزالي في الاحياء الفرح بالدنيا والتسنع بها سم قاتل يسرى في العروق

فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت واهوال القيامة وهذا هو موت القلب والعياذ بالله فاولوا الحزم من ارباب القلوب جربوا قلوبهم في حال الفرح بمواتة الدنيا وعلموا ان النجاة في الحزن الدائم والتباعد من اسباب الفرح والبطر فقطعوا النفس عن ملاذها وعودوها الصبر عن شهواتها حلالها وحرامها وعلموا ان حلالها حساب وهو نوع عذاب ومن نوقش الحساب عذب فخلصوا انفسهم من عذابها وتوصلوا الى الحرية والملك في الدنيا والآخرة بالخلاص من اسر الشهوات ورقها والانس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته انتهى قال ابن الحاج في المدخل قال يمين بن رزق رحمه الله تعالى وانا اوصيك بان تطيل النظر في مرآة الفكرة مع كثرة الخلوات حتى يريك شين المعصية وقبحها فيدعوك ذلك النظر الى تركها ثم قال يمين بن رزق ولا تفرحن بكثرة العمل مع قلة الحزن واغتسم قليل العمل مع الحزن فان قليل حزن الآخرة الدائم في القلب ينفي كل سرور الفته من سرور الدنيا وقليل سرور الدنيا في القلب ينفي عنك جميع حزن الآخرة والحزن لا يصل الى القلب الا مع تيقظه وتيقظه حياته وسرور الدنيا لغير الآخرة لا يصل الى القلب الا مع غفلة وغفلة القلب موته وعلامة ثبات اليقين في القلب استدامة الحزن فيه وقال رحمه الله اعلم اني لم اجد شيأ ابلغ في الزهد في الدنيا من ثبات حزن الآخرة في القلب وعلامة ثبات حزن الآخرة في القلب انس العبد بالوحدة انتهى وقولهم له ولا تنس نصيبك من الدنيا قال ابن عباس والجمهور معناه لا تضع عمرك في ان لا تعمل عملا صالحا في دنياك اذ الآخرة انما يعمل لها في الدنيا فنصيب الانسان عمره وعمله الصالح فيها فينبغي ان لا يهمله وحكي الثعلبي انه قيل ارادوا بنصيبه الكفن قال (ع) وهذا كله وعظ متصل ونحو هذا قول الشاعر نصيبك مما تجمع الدهر كله * ردا ان تلوى فيهما وخنوط

وقال ابن العربي في احكامه وفي معنى النصيب ثلاثة اقوال الاول لاتنس حظك من الدنيا اي لاتغفل ان تعمل في الدنيا للآخرة الثاني امسك مايملكك فذلك حظ الدنيا وانفق الفضل فذلك حظ الآخرة الثالث لاتغفل عن شكر ما انعم الله به عليك انتهى وقولهم واحسن كما احسن الله اليك امر بصلة المساكين وذوى الحاجات (ص) كما احسن الكاف للتشبيه اوللعمليل انتهى وقول قارون انا اوتيته على علم عندى قال الجمهور ادعى ان عنده علما استوجب به ان يكون صاحب ذلك المال ثم اختلفوا فى ذلك العلم فقال ابن المسيب اراد علم الكيمياء وقال ابو سليمان الداراني اراد العلم بالتجارة ووجوه تشير المال وقيل غير هذا * وقوله تعالى ولايسئل عن ذنوبهم المجرمون قال محمد بن كعب هو كلام متصل بمعنى ما قبله والضمير فى ذنوبهم عائذ على من اهلك من القرون اي اهلكوا ولم يسئل غيرهم بعدهم عن ذنوبهم اي كل احد انما يكلم ويعتاب بحسب ما يخصه وقالت فرقة هو اخبار مستانف عن حال يوم القيامة وجاءت آيات اخر تقتضى السؤال فقال الناس فى هذا انها مواطن وطوائف وقيل غير هذا ويوم القيامة هو مواطن ثم اخبر تعالى عن خروج قارون على قومه فى زينته من الملابس والمراكب وزينة الدنيا واكثر الناس فى تحديد زينة قارون وتعيينها بما لاصحة له فتركته وباقي الآية بين فى اغترار الجهلة والاعمار من الناس * وقوله سبحانه وقال الذين اتوا العلم ويلكم الآية اخبر تعالى عن الذين اتوا العلم والمعرفة بالله وبحق طاعته انهم زجروا الاعمار الذين تمنوا حال قارون وحملوهم على الطريقة المثلى من ان النظر والتمني انما ينبغى ان يكون فى امور الآخرة وان حالة المومن العامل الذى ينتظر ثواب الله تعالى خير من حال كل ذى دنيا ثم اخبر تعالى عن هذه النزعة وهذه القوة فى الخير والدين انها لا يلقاها اي لا يمكن فيها ويجوؤها الا الطائر على طاعة

الله وعن شهوات نفسه وهذا هو جماع الخير كله وقال الطبري الضمير عائد على الكلمة وهي قوله ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا اي لا يلحق هذه الكلمة الا الصابرون وعندهم تصدر وروي في الحسف بقارون وداره ان موسى عليه السلام لما امضه فعل قارون به وتعديه عليه استجار بالله تعالى وطلب النصرة فاوحى الله اليه اني قد امرت الارض ان تطيعك في قارون واتباعه فقال موسى يا ارض خذهم فاخذتهم الى الركب فاستغاثوا يا موسى يا موسى فقال خذهم فاخذتهم شيئا فشيئا الى ان تم الحسف بهم فاوحى الله اليه يا موسى لوبي استغاثوا والي تابوا لرحمتهم قال قتادة وغيره روي انه يخسف به كل يوم قامة فهو يتجلجل الى يوم القيامة (ت) وفي الترمذي عن معاذ بن انس الجهني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ترك اللباس تواضعا لله وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره من اي حلل الايمان شاء يلبسها وروي الترمذي عن عائشة قالت كان لنا قرام ستر فيه تماثيل على بابي فراه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اترعيه فانه يذكرني الدنيا الحديث وروي الترمذي عن كعب ابن عياض قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان لكل امة فتنة وفتنة امتي المال قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح وفيه عن عثمان بن عفان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس لابن ادم حق في سوى هذه الخصال بيت يسكنه وثوب يوارى عورته وجلف الخبز والماء قال النضر بن شميل جلف الخبز يعني ليس معه ادم انتهى فهذه الاحاديث واشباهها ترهد في زينة الدنيا وغضارة عيشها الفاني * وقوله ويكأن مذهب الخليل وسيبويه ان وى حرف تنبيه منفصلة من كأن لكن اضيف لكثرة الاستعمال وقال ابو حاتم وجماعة ويك هي ويلك حذف اللام منها لكثرة الاستعمال وقالت فرقة ويكأن بجملة كلمة * وقوله تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا

في الارض ولافسادا الآية هذا اخبار مستأنف من الله تعالى لنبيه عليه السلام يراد به جميع العالم ويتضمن الحظ على السعي حسب مادلت عليه الآية ويتضمن الانحناء على حال قارون ونظرائه والمعنى ان الآخرة ليست في شيء من امر قارون واشباهه وانها هي لمن صفته كذا وكذا والعلو المذموم هو بالظلم والتجبر قال النبي صلى الله عليه وسلم وذلك ان تريد ان يكون شراك نعلك افضل من شراك نعل اخيك والفساد يعم وجوه الشر * وقوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن قال فرقة معناه فرض عليك احكام القرآن * وقوله تعالى لرادك الى معاد قال الجمهور معناه لرادك الى الآخرة اي باعثك بعد الموت وقال ابن عباس وغيره المعاد الجنة وقال ابن عباس ايضا ومجاهد المعاد مكة وفي البخاري بسنده عن ابن عباس لرادك الى معاد الى مكة انتهى وهذه الآية نزلت بالجحفة كما تقدم والمعاد الموضع الذي يعاد اليه * وقوله تعالى وما كنت ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الراحمة من ربك هو تعديد نعم والظهير المعين * ولا يصدنك عن آيات الله باقوالهم ولا تلتفت نحوهم وامض لشأنك وادع الى ربك و آيات المودة كلها منسوخة * وقوله تعالى كل شيء هالك الاوجه قالت فرقة المعنى كل شيء هالك الا هو سبحانه قاله الطبري وجماعة منهم ابو المعالي رحمه الله وقال الزجاج الاياه

﴿ تفسير سورة العنكبوت وهي مكية ﴾

الاصدر منها العشر الآيات فانها مدنية نزلت في شأن من كان من المسلمين بمكة هذا اصح ما قيل هنا

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى الم تقدم الكلام على هذه الحروف * وقوله تعالى احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون نزلت هذه الآية في قوم من المؤمنين بمكة وكان كفار قريش يوذونهم ويعذبونهم على الاسلام فكانت صدورهم تضيق لذلك وربما استنكر بعضهم ان يمكن الله الكفرة من المؤمنين قال مجاهد وغيره فنزلت هذه الآية مسلية ومعلمة ان هذه هي سيرة الله في عباده اختبارا للمؤمنين ليعلم الصادق من الكاذب وحسب بمعنى ظن * والذين من قبلهم يريد بهم المؤمنين مع الانبياء في سالف الدهر * وقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ام معادلة لهمزة في قوله احسب وكأنه تعالى قرر الفريقين قرر المؤمنين على ظنهم انهم لا يفتنون وقرر الكافرين الذين يعملون السيئات في تعذيب المؤمنين وغير ذلك على ظنهم انهم يسبقون عقاب الله ويعجزونه ثم الآية بعد تعم كل عاص وعامل سيئة من المسلمين وغيرهم وفي الآية وعيد شديد للكفرة الفاتنين وفي قوله تعالى من كان يرجو لقاء الله تشيت للمؤمنين وباقي الآية بين والله الموفق وقال (ص) قول (ع) ام معادلة للالف في قوله احسب يقتضى انها هنا متصلة وليس كذلك بل ام هنا منقطعة مقدرة ببل للاضراب بمعنى الانتقال لاجمعي الابطال وهمزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ فلا تقتضى جوابا انتهى * وقوله تعالى والذين ءامنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم اخبار عن المؤمنين المهاجرين الذين هم في اعلى رتبة من البدار الى الله تعالى نوه بهم عز وجل وبجاهلهم ليقم نفوس المتخلفين عن الهجرة وهم الذين فتنهم الكفار * ولنجزينهم احسن اي ثواب احسن الذي كانوا يعملون * وقوله تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهدك لتشرك بي ما ليس لك به

علم فلا تطهما روي عن قتادة وغيره انها نزلت في شأن سعد بن ابى وقاص وذلك انه هاجر خلفت امه ان لا تستظل بظل حتى يرجع اليها ويكفر بمحمد فليج هو في هجرته ونزلت الآية وقيل بل نزلت في عياش بن ابى ربيعة وكانت قصته كهذه ثم خدعه ابو جهل وورده الى امه الحديث في كتب السيرة وباقي الآية بين ثم كرر تعالى التمثيل بحالة المؤمنين العاملين ليحرك النفوس الى نيل مراتبهم قال الثعلبي قوله تعالى لندخلهم في الصالحين اي في زمرةهم وقال محمد بن جرير في مدخل الصالحين وهو الجنة وقيل في بمنى مع والصالحون هم الانبياء والاولياء انتهى * وقوله تعالى ومن الناس من يقول ۞ امنا بالله الى قوله المنافقين نزلت في المتخلفين عن الهجرة المتقدم ذكرهم قاله ابن عباس ثم قررهم تعالى على علمه بما في صدورهم اي لو كان يقيهم تاما واسلامهم خالصا لما توقفوا ساعة ولركبوا كل هول الى هجرتهم ودار نبهم * وقوله تعالى وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين هنا انتهى المدني من هذه السورة * وقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا الآية روي ان قائل هذه المقالة هو الوليد بن المغيرة وقيل بل كانت شائعة من كفار قريش لاتباع النبي صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى وليحملن اثقالهم الآية لانه يلحق كل داع الى ضلالة كفل منها حسبما صرح به الحديث المشهور * وقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فلبث فيهم الاية العطف بالفاء يقتضى ظاهره انه لبث هذه المدة رسولا يدعو الى عبادة الله تعالى والطوفان العظيم الطامى ويقال ذلك لكل طام خرج عن العادة من ماء او نار او موت * وقوله وهم ظالمون يريد بالشرك ثم ذكر تعالى قصة ابراهيم وقومه وذلك ايضا تمثيل لقريش * وتخلقون افكا قال ابن عباس هونحت الاضام وقال مجاهد هو اختلاق الكذب في امر الاوثان وغير ذلك * وقوله تعالى اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده الآية هذه الحالة هي

على ما يظهر مع الاحيان من احياء الارض والنبات واعادته ونحو ذلك مما هو دليل على البعث من القبور ثم امر تعالى نبيه محمدا عليه السلام ويحتمل ان يكون ابراهيم بان يامرهم على جهة الاحتجاج بالسير في الارض والنظر في اقطارها والنشأة الآخرة نشأة القيام من القبور * وقوله تعالى وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء الآية قال ابن زيد لا يميزه اهل الارض في الارض ولا اهل السماء في السماء ان عصوه وقيل معناه ولا في السماء لو كنتم فيها وقيل المعنى ليس للبشر حيلة الى صعود او نزول يفلتون بها قال قتادة ذم الله قوما هانوا عليه فقال اولئك ينسوا من رحمتي الآية قال (ع) وما تقدم من قوله اولم يروا كيف الى هذه الآية المستأنفة يحتمل ان يكون خطابا لمحمد صلى الله عليه وسلم ويكون اعتراضا في قصة ابراهيم عليه السلام ويحتمل ان يكون خطابا لابراهيم ومحاوره لقومه وعند آخر ذلك ذكر جواب قومه * وقوله تعالى فانجاه الله من النار اي بان جعلها بردا وسلاما قال كعب الاحبار ولم تحرق النار الا الحبل الذي اوثقوه به وجعل سبحانه ذلك آية وعبرة ودليلا على توحيده لمن شرح صدره ويسره للايمان ثم ذكر تعالى ان ابراهيم عليه السلام قرره على ان اتخاذهم الاوثان انما كان اتباعا من بعضهم لبعض وحفظا لمودتهم الدنيوية وانهم يوم القيامة يجحد بعضهم بعضا ويتسلاعنون لان توادهم كان على غير تقوى والاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين * وقوله تعالى فنامن له لوط معناه صدق وآمن يتعدى باللام والباء والقائل اني مهاجر هو ابراهيم عليه السلام قاله قتادة والنخعي وقالت فرقة هو لوط عليه السلام * وقوله تعالى ووهبنا له اسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب واتيانه اجره في الدنيا الآية لاجر الذي اتاه الله في الدنيا العافية من النار ومن الملك الجائر والعمل الصالح او اثنا الحسن قاله مجاهد ويدخل في عموم اللفظ غير ما ذكر * وانه

في الآخره لمن الصالحين اي في عداد الصالحين الذين نالوا رضا الله عز وجل
وقول لوط انكم لتاتون الرجال وذاقتمون السبيل قالت فرقة كان قطع الطريق
بالسلب فاشيا فيهم وقيل غير هذا والنادى المجلس الذي يجتمع الناس فيه
واختلف في هذا المنكر الذي ياتونه في ناديهم فقالت فرقة كانوا يخذفون
الناس بالحصبا ويستخفون بالغريب والخاطر عليهم وروته ام هانثى عن النبي
صلى الله عليه وسلم وكانت خلقهم مهملة لا يربطهم دين ولا مروءة وقال مجاهد
كانوا ياتون الرجال في مجالسهم وبعضهم يرى بعضا وقال ابن عباس كانوا يتضارطون
ويتصافعون في مجالسهم وقيل غير هذا وقد تقدم قصص الآيات مكررا والرجز
العذاب * وقوله تعالى ولقد تركنا منها اي من خبرها وما بقي من آثارها
والآية موضع العبرة وعلامة القدرة ومزدجر النفوس عن الوقوع في سخط
الله تعالى * وقوله تعالى والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا
اليوم الآخر الآية الرجاء في الآية على بابه وذهب ابو عبيدة الى ان المني
وخافوا وتعتوا معناه تفسدوا والسبيل هي طريق الايمان ومنهج النجاة من
النار وما كانوا سابقين اي مفتتين اخذنا وعقابنا وقيل معناه وما كانوا سابقين
الامم الى الكفر وباقي الآية بين * وقوله تعالى ان الله يعلم ماتدعون من
دونه من شئ قيل معناه ان الله يعلم الذين تدعون من دونه من جميع الاشياء
وقيل مانافية وفيه نظر وقيل ما استفهامية قال جابر قال النبي صلى الله عليه وسلم
في قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون العالم من عقل عن الله تعالى فعمل بطاعته
وانتهى عن معصيته * وخلق الله السموات والارض بالحق اي لالعبث واللعب
بل ليدل على سلطانه وتثبيت شرائعه ويضع الدلالة لاهلها ويعم بالمنافع الى
غير ذلك مما لا يحصى عدا ثم امر تعالى نبيه عليه السلام بالنفوذ لامره وتلاوة
القرآن الذي اوحى اليه واقامة الصلاة اي ادامتها والقيام بمجدودها ثم اخبر

سبحانه حكما منه ان الصلاة تنهى صاحبها وممثلها عن الفحشاء والمنكر
قال (ع) وذلك عندى بان المصلي اذا كان على الواجب من الخشوع والاخبات
وتذكر الله وتوهم الوقوف بين يديه وان قلبه واخلاصه مطلع عليه مرقوب
صلحت لذلك نفسه وتذلت وخامرها ارتقاب الله تعالى فاطرد ذلك فى اقواله
وافعاله وانتهى عن الفحشاء والمنكر ولم يكذب يفتر من ذلك حتى تظله صلاة
اخرى يرجع بها الى افضل حاله فهذا معنى هذا الاخبار لان صلاة المومن هكذا
ينبغي ان تكون وقد روي عن بعض السلف انه كان اذا اقام الصلاة ارتعد
واصفر لونه فكلّم فى ذلك فقال انى اقف بين يدي الله تعالى قال (ع) فهذه
صلاة تنهى ولا بد عن الفحشاء والمنكر واما من كانت صلاته دائرة حول
الاجزاء بلا تذكر ولا خشوع ولا فضائل فتلك تترك صاحبها من منزلته حيث
كان * وقوله تعالى ولذكر الله اكبر قال ابن عباس وابو الدرداء وسلمان وابن
مسعود وابو قرة معناه ولذكر الله اياكم اكبر من ذكركم اياه وقيل معناه ولذكر
الله اكبر مع المداومة من الصلاة فى النهي عن الفحشاء والمنكر وقال ابن
زيد وغيره معناه ولذكر الله اكبر من كل شئ وقيل لسلمان اى الاعمال
افضل فقال اما تقرأ ولذكر الله اكبر والا حادىث فى فضل الذكر كثيرة
لا تنحصر وقال ابن العربي فى احكامه قوله ولذكر الله اكبر
فيه اربعة اقوال الاول ذكر الله لكم افضل من ذكركم له اضاف
المصدر الى الفاعل الثانى ذكر الله افضل من كل شئى الثالث ذكر الله
فى الصلاة افضل من ذكره فى غيرها يعنى لانها عبادتان الرابع ذكر الله
فى الصلاة اكبر من الصلاة وهذه الثلاثة الاخيرة من اضافة المصدر الى
المفعول وهذه كلها صحيحة وان للصلاة بركة عظيمة انتهى قال (ع)
وعندى ان المعنى ولذكر الله اكبر على الاطلاق اى هو الذى ينهى عن

الفحشاء والمنكر فالجزء الذى منه فى الصلاة يفعل ذلك وكذلك يفعل فى غير الصلاة لان الانتهاء لا يكون الا من ذاكر الله تعالى مراقب له وثواب ذلك الذكر ان يذكره الله تعالى كما فى الحديث الصحيح ومن ذكرنى فى ملاً ذكرته فى ملاً خير منهم والحركات التى فى الصلاة لا تأثير لها فى نهى والذكر النافع هو مع العلم واقبال القلب وتفرغه الا من الله واما ما لا يتجاوز اللسان ففى رتبة اخرى وذكر الله تعالى للعبد هو افاضة الهدى ونور العلم عليه وذلك ثمرة ذكر العبد ربه قال الله عز وجل فاذكرونى اذكركم وعبرة الشيخ ابن ابي جمره ولذكر الله اكبر معناه ذكره لك فى الازل ان جعلك من الذاكرين له اكبر من ذكرك انت الآن له انتهى قال القشيري فى رسالته الذكر ركن قوي فى طريق الحق سبحانه وهو العمدة فى هذا الطريق ولا يصل احد الى الله سبحانه الا بدوام الذكر ثم الذكر على ضربين ذكر باللسان وذكر بالقلب فذكر اللسان به يصل العبد الى استدامة ذكر القلب والتاثير لذكر القلب فاذا كان العبد ذاكراً بلسانه وقلبه فهو الكامل فى وصفه سمعت ابا على الدقاق يقول الذكر منشور الولاية فمن وفق للذكر فقد وفق للمنشور ومن سلب الذكر فقد عزل والذكر بالقلب مستدام فى عموم الحالات واسند القشيري عن المظفر الجصاص قال كنت انا ونصر الحراط ليلة فى موضع فتذاكرنا شيئاً من العلم فقال الحراط الذاكر لله تعالى فائدته فى اول ذكره ان يعلم ان الله ذكره فبذكر الله له ذكره قال فخالفته فقال لو كان الحضرها هنا لشهد لصحته قال فاذا نحن بشيخ يحجى بين السماء والارض حتى بلغ الينا وقال صدق الذاكر لله بفضل الله وذكره له ذكره فلمن اناله الحضر عليه السلام انتهى وباقي الآية ضرب من التوعد وحث على المراقبة قال الباجي فى سنن الصالحين قال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول ايما بد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته

وكنـت جليسه ومحادثه وانيسه انتهى * وقوله تعالى ولا تجادلوا اهل الكتاب
الابالتي هي احسن هذه الآية مكية ولم يكن يومئذ قتال وكانت اليهود يومئذ
بمكة وفيما جاورها فريما وقع بينهم وبين بعض المؤمنين جدال واحتجاج في امر الدين
وتكذيب فامر الله المؤمنين الاجادلوهم الابالتي هي احسن دعاء الى الله تعالى
وملائنة ثم استثنى من ظلم منهم المؤمنين وحصلت منه اذية فان هذه الصنيفة
استثنى لاهل الاسلام معارضتها بالتغيير عليها والخروج معها عن التي هي
احسن ثم نسخ هذا بعد بناية القتال وهذا قول قتادة وهو احسن ما قيل
في تاويل الآية (ت) قال عز الدين بن عبد السلام في اختصاره لقواعد الاحكام
فائدة لا يجوز الجدال والمناظرة الا لاثهار الحق ونصرته ليعرف ويعمل به فمن
جادل لذلك فقد اطاع ومن جادل لغرض آخر فقد عصى وخاب ولاخير
فيمن تحيل لنصرة مذهبه مع ضعفه وبعد ادلته من الصواب انتهى تنبيه روى
الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الحياء والحي شعبتان من الايمان
والبداء والبيان شعبتان من النفاق وروى ابو داود والترمذي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ان الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما يتخلل
البقرة بلسانها حديث غريب انتهى وهما في مصابيح البغوي وروى ابو داود عن
ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تعلم صرف الكلام ليسبي
به قلوب الرجال او الناس لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا انتهى *

وقوله تعالى وقولوا ءامنا الآية قال ابو هريرة كان اهل الكتاب يقرءون
التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية للمسلمين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا ءامنا بالذي انزل الينا وانزل
اليكم والهناء والهناء واحد ونحن له مسلمون وروى ابن مسعود ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تسلموا اهل الكتاب عن شيء فانهم لن يهدوكم وقد ضلوا

اما ان تكذبوا بحق واما ان تصدقوا بباطل * وقوله تعالى فالذين اتيناهم الكتاب يريد التوراة والانجيل كانوا في وقت نزول الكتاب عليهم يرمنون بالقرآن ثم اخبر عن معاصري نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان منهم ايضا من يؤمن به ولم يكونوا آمنوا بعد ففي هذا اخبار بغيب بينه الوجود بعد ذلك * وما يحجد بشاياتنا الا الكافرون يشبهه ان يراد بهذا الانحناء كفار قريش ثم بين تعالى الحجة ووضح البرهان ان مما يقوى ان نزول هذا القرآن من عند الله ان محمدا عليه السلام جاء به في غاية الاعجاز والطول والتضمن للغيوب وغير ذلك وهو امي لا يقرأ ولا يكتب ولا يتلو كتابا ولا يخط حروفا ولا سبيل له الى التعلم ولو كان ممن يقرأ أو يخط لا رتاب المبطلون وكان لهم في ارتياهم معلق واما ارتياهم مع وضوح هذه الحجة فظاهر فساد بل هو آيات بينات يعنى القرآن ويحتمل ان يعود على امر محمد صلى الله عليه وسلم والظالمون والمبطلون يعم لفظهما كل مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكن عظم الاشارة بهما الى قريش لانهم الاهم قاله مجاهد * وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه الضمير في قالوا لقريش ولبعض اليهود لانهم كانوا يعلمون قريشا مثل هذه الحجة على ما مر في غير ما موضع ثم احتج عليهم في اقتراحهم آية بامر القرآن الذى هو اعظم الآيات وممجز للجن والانس فقال سبحانه اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب الآية * وقوله آمنوا بالباطل يريد الاصنام وما في معناها * وقوله تعالى ويستعجلونك بالمعذاب يريد كفار قريش وباقي الآية بين مما تقدم مكررا والله الموفق بفضلته وبنته معناه فجأة وهذا هو عذاب الدنيا كيوم بدر ونحوه ثم توعدهم سبحانه بمعذاب الآخرة في قوله يستعجلونك بالمعذاب وان جهنم الآية * وقوله تعالى يا عبادي الذين آمنوا ان ارضي واسعة فاي اي فاعبدون الآيات هذه

الآيات نزلت في تحريض المؤمنين الكائنين بمكة على الهجرة قال ابن جبير وعطاء ومجاهدان الارض التي فيها الظلم والمنكر تترتب فيها هذه الآية وتلزم الهجرة عنها الى بلد حق وقاله مالك * وقوله سبحانه كل نفس ذائقة الموت ثم الينا ترجعون تحقير لامر الدنيا ومخاوفها كان بعض المؤمنين نظر في عاقبة تلحقه في خروجه من وطنه انه يموت او يجوع ونحو هذا فحتر الله سبحانه شأن الدنيا اي وانتم لا محالة ميتون وتحشرون اليها فالبدار الى طاعة الله والهجرة اليه اولى ما يمثل ذكر هشام بن عبد الله القرطبي في تاريخه المسمى بـهجرة النفس قال بينما المنصور جالس في منزله في اعلى قصره اذ جاءه سهم عائر فسقط بين يديه فذعر المنصور منه ذعرا شديدا ثم اخذه فجعل يقلبه فاذا مكتوب عليه بين الرشتين

اطمعت في الحياة الى التناذى * وتحسب ان مالك من معاد
ستسئل عن ذنوبك والخطايا * وتسئل بعد ذاك عن العباد
ومن الجانب الآخر

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تحف سو ما ياتي به القدر
وساعدتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر
وفي الآخر

هي المقادير تجري في اغتها * فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريك خسيس القوم ترفعه * الى السماء ويوما تحفض العالى
ثم قرأ على الجانب الآخر من السهم
من يصحب الدهر لا يامن تصرفه * يوما فللدهر احلا وامرار
لكل شيء وان طال سلامته * اذا انتهت مدة لا بد اقصار
انتهى وقرأ حمزة لنشوينهم من الجنة غرفا من اثنى شوى بمعنى اقام * وقوله تعالى

وكأن من دابة الآية تحريض على الهجرة لان بعض المؤمنين فكر في الفقر والجوع الذي يلحقه في الهجرة وقالوا غربة في بلد لا دار لنا فيه ولا عمار ولا من يطعم فشل لهم باكثر الدواب التي لا تتقوت ولا تدخر ثم قال تعالى الله يرزقها واياكم فقلوه لا تحمل يجوز ان يريد من الحمل اي لا تنتقل ولا تنظر في ادخاره قاله مجاهد وغيره قال (ع) والادخار ليس من خلق الموقنين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمر كيف بك اذا بقيت في حثالة من الناس يخشون رزق سنة بضعف اليقين ويجوز ان يريد من الحماله اي لا تتكفل لنفسها قال الداودي وعن علي بن الاقر لا تحمل رزقها اي لا تدخر شيئا لقد انتهى وفي الترمذي عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خالصا وتروح بطانا قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى ثم خاطب تعالى في امر الكفار واقامة الحجية عليهم بانهم ان سئلوا عن الامور العظام التي هي دلائل القدرة لم يكن لهم الا التسليم بانها لله تعالى ويوفكون معناه يصرفون * وقوله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وصف الله تعالى الدنيا في هذه الآية بانها لهو ولعب اي ما كان منها لغير وجه الله تعالى واما ما كان لله تعالى فهو من الآخرة واما امور الدنيا التي هي زائدة على الضروري الذي به قوام العيش والقوة على الطاعات فانما هي لهو ولعب وتأمل ذلك في الملابس والمطاعم والاقوال والمكتسبات وغير ذلك وانظر ان حالة الغني والفقير من الامور الضرورية واحدة كالتنفس في الهواء وسد الجوع وستر العورة وتوقي الحر والبرد هذه عظم امر العيش والحيوان والحياة بمعنى والمعنى لا موت فيها قاله مجاهد وهو حسن ويقال اصله حيان فابدلت احداها واوا لاجتماع الثلثين ثم وقفهم تعالى على حالهم في البحر عند الخوف العظيم

ونسياهم عند ذلك للاصنام وغيرها على ما تقدم بيانه في غير هذا الموضع وليكفروا
نصب بلام كي ثم عدد تعالى على كفره قریش نعمته عليهم في الحرم والمثوى موضع
الاقامة والفاظ هذه الآية في غاية الاقتضاب والايجاز وجمع المعاني ثم ذكر
تعالى حال اوليائه والمجاهدين فيه * وقوله فينا معناه في مرضاتنا وبغية
ثوابنا قال السدي وغيره نزلت هذه الآية قبل فرض القتال قال (ع) فهي قبل
الجهاد العرفي وانما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته قال الحسن بن ابي
الحسن الآية في العباد وقال ابراهيم ابن ادهم هي في الذين يعملون بما علموا وقال
ابوسليمان الداراني ليس الجهاد في هذه الآية قتال المدوفاة بل هو نصر
الدين والرد على المبطلين وقمع الظالمين واعظمه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ومنه مجاهدة النفوس في طاعة الله عز وجل وهو الجهاد الاكبر قاله الحسن
 وغيره وفيه حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم رجعت من الجهاد الاصل الى
الجهاد الاكبر والسبل هنا يحتمل ان تكون طرق الجنة ومسالكها ويحتمل
ان تكون سبل الاعمال المؤدية الى الجنة قال يوسف بن اسباط هي اصلاح
النية في الاعمال وحب التزيد والتفهم وهو ان يجازى العبد على حسنة
بازدياد حسنة وبعلم ينقدح من علم متقدم قال (ص) والذين جاهدوا مبتدأ
خبره القسم المحذوف وجوابه وهو لتهديهم انتهى وقال الثعابي قال سهل بن
عبد الله والذين جاهدوا في اقامة السنة لتهديهم سبل الجنة انتهى واللام في
قوله لمع لام تأكيد

﴿ تفسير سورة الروم وهي مكية اتفاقا ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله تعالى الم غلبت الروم قرأ الجمهـور غلبت بضم الغين وقالوا معنى الآية انه بلغ اهل مكة ان الملك كسرى هزم جيش الروم باذرعات وهي اذنى الارض الى مكة قاله عكرمة فسر بذلك كنفار مكة فبشر الله تعالى المؤمنين بان الروم سيفلبون في بضع سنين فخرج ابوبكر رضي الله عنه الى المسجد الحرام فقال للكفار اسركم ان غلبت الروم فان نبينا اخبرنا عن الله تعالى انهم سيفلبون في بضع سنين فقال له ابي بن خلف واخوه امية بن خلف يا ابا بكر تعال فلنستأحب اي نتراهن في ذلك فراهنهم ابوبكر على خمس قلائص والاجل ثلاث سنين وذلك قبل ان يحرم القمار فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك فقال له ان البضع الى التسع ولكن زد هم في الرهن واستزد هم في الاجل ففعل ابوبكر فجعلوا القلائص مائة والاجل تسعة اعوام فغلبت الروم فارس في اثناء الاجل يوم بدر وروي ان ذلك كان يوم الحديبية يوم بيعة الرضوان وفي كلا اليومين كان نصر من الله تعالى للمؤمنين وذكر الناس سرور المؤمنين بغلبة الروم من اجل انهم اهل كتاب وفرحت قريش بغلبة الفرس من اجل انهم اهل اوثان ونحوه من عبادة النار * وقوله تعالى لله الامر من قبل ومن بعد اي له انفاذ الاحكام من قبل ومن بعد هذه الغلبة التي بين هؤلاء ثم اخبر تعالى ان يوم غلبة الروم للفرس ينرح المؤمنون بنصر الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون يريد كفار قريش والعرب اي لا يعلمون ان الامور من عند الله وان وعده لا يخلف وان ما يورده نبيه حق قل (ع) وهذا الذي ذكرناه عمدة ما قيل ثم وصف تعالى الكفرة الذين لا يعلمون امر الله وصدق وعده بانهم انما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون قال صاحب الكلم الفارقية الدنيا طبق

مسموم * لايعرف ضرره الا ارباب الفهوم * قوة الرغبة في الدنيا علامة
ضمعتها في الآخرة * بحسب انصراف الرغبة الى الشيء يحدد الراغب في طلبه
وتتوفر دواعيه على تحصيله * المطلوبات تُظهر وتبين اقدار طلابها * فمن
شرفت همته شرفت رغبته وعزت طلبته * يا غافل سكر حبك لدنياك * وطول
متابعتك لغاوى هواك * انساك عظمة مولاك * وثناك عن ذكره والهالك *
وصرف وجه رغبتك عن آخرتك الى دنياك * ان كنت من اهل الاستبصار *
فالق ناظر رغبتك عن زخارف هذه الدار * فانها تجمع الاكدار * ومنبع
المضار * وسجن الابرار * ومجلس سرور الاشرار * الدنيا كالخية تجمع في انيابها *
سموم نوائها * وتفرغه في صميم قلوب ابنائها انتهى قال عياض في الشفا
قال ابو العباس المبرد رحمه الله قسم كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم
ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه
ما كان اعرفهم بسياسة دنياهم يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة
هم غافلون لكن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم جزأها ثلاثة اجزاء جزء الله تعالى
وجزء الاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزؤه بينه وبين الناس فكان يستمعين
بالخاجة على العامة ويقول ابانوا حاجة من لا يستطيع ابلاغى فانه من ابلاغ حاجة
من لا يستطيع امنه الله يوم الفزع الاكبر انتهى والمومن المنهمك في امور
الدنيا التي هي اكبرهمه ياخذ من هذه الآية بحظ نور الله قلوبنا بهداه (ت)
قد تقدم ماجاء في الفكرة في ال عمران قال ابن عطاء الله الفكرة سراج القلب
فاذا ذهبت فلا اضاءة له وقال ما نفع القلب شيء مثل هزلة يدخل بها ميدان
فكرة انتهى وباقي الآية بين * وقوله عز وجل او لم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض الآية
يريد اثاروا الارض بالمباني والحراث والحروب وسائر الحوادث التي احدثوها

هي كلها اثاره للارض بعضها حقيقة وبعضها بتجاوز والضمير في عمروها
الاول للماضين وفي الثاني للحاضرين المعاصرين * وقوله تعالى ثم كان عاقبة الذين
اساءوا السوأى ان كذبوا بشايات الله قرأ زفع وغيره عاقبة بالرفع على انها اسم
كان والخبر يجوز ان يكون السوأى ويجوز ان يكون ان كذبوا وتكون السوأى
على هذا مفعولا باساءوا واذا كان السوأى خبرا فان كذبوا مفعول من اجله وقرأ
حمزة والكسائي وغيرها عاقبة بالنصب على انها خبر مقدم واسم كان احد ما
تقدم والسوأى مصدر كالرجعي والشورى والفتيا قال ابن عباس اساءوا هنا
بمعنى كفروا والسوأى هي النار وعبرة البخاري وقال مجاهد السوأى اي
الاساءة جزاء المسيئين انتهى والابلاس الكون في شر مع اليأس من الخير
(ص) وقال الزجاج الملبس الساكت المنقطع في حجة اليأس من ان يهتدي
اليها انتهى * وقوله جلت عظمته ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون معناه في
المازلات والاحكام والجزاء قال قتادة فرقة والله لا اجتماع بعدها ويجبرون معناه
ينعمون قاله مجاهد والخبرة والحبور السرور وقال يحيى بن ابي كثير يجبرون
معناه يسمعون الاغانى وهذا نوع من الخبرة (ت) وفي الصحيح من قول ابي
موسى لو شعرت بك يا رسول الله لخبرتته لك تحييرا او كما قال وقال (ص) يجبرون
قال الزجاج التحجير التحسين والخبر العالم انما هو من هذا المعنى لانه متخلق
باحسن اخلاق المؤمنين والخبر المداد انما سمي به لانه يحسن به انتهى قال
الاصمعي ولا يقال روضة حتى يكون فيها ماء يشرب منه ومعنى في العذاب
محضرون اي مجموعون له لا يفيب احد عنه * وقوله تعالى فسبحان الله الآية
خطاب للمؤمنين بالامر بالعبادة والحض على الصلاة في هذه الاوقات كانه يقول
سبحانه اذا كان امر هذه الفرق هكذا من النعمة والعذاب فجد ايها المؤمن
في طريق الفوز برحمة الله وررى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

من قال حين يصبح فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاتته في يومه ذلك ومن قالهن حين يمسي ادرك ما فاتته في ليلته رواه ابو داود انتهى من السلاح قال ابن عباس وغيره في هذه الآية تنبيه على اربع صلوات المغرب والصبح والظهر والعصر قالوا والعشاء الاخيرة هي في آية اخرى في زلف الليل وقد تقدم بيان هذا مستوفى في محاله * وقوله تعالى يخرج الحي من الميت الآية تقدم بيانها ثم بعد هذه الامثلة القاضية بتجويد بعث الاجساد عقلا ساق الخبر سبحانه بان كذلك خروجنا من قبورنا وتنتشرون معناه تتصرفون وتتفرقون والمودة والرحمة هما على بايها المشهور من التواد والتراحم هذا هو البليغ وقيل غير هذا وقرأ الجمهور للعالمين بفتح السلام يعني جميع العالم وقرأ حفص عن عاصم بكسرهما على معنى ان اهل الانتفاع بالنظر فيها انما هم اهل العلم وباقي الآية اطلبه في محاله تجده ان شاء الله مبينا وهذا شأننا الاحالة في هذا المختصر على ما تقدم بيانه فاعلمه راشدا (ت) وهذه الآيات والعبر انما يعظم موقعها في قلوب العارفين بالله سبحانه ومن اكثر التفكير في عجائب صنع الله تعالى حصلت له المعرفة بالله سبحانه قال الغزالي في الاحياء وبجر المعرفة لاساحل له والاحاطة بكنهه جلال الله محال وكلما كثرت المعرفة بالله تعالى وصفاته وافعاله واسرار مملكته وقويت كثر النعيم في الآخرة وعظم كما انه كلما كثر البذر وحسن كثر الزرع وحسن وقال ايضا في كتاب شرح عجائب القلب من الاحياء وتكون سعة ملك العبد في الجنة بحسب سعة معرفته بالله وبحسب ما يتجلى له من عظمة الله سبحانه وصفاته وافعاله انتهى * وقوله تعالى ان تقوم السماء والارض معناه تثبت كقوله تعالى واذا اظلم عليهم قاموا وهذا كثير والدعوة من الارض هي البعث ليوم القيامة قال مكي والاحسن عند اهل النظر ان الوقف في هذه الآية يكون

في آخرها تخرجون لان مذهب سيبويه والخليل في اذا الثانية انها جواب الاولى كانه قال ثم اذا دعاكم خرجتم وهذا اسد الاقوال وقال (ص) اذا انتم اذا للمفاجأة وهل هي ظرف مكان او ظرف زمان خلاف ومن الارض علقه الحوفي بدعا واجاز (ع) ان يتعلق بدعوة انتهى وقرا حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء والباقون بضمها والقنوت هنا بمعنى الخضوع والانقياد في طاعته سبحانه واعادة الخلق هو بمشهم من القبور * وقوله تعالى وهو اهون عليه قال ابن عباس وغيره المعنى وهو هين عليه وفي مصحف ابن مسعود وهو هين عليه وفي بعض المصاحف وكل هين عليه وقال ابن عباس ايضا وغيره المعنى وهو ايسر عليه قال ولكن هذا التفضيل انما هو بحسب معتقد البشر وما يعطيهم النظر في الشاهد من ان الاعادة في كثير من الاشياء اهون علينا من البدءة ولما جاء بلفظ فيه استعارة وتشبيه بما يعده الناس من انفسهم خلس جانب النظمة بان جعل له المثل الاعلى الذى لا يلحقه تكليف ولا تماثل مع شيء ثم بين تعالى امر الاصنام وفساد معتقد من يشركها بالله بضربه هذا المثل وهو قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم اذية ومعناد انكم ايها الناس اذا كان لكم عبيد تملكونهم فانكم لاتشركونهم في اموالكم ومهم اموركم ولا في شيء على جهة استواء المنزلة وليس من شأنكم ان تخافوهم في ان يرثوا اموالكم او يقياسوكم اياها في حياتكم كما يفعل بعضكم ببعض فاذا كان هذا فيكم فكيف تقولون ان من عبيده ومملكه شركاء في سلطانه والوهيته هذا تفسير ابن عباس والجماعة * وقوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا الآية اقامة الوجه هي تقويم المقصد والقوة على الجد في اعمال الدين وخص الوجه لانه جامع حواس الانسان ولشرفه وفطرة الله نصب على المصدر وقيل بفعل مضر تقديره اتبع او التزم فطرة الله واختلف في الفطرة ها هنا والذي يعتمد عليه في تفسير هذه

اللفظة أنها الحلقة والهيئة التي في نفس الطفل التي هي معدة مهيتة لان يميز بها مصنوعات الله ويستدل بها على ربه ويعرف شرائعه ويؤمن به فكانه تعالى قال اقم وجهك للدين الذي هو الخفيف وهو فطرة الله الذي على الاعداد له فطر البشر لكن تعرضهم العوارض ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه الحديث ثم يقول فطرة الله الآيۃ الى القيم فذكر الابوين انما هما مثال للعوارض التي هي كثيرة وقال البخاري فطرة الله هي الاسلام انتهى * وقوله تعالى لا تبديل لخلق الله يحتمل ان يريد بها هذه الفطرة ويحتمل ان يريد بها الانحاء على الكفرة اعترض به اثناء الكلام كانه يقول اقم وجهك للدين الذي من صفته كذا وكذا فان هؤلاء الكفرة قد خلق الله لهم الكفر ولا تبديل لخلق الله اي انهم لا يفلحون وقيل غير هذا وقال البخاري لا تبديل لخلق الله اي لدين الله وخلق الاولين دينهم انتهى والقيم بناء مبالغة من القيام الذي هو بمعنى الاستقامة ومنيبين يحتمل ان يكون حالا من قوله فطر الناس لاسيما على رأي من رأى ان ذلك خصوص في المؤمنين ويحتمل ان يكون حالا من قوله اقم وجهك وجمعه لان الخطاب باقامة الوجه هو للنبي صلى الله عليه وسلم ولا مته نظيرها قوله تعالى يا ايها النبي اذا طلقتن النساء والمشركون المشار اليهم في هذه الآية هم اليهود والنصارى قاله قتادة وقيل غير هذا * وقوله تعالى واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه الآية ابتداء انحاء على عبدة الاصنام قال (ع) ويلحق من هذه الالفاظ شي للمؤمنين اذا جاءهم فرج بعد شدة فعلقوا ذلك بمخلوقين او بمجدق آرائهم وغير ذلك لان فيه قلة شكر لله تعالى ويسمى تشريكا مجازا والسلطان هنا البرهان من رسول او كتاب ونحوه * وقوله تعالى فهو يتكلم معناه فهو يظهر حجته ويغلب مذهبه وينطق بشركهم ثم قال تعالى واذا اذقا الناس

رحمة فرحوا بها الآية وكل احد ياخذ من هذه الخلق بقسط فالقل والمكثر الا من ربطت الشريعة جاشه ونهجت السنة سبيله وتأدب بآداب الله فصبر عند الضراء وشكر عند السراء ولم يبطر عند النعمة ولا قنط عند الابتلاء والقنط اليأس الصريح ثم ذكر تعالى الامر الذي من اعتبره لم ييأس من روح الله وهو انه سبحانه يخص من يشاء من عباده ببسط الرزق ويقدر على من يشاء منهم فينبغي لكل عبد ان يكون راجيا ما عند ربه ثم امر تعالى نبيه عليه السلام امرا تدخل فيه امته على جهة التدب بايتاء ذى القربى حقه من صلة المال وحسن المعاشرة ولين القول قال الحسن حقه المواساة فى اليسر وقول ميسور فى العسر قال (ع) ومعظم ما قصد امر المعونة بالمال وقرأ الجمهور وما اتيتم بمعنى اعطيتم وقرأ ابن كثير بغير مد بمعنى وما فعلتم واجمعوا على المد فى قوله وما اتيتم من زكاة والربا الزيادة قال ابن عباس وغيره هذه الآية نزلت فى هبات الثواب قال (ع) وما جرى مجراها مما يضعه الانسان ليجازى عليه كالسلم وغيره فهو وان كان لا اثم فيه فلا اجر فيه ولا زيادة عند الله تعالى وما اعطى الانسان تنمية لاله وتطهيرا يريد بذلك وجه الله تعالى فذلك هو الذى يجازى به اعضافا مضاعفة على ما شاء الله له وقرأ جمهور السبعة ليربوا باسناد الفعل الى الربا وقرأ نافع وحده لتربوا وباقي الآية بين ثم ذكر تعالى على جهة العبرة ما ظهر من الفساد بسبب المعاصى قال مجاهد البر البلاد البعيدة من البحر والبحر السواحل والمدن التى على ضفة البحر وظهور الفساد فيها هو بارتفاع البركات ووقوع الرزايا وحدوث الفتن وتغلب العدو وهذه الثلاثة توجد فى البر والبحر قال ابن عباس الفساد فى البحر انقطاع صيده بذنوب بنى ادم وقلما توجد امة فاضلة مطيعة مستقيمة الاعمال الا يدفع الله عنها هذه الامور والامر بالعكس فى المعاصى وبطر النعمة ليزيقهم عاقبة بعض ما عملوا ويمفوا عن كثير ولعلمهم يرجعون اى يتوبون

ويراجعون بصائرهم في طاعة ربهم ثم حذر تعالى من يوم القيامة تحذيرا يعم العالم واياهم المقصد بقوله فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لامرء له من الله الآية ولا مرد له معناه ليس فيه رجوع لعمل ويجتمل ان يريد لا يردده راد وهذا ظاهر بحسب اللفظ ويصدعون معناه يتفرون بعد جمعهم الى الجنة والى النار ثم ذكر تعالى من آياته اشياء وهي ما في الريح من المنافع وذلك انها بشرى بالمطر وبلقح بها الشجر وغير ذلك وتجري بها السفن في البحر ثم انس سبحانه نبيه عليه السلام بقوله ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاءوهم بالبينات الآية ثم وعد تعالى محمدا وامته النصر بقوله وكان حقا علينا نصر المؤمنين وحقا خبر كان قدمه اهتماما * وقوله تعالى الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا الآية الاثارة تحريكها من سكونها وتسييرها وبسطه في السماء هو نشره في الافاق والكشف القطع * وقوله من قبله تأكيد افاد الاعلام بسرعة تقلب قلوب البشر من الابل اس الى الاستبشار والابل اس الكون في حال سوء مع اليأس من زوالها * وقوله تعالى كيف يحيى الضمير في يحيى يحتمل ان يكون للآثر ويحتمل ان يعود على الله تعالى وهو اظهر ثم اخبر تعالى عن حال تقلب بنى آدم في انه بعد الاستبشار بالمطر ان بعث الله ريحا فاصفر بها النبات ظلوا يكفرون قلقا منهم وفلة تسليم لله تعالى والضمير في راوه للنبات واللام في لئن موزنة بجيء القسم وفي لظلوا لام القسم * وقوله تعالى انك لا تسمع الموتى الآية استعارة للكفار وقد تقدم بيان ذلك في سورة النمل * وقوله تعالى الله الذي خلقكم من ضف قال كثير من اللغويين ضم الضاد في البدن وفتحها في العقل وهذه الآية انما يراد بها حال الجسم والضعف الاول هو كون الانسان من ماء مهين والقوة بعد ذلك الشبيهة وشدة الاسر والضعف الثانى هو الهرم والشيخوخة هذا قول فتادة وغيره وروى ابو داود في

سننه بسند صحيح عن عمرو بن شبيب عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنتفوا الشيب ما من مسلم يشيب شيبة في الاسلام الا كانت له نورا يوم القيامة وفي رواية الا كتب الله عز وجل له بها حسنة وحط عنه بها خطيئة انتهى ثم اخبر عز وجل عن يوم القيامة فقال ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا اي تحت اتراب غير ساعة وقيل المعنى ما لبثوا في الدنيا كأنهم استقلوها كذلك كانوا في الدنيا يوفكون اي يصرفون عن الحق قال (ص) ما لبثوا جواب القسم على المعنى ولو حكى قولهم لكان ما لبثنا انتهى ثم اخبر تعالى ان الكفرة لا ينفعهم يومئذ اعتذار ولا يعطون عتبي وهي الرضى وباقى الآية بين والله الحمد

﴿ تفسير سورة لقمان وهي مكية ﴾

غير ايتين قال قتادة اولهما ولو ان ما في الارض الى اخر الايتين وقال ابن عباس ثلاث

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قوله عز وجل الم تلك ايات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين خصه للمحسنين من حيث لهم نفعه والافه هدى في نفسه * وقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث روي ان الآية نزلت في شأن رجل من قريش اشترى جارية مغنية لتغني له بهجاء النبي صلى الله عليه وسلم وقيل انه ابن خطل وقيل نزلت في النضر بن الحارث وقيل غير هذا والذي يرجح ان الآية

نزلت في لهو حديث منضاف الى كفر فلذلك اشتدت الفاظ الآية وهو الحديث كل ما يلهى من غناء وخناء ونحوه والآية باقية المعنى في الامة غابر الدهر لكن ليس ليضلوا عن سبيل الله ولا ليتخذوا آيات الله هزوا ولا عليهم هذا الوعيد بل يعطلوا عبادة ويقطعوا زمنا بمكروه قال ابن العربي في احكامه وروى ابن وهب عن مالك عن محمد بن المنكدر ان الله تعالى يقول يوم القيامة اين الذين كانوا يزهدون انفسهم واسماعهم عن الله ومزامير الشيطان ادخلوهم في ارض المسك ثم يقول الله تعالى للملائكة اسمعوهم ثناءى وحمدى واخبروهم ان لاخوف عليهم ولا هم يحزنون انتهى * وقوله عز وجل واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم الوقر في الاذن الثقل الذى يعسر معه ادراك المسموعات والرواسى هي الجبال والميد التحرك يئنة وبسرة وماقرب من ذلك والزوج النوع والصنف وكريم مدحه بكرم جوهره وحسن منظره وغير ذلك ثم وقف تعالى الكفرة على جهة التوبيخ فقال هذا خلق الله فارونى ماذا خلق الذين من دونه * وقوله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة اختلف في لقمان هل هو نبي اورجل صالح فقط وقال ابن عمر سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا كثير التفكير حسن اليقين احب الله فاحبه فنّ عليه بالحكمة وخيره في ان يجعله خليفة بكمم بالحق فقال رب ان خيرتنى قبلت العافية وتركت البلاء وان عزمت علي فسمعا وطاعة فانك ستعصنى وكان قاضيا في بنى اسرائيل نوبيا اسود مشقق الرجلين ذا مشافر قاله سعيد بن المسيب وابن عباس وجماعة وقال له رجل كان قد رعى معه الغنم ما بلغ بك يا لقمان ما ارى قال صدق الحديث واداء الامانة وتركى ما لا يينى وحكم لقمان كثيرة ماثورة قال ابن العربي في احكامه وروى

علمائنا عن مالك قال قال لقمان لابنه يا بني ان الناس قد تطاول عليهم ما يوعدون
وهم الى الآخرة سراعاً يذهبون وانك قد استدبرت الدنيا مذكنت واستقبلت
الآخرة مع انفاسك وان دارا ستسير اليها اقرب اليك من دار تخرج منها
انتهى * وقوله ان اشكر يحوز ان تكون ان في موضع نصب على اسقاط
حرف الجر اي بان اشكر الله ويجوز ان تكون مفسرة اي كانت حكمته ذرة
على الشكر لله وجميع العبادات داخلة في الشكر لله عز وجل وحيد بمعنى
محمود اي هو مستحق ذلك بذاته وصفاته * وقوله تعالى ووصينا الانسان
بوالديه حملته امه وهنا على وهن هاتان الآيتان اعتراض اثاء وصية لقمان ووهنا
على وهن معناه ضعفا على ضعف كانه قال حملته امه والضعف يتزايد بعد الضعف
الى ان ينقضي امده وقال (ص) وهنا على وهن حال من امه اي شدة بعد شدة
اوجهدا على جهد وقيل وهنا نطفة ثم علقه فيكون حالا من الضمير المنصوب
في حملته انتهى * وقوله تعالى ان اشكر لي ولوالديك قال سفيان بن
عينة من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله تعالى ومن دعا لوالديه في
ادبار الصلوات فقد شكرهما * وقوله سبحانه وان جاهدك على ان
تشرك بى الآية روي ان هاتين الآيتين نزلتا في شأن سعد بن ابى وقاص
وامه حمنة بنت ابى سفيان على ماتقدم بيانه وجملة هذا الباب ان طاعة الابوين
لا تراعى في ركوب كبيرة ولا في ترك فريضة على الاعيان وتلزم طاعتهما
في المباحات وتستحسن في ترك الطاعات الندب * وقوله سبحانه واتبع
سبيل من اتاب الى وصية لجميع العالم وهذه سبيل الانبياء والصالحين *
وقوله تعالى حاكيا عن لقمان يا بني انما ان تك مثقال حبة الآية ذكر كثير
من المفسرين انه اراد مثقال حبة من اعمال المعاصي والطاعات وبهذا المعنى
يتحصل في الموعظة ترجية وتخويف منضاف الى تبين قدرة الله تعالى *

وقوله واصبر على ما اصابك يقتضى حضا على تغيير المنكر وان
نال ضرر فهو اشمار بان المغير يوذى احيانا * وقوله ان ذلك من عزم الامور
يحتمل ان يريد مما عزمه الله وامر به قاله ابن جريج ويحتمل ان يريد ان
ذلك من مكارم الاخلاق وعزائم اهل الحزم السالكين طريق
النجاة قاله جماعة والصمر الميل فعنى الآية ولا تملى خدك للناس كبرا
عليهم واعجابا واحتقارا لهم قاله ابن عباس وجماعة وعبرة البخاري
ولا تصاعر اي لا تعرض والتصاعر الاعراض بالوجه انتهى والمرح النشاط
والمشي مرحا هو في غير شغل ولغير حاجة واهل هذه الخلق ملازمون
للفخر والخيلاء فالمرح مختال في مشيه وقد ورد من صحيح الاحاديث
في جميع ذلك وعيد شديد يطول بنا سرده قال عياض كان ابو اسحاق
الجبنياني قل ما يترك ثلاث كلمات وفيهن الخير كله اتبع ولا تتدع * اتضع
ولا ترتفع * من ورع لا يتسع * انتهى وغض الصوت او قر للمتكلم وبسط
لنفس السامع وفهمه ثم عارض ممثلا بصوت الحمير على جهة التشبيه اي
تلك هي التي بعدت عن الغض فهي انكر الاصوات فكذلك ما بعد
عن الغض من اصوات البشر فهو في طريق تلك وفي الحديث اذا سمعتم
نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فانها رأت شيطانا وقال سفيان الثوري
صياح كل شئ تسبيح الا صياح الحمير (ت) ولفظ الحديث عن ابى هريرة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم صياح الديكة فساءلوا الله
من فضله فانها رأت ملكا واذا سمعتم نهيق الحمار فتعوذوا بالله من الشيطان
فانه رأى شيطانا رواه الجماعة الا ابن ماجه وفي لفظ النسائي اذا سمعتم
الديكة تصيح بالليل وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا
سمعتم نباح الكلاب ونهيق الحمير من الليل فتعوذوا بالله من الشيطان

الرجيم فانها ترى ما لاترون واقلوا الخروج اذا جدت فان الله يثبت في
 ليله من خلقه ما يشاء رواه ابو داود والنسائي والحاكم في المستدرک
 واللفظ له وقال صحيح على شرط مسلم انتهى من السلاح * وقوله تعالى واسبع
 عليكم نعمه ظاهرة وباطنة قال المحاسبي رحمه الله الظاهرة نعم الدنيا
 والباطنة نعم المقبي والظاهر عندى التعميم ثم وقف تعالى الكفرة على اتباعهم
 دين اباائهم اى يكون وهم بحال من يصير الى عذاب السعير فكأن القائل
 منهم يقول هم يتبعون دين اباائهم ولو كان مصيرهم الى السعير فدخلت الف
 التوقيف على حرف العطف كما كان اتساق الكلام فيه فتأمله * وقوله
 تعالى ومن يسلم وجهه الى الله معناه يخلص ويوجه ويستسلم به والوجه هنا
 الجارحة استعير للمقصد لان القاصد الى شىء فهو مستقبله بوجهه فاستعير
 ذلك للمعانى والمحسن الذى جمع القول والعمل وهو الذى شرحه
 صلى الله عليه وسلم حين سأل جبريل عن الاحسان والمتاع القليل
 هنا هو العمر فى الدنيا * وقوله قل الحمد لله اى على ظهور الحجة *
 وقوله تعالى ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام الآية روي عن
 ابن عباس ان سبب تولدها ان اليهود قالت يا محمد كيف عينا بهذا
 القول وما اوتيتم من العلم الا قليلا ونحن قد اوتينا التوراة تبينا لكل شىء فنزلت
 الآية وقيل غير هذا قال (ع) وهذه الآية بجر نظر وفكرة نور الله فلوبنا
 بهداه * وقوله تعالى ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة اى لانه كله بكن
 فيكون قاله مجاهد * وقوله تعالى كل يحرى الى اجل مسمى يريد القيامة *
 وقوله بنعمة الله يحتمل ان يريد ما تحمله السفن من الطعام والارزاق والتجارات
 قالبا للالزاق ويحتمل ان يريد بالريح وتسخير الله البحر ونحو هذا قالبا باء
 السبب وذكر تعالى من صفات المومن الصبار والشكور لانها عظم اخلاقه

الصبر على الطاعات وعلى النوائب وعن الشهوات والشكر على الضراء والسراء.
وقال الشعبي الصبر نصف الايمان والشكر نصفه الآخر واليقين الايمان كله
وغشي غطى او قارب والظلال السحاب * وقوله تعالى فمنهم مقتصد قال
الحسن منهم مومن يعرف حق الله في هذه النعم والختار القبيح الغدر وذلك ان
منن الله على العباد كانها عهود ومنن يلزم عنها اداء شكرها والعبادة لمسيديها
فمن كفر ذلك وجحد به فكأنه ختر وخان قال الحسن الختار هو الغدار
وكفور بناء مبالغه * وقوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى
والد عن ولده الآية يجزى معناه يقتضى والمعنى لا ينفعه شئى، وقرأ الجمهور الغرور
بفتح الغين وهو الشيطان قاله مجاهد وغيره واعلم ايها الاخ ان من فهم كلام ربه
ورزق التوفيق لم يخدع بغرور الدنيا وزخرفها الفانى بل يصرف همه بالكلية
الى التزود لآخريته ساعيا في مرضاة ربه وان من ايقن ان الله يطلبه صدق الطلب
اليه كما قاله الامام العارف بالله ابن عطاء الله وانه لا بد لبناء هذا الوجود ان تنهدم
دعائمه وان تسلب كرامته فالعاقل من كان بما هو باقى افرح منه بما هو فنى قد اشرق
نوره وظهرت تابشيره فصدف عن هذه الدار مغضيا واعرض عنها موليا فلم
يتخذهاوطنا ولا جعلها سكنا بل انهض الهمة فيها الى الله وصار فيها مستعينا به في
القدوم عليه فما زالت مطية عزمه لا يقرر قرارها دائما تسيارها الى ان اتاخت بحضرة
القدس وبساط الانس انتهى وروينا في جامع الترمذي عن ابى امامة عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال ان اغبط اولياءى عندى لمومن خفيف الحاذ
ذو حظ من الصلاة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا في الناس
لا يشار اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نفص بيده فقال
عجلت منيته قلت نوائحه قل ترائه قال ابو عيسى وبهذا الاسناد عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لى بطحا مكة ذهابا قلت لا يارب ولكن

اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك واذا شبعت شكرتك وحمدتك قال ابو عيسى هذا حديث حسن وفي الباب عن فضالة بن عبيد انتهى والغرور التطبيع بما لا يحصل وقال ابن جبير معنى الآية ان تعمل المعصية وتتمنى المغفرة وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال خمس من الغيب لا يعلمهن الا الله تعالى وتلا الآية ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث الى اخرها قال ابو حيان باي ارض الباء ظرفية والجملة في موضع نصب بتدرى انتهى

تفسير سورة السجدة وهي مكية غير ثلاث آيات نزلت بالمدينة

وهي قوله تعالى افمن كان مومنا كمن كان فاسقا الى تمام ثلاث آيات

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قال جابر ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام حتى يقرأ الم السجدة وتبارك الذي بيده الملك وتنزيل يصح ان يرتفع بالابتداء والخبر لاريب ويصح ان يرتفع على انه خبر مبتدأ محذوف اي ذلك تنزيل والريب الشك وكذلك هو في كل القرآن الا قوله ريب المتون * وقوله ام يقولون اضراب كانه قال بل يقولون ثم رد على مقاتلهم واخبر انه الحق من عند الله * وقوله سبحانه ما اتاهم اي لم يباشرهم ولا رأوه هم ولا اباؤهم العرب * وقوله تعالى وان من امة الا خلافيها نذير يعم من بوشر من النذر ومن سمع به فالعرب من الامم

التي خلت فيها النذر على هذا الوجه لانها علمت بابراهيم وبنيه وندعوتهم ولم ياتهم نذير مباشر لهم سوى محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ومقاتل المعنى لم ياتهم نذير في الفترة بين عيسى ونبينا محمد صلى الله عليهما وسلم * وقوله تعالى يدبر الامر من السماء الى الارض الآية الامراسم جنس لجميع الامور والمعنى ينفذ سبحانه قضاءه بجميع ما يشاءه ثم يرجع اليه خبر ذلك في يوم من ايام الدنيا مقداره ان لو سير فيه السير المعروف من البشر الف سنة اي نزولا وعروجا لان ما بين السماء والارض خمس مائة سنة هذا قول ابن عباس ومجاهد وغيرهما وقيل المعنى يدبر الامر من السماء الى الارض في مدة الدنيا ثم يرجع اليه يوم القيامة ويوم القيامة مقداره الف سنة من عدنا وهو على الكفار قدر خمسين الف سنة وقيل غير هذا وقرأ الجمهور الذي احسن كل شيء خلقه بفتح اللام على انه فعل ماض ومعنى احسن اتقن واحكم فهو حسن من جهة ما هو لمقاصده التي اريد لها وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر خلقه بسكون اللام وذهب بعض الناس على هذه القراءة الى ان احسن هنا معناه الهم وان هذه الآية بمعنى قوله تعالى اعطى كل شيء خلقه ثم هدى اي الهم والانسان هنا ادم والمهين الضعيف ونفخ عبارة عن افاضة الروح في جسد ادم والضمير في روحه لله تعالى وهي اضافة ملك الى مالك وخلق الى خالق ويحتمل ان يكون الانسان في هذه الآية اسم جنس وقيلا صفة لمصدر محذوف * وقوله تعالى وقالوا اذا ضللنا في الارض اي تلفنا وتقطعت اوصالنا فذهبنا في التراب حتى لم نوجد انا لنفى خلق جديد اي انخلق بعد ذلك خلقا جديدا انكارا منهم للبعث واستبعادا له ويتوفاكم معناه يستوفكم روي عن مجاهد ان الدنيا بين يدي ملك الموت كالطست بين يدي الانسان ياخذ من حيث امر * وقوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم الآية تعجيب

لمحمد عليه السلام وامته من حال الكفرة وما حل بهم وجواب لو محذوف لان
 حذفه اهل في النفوس وتنكيس رءوسهم هو من الذل والياس والهمل مجلول العذاب
 وقولهم ابصرنا وسمعنا اي ما كنا نخبره في الدنيا ثم طلبوا الرجعة حين لا ينفع
 ذلك ثم اخبر تعالى عن نفسه انه لو شاء لهدى الناس اجمعين بان يلطف بهم لطفاً
 يؤمنون به ويختار الايمان في نفوسهم هذا مذهب اهل السنة والجنة الشياطين
 ونسيت معناه تركتم قاله ابن عباس وغيره * وقوله انا نسيناكم سعى العقوبة
 باسم الذنب ثم اثنى سبحانه على القوم للذين يؤمنون بشاياته ووصفهم بالصفة
 الحسنى من سجودهم عند التذكير وتسبيحهم وعدم استكبارهم *
 وقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية تتجافى الجنب عن موضعه اذا
 تركه قال الزجاج وغيره التجافى التنحى الى فوق قال (ع) وهذا قول حسن
 والجنوب جمع جنب والمضاجع موضع الاضطجاع للنوم (ت) وقال الهروي
 تتجافى جنوبهم عن المضاجع اي ترتفع وتتبعد والجفاء بين الناس هو التباعد
 انتهى وروى البخاري بسنده عن ابى هريرة ان عبد الله بن رواحة رضى
 الله عنه قال

وفينا رسول الله يتلو كتابه * اذا انشق معروف من الفجر ساطع
 ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا * به موقنات ان ما قال واقع
 يبيت يحافى جنبه عن فراشه * اذا استثقلت بالكافرين المضاجع
 انتهى وجهور المفسرين على ان المراد بهذا التجافى صلاة النوافل بالليل قال (ع)
 وعلى هذا التاويل اكثر الناس وهو الذى فيه المدح وفيه احاديث عن النبي
 صلى الله عليه وسلم يذكر عليه السلام قيام الليل ثم يستشهد بالآية فى حديث
 معاذ الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة كما يطفى
 الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع

حتى بلغ يعملون رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ورجح الزجاج ما قاله الجمهور بانهم جُوزوا باخفاء فدل ذلك على ان العمل اخفاء ايضا وهو قيام الليل يدعون ربهم خوفا اي من عذابه وطمعا اي في ثوابه قال (ص) تتجافى اعربه ابو البقاء حالا ويدعون حال او مستأنف وخوفا وطمعا مفعولان من اجله او مصدران في موضع الحال انتهى وفي الترمذي عن معاذ بن جبل قال قلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال لقد سألت عن عظيم وانه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال الا اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال راس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال الا اخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فاخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قلت يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد السنتهم قال الترمذي حديث حسن صحيح انتهى وقرأ حمزة وحده اخفى بسكون الياء كانه قال اخفى انا وقرأ الجمهور اخفى بفتح الياء وفي معنى هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرا بله ما اطلعتم عليه واقروا ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين الآية انتهى قال القرطبي في تذكرته وبله معناه غير وقيل هو اسم فعل بمعنى دع وهذا الحديث خرجه البخاري وغيره (ت) وفي رواية للبخاري قال ابو هريرة واقروا ان شئتم فلا تعلم نفس الآية انتهى وقال ابن مسعود في التوراة

مكتوب على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع مالا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وباقي الآية بين والضمير في قوله تعالى ولنديقهم لكفار قريش ولا خلاف ان العذاب الاكبر هو عذاب الآخرة واختلف في تعيين العذاب الادنى فقليل هو السنون التي اجاعهم الله فيها وقيل هو مصائب الدنيا من الامراض ونحوها وقيل هو القتل بالسيف كبدر وغيرها * وقوله سبحانه انا من المجرمين منتقمون ظاهر الاجرام هنا انه الكفر وروى معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث من فعلهن فقد اجرم من عقد لواء في غير حق ومن عق والديه ومن نصر ظالما * وقوله تعالى ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه اختلف في الضمير الذي في لقائه على من يعود فقال قتادة وغيره يعود على موسى والمعنى فلا تكن يا محمد في شك من انك تلقى موسى اي في ليلة الاسراء وهذا قول جماعة من السلف وقالت فرقة الضمير عائد على الكتاب اي فلانكن في شك من لقاء موسى للكتاب (ص) وقيل يعود على الكتاب على تقدير مضمراي من لقاء مثله اي آتيناك مثل ما آتينا موسى والتاويل الاول هو الظاهر انتهى والمرية الشك والضمير في جعلناه يحتمل ان يعود على الكتاب از على موسى قاله قتادة * وقوله تعالى ان ربك هو يفضل بينهم الآية حكم يعم جميع الخلق ونهب بعضهم الى تخصيص الضمير وذلك ضعيف * وقوله تعالى او لم يهد معناه يبين قاله ابن عباس والفاعل بيهدى هو الله في قول فرقة والرسول في قول فرقة وقرأ ابو عبد الرحمن نهد بالنون وهي قراءة الحسن وقتادة فالفاعل الله تعالى والضمير في يمشون يحتمل ان يكون للمخاطبين او للمهلكين والجرز الارض العاطشة التي قد اكلت نباتها من العطش والقيظ ومنه قيل للاكل جروز وقال ابن عباس وغيره الارض الجرز ارض ابين من اليمين وهي ارض تشرب بسيول لا بمطر

وفي البخاري وقال ابن عباس الجرز التي لم تمطر الامطرا لا يفتنى عنها شيئاً انتهى
ثم حكى سبحانه عن الكفرة انهم يستفتحون ويستعجلون فصل القضاء بينهم
ويسن الرسل على معنى الهزء والتكذيب والفتح الحكم هذا قول جماعة من
المفسرين وهو اقوى الاقوال قال مجاهد والفتح هنا هو حكم الآخرة ثم امر تعالى
نبيه عليه السلام بالاعراض عن الكفرة وانتظار الفرج وهذا مما نسخته الآية
السيف * وقوله انهم منتظرون اي العذاب بمعنى هذا حكمهم وان كانوا لا
يشعرون

تفسير سورة الاحزاب وهي مدنية باجماع فيما علمت

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله الآية قوله اتق معناه دم على التقوى ومتى
امر احد بشيء وهو به متلبس فانما معناه الدوام في المستقبل على مثل
الحالة الماضية وحذره تعالى من طاعة الكافرين والمنافقين تنبيها على
عداوتهم وان لا يطمئنن الى ما يبدونه من نوائهم والباء في قوله وكفى
بالله زائدة على مذهب سيبويه وكأنه قال وكفى الله وغيره يراها غير
زائدة متعلقة بكفى على انه بمعنى اکتف بالله واختلف في السبب في
قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه فقال ابن عباس سببها
ان بعض المنافقين قال ان محمدا له قلبان وقيل غير هذا قال (ع) ويظهر من

الآية يحملتها انها نفي لاشياء كانت العرب تعتقدها في ذلك الوقت
واعلام بحقيقة الامر فمنها ان العرب كانت تقول ان الانسان له قلب
يامره وقلب ينهيه وكان تضادا الخواطر يحملها على ذلك وكذلك كانت
العرب تعتقد الزوجة اذا ظاهر منها بمنزلة الام وتراه طلاقا وكانت تعتقد
الدعي المتبني ابنا فنفي الله ما اعتقدوه من ذلك * وقوله سبحانه وما
جعل ادعياءكم ابناءكم سببها امر زيد بن حارثة كانوا يدعونهم زيد بن محمد
والسبيل هنا سبيل الشرع والايمان ثم امر تعالى في هذه الآية بدعاء الادعياء لابائهم
اي الى ابائهم للصلب فمن جهل ذلك فيه كان مولى واخاف الدين فقال الناس
زيد بن حارثة وسالم مولى ابى حذيفة الى غير ذلك واقسط معناه اعدل *
وقوله عز وجل وليس عليكم جناح الآية رفع الحرج عن وهم ونسي واخطأ
فجبرى على العادة من نسبة زيد الى محمد وغير ذلك مما يشبهه وابقى الجناح في
المتعمد والخطأ مرفوع عن هذه الامة عقابه قال صلى الله عليه وسلم وضع
عن امتي الخطأ والنسيان وما اكرهوا عليه وقال عليه السلام ما اخشى عليكم
الخطأ وانما اخشى العمى قال السهيلي ولا نزلت الآية وامثالها زيد فقال
انا زيد بن حارثة جبر الله وحشته وشرفه بان سماه باسمه في القران
فقال فلما قضى زيد منها وطرا ومن ذكره سبحانه باسمه في الذكر
الحكيم حتى صار اسمه قراءا يتلى في المحاريب فقد نوه به غاية
التنويه فكان في هذا تانيس له وعوض من الفخر بابوة سيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم له الا ترى الى قول ابى بن كعب حين قال له النبي صلى الله عليه
وسلم ان الله تعالى امرني ان اقرأ عليك سورة كذا فبكى ابى وقال او ذكرت
هنالك وكان بكاءه من الفرح حين اخبر ان الله تعالى ذكره فكيف بمن صار
اسمه قراءا يتلى مخلدا لا يبيد يتلوه اهل الدنيا اذا قرءوا القران

واهل الجنة كذلك في الجنان ثم زاده في الآية غاية الاحسان ان قال
 واذ تقول للذي انعم الله عليه يعنى بالايمان فدل على انه عند الله من
 اهل الجنان وهذه فضيلة اخرى هي غاية منتهى امنية الانسان انتهى *
 وقوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم ازال الله بهذه الآية احكاما
 كانت في صدر الاسلام منها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يصلى على
 ميت عليه دين فذكر الله تعالى انه اولى بالمومنين من انفسهم فجمع هذا
 ان المومن يلزم ان يحب النبي صلى الله عليه وسلم اكثر من نفسه
 حسب حديث عمر بن الخطاب ويلزم ان يمتثل او امره اجبت نفسه ذلك او كرهت
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية انا اولى بالمومنين من
 انفسهم من ترك مالا فلورثته ومن ترك ديناً او ضياعاً فالي وعلي انا وليه
 اقرءوا ان شئتم النبي اولى بالمومنين من انفسهم (ت) ولفظ البخاري
 من رواية ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مومن الا وانا اولى
 به في الدنيا والاخرة اقرءوا ان شئتم النبي اولى بالمومنين من انفسهم
 فايما مومن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا فان ترك ديناً او ضياعاً
 فليأتني فانا مولاه قال ابن العربي في احكامه فهذا الحديث هو تفسير
 الولاية في هذه الآية انتهى قال (ع) وقال بعض العارفين هو صلى الله عليه
 وسلم اولى بالمومنين من انفسهم لان انفسهم تدعوهم الى الهلاك وهو يدعوهم
 الى النجاة قال (ع) ويؤيد هذا قوله صلى الله عليه وسلم فانا اخذ بجزءكم
 عن النار وانتم تقحمون فيها تقحم الفراش قال عياض في الشفا قال اهل
 التفسير في قوله تعالى النبي اولى بالمومنين من انفسهم اي ما انفذه فيهم
 من امر فهو ماض عليهم كما يمضى حكم السيد على عبده وقيل اتباع امره
 اولى من اتباع رأي النفس انتهى وشرف تعالى ازواج نبيه بان جعلهن امهات

المومنين في المبرة وحرمة النكاح وفي مصحف ابي بن كعب وازواجه امهاتهم
وهو اب لهم وقرأ ابن عباس من انفسهم وهو اب لهم ووافقه ابي على
ذلك ثم حكم تعالى بان اولى الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث مما كانت
الشريعة قررتها من التوارث باخوة الاسلام وفي كتاب الله يحتمل ان يريد
القرءان اواللوح المحفوظ * وقوله من المومنين متعلق باولى الثانية *
وقوله تعالى الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفًا يريد الاحسان في الحياة
والصلة والوصية عند الموت والكتاب المسطور يحتمل الوجهين اللذين ذكرنا *
وقوله سبحانه واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم المعنى واذا ذكر اذا اخذنا
من النبيين وهذا الميثاق قال الزجاج وغيره انه الذي اخذ عليهم وقت
استخراج البشر من صلب ادم كالذر بالتبليغ ويجمع ما تضمنته النبوة
وروي نحوه عن ابي بن كعب وقالت فرقة بل اشار الى اخذ الميثاق عليهم
وقت بعثهم والقاء الرسالة اليهم وذكر تعالى النبيين جملة ثم خصص اولى
الغزم منهم تشريفًا لهم واللام في قوله ليسأل يحتمل ان تكون لام كي اولام
الصيرورة * وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاءكم
جنود الايات الى قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك نزلت في شأن
غزوة الخندق وما اتصل بها من امر بني قريظة وذلك ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم اجلى بني النضير من موضعهم عند المدينة الى خيبر فاجتمعت
جماعة منهم ومن غيرهم من اليهود وخرجوا الى مكة مستنهضين قريشا الى
حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجسروهم على ذلك وازمعت قريش
السير الى المدينة ونهض اليهود الى غطفان وبني اسد ومن امكنهم من اهل نجد
وتهامة فاستنفروهم الى ذلك وتحزبوا وساروا الى المدينة واتصل خبرهم
بالنبي صلى الله عليه وسلم فحضر الخندق حول المدينة وحصنها فوردت

الاحزاب وحاصروا المدينة وذلك في شوال سنة خمس وقيل اربع من
 الهجرة وكانت قريظة قد عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم وعاهدوه الا
 يلحقه منهم ضرر فلما تمكن ذلك الحصار وداخلهم بنو النضير غدروا رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهده وضاق الحال على المؤمنين ونجم النفاق
 وساءت ظنون قوم ورسول الله صلى الله عليه وسلم مع ذلك يبشر ويعد
 النصر فالقى الله عز وجل الرعب في قلوب الكافرين وتحاذلوا ويئسوا من
 الظفر وارسل الله عليهم ريحا وهي الصبا وملائكة تسدد الريح وتفعل نحو
 فعلها وتلقى الرعب في قلوب الكفرة وهي الجنود التي لم تفرار تحمل الكفرة
 وانقلبوا خائبين * قوله تعالى اذ جاءوكم من فوقكم يريد اهل نجد مع عينة بن
 حصن ومن اسفل منكم يريد اهل مكة وسائر تهامة قاله مجاهد وزاغت الابصار
 معناه مالت عن مواضعها وذلك فعل الواله الفرع المختل وبلغت القلوب
 الحناجر عبارة عما يجده الهلع من ثوران نفسه وتفرقها ويجد كان حشوته
 وقلبه يصعد علوا وروى ابو سعيد ان المؤمنين قالوا يوم الخندق يا نبي الله
 بلغت القلوب الحناجر فهل من شيء * نقوله قال نعم قولوا اللهم استر عوراتنا
 وامن روعاتنا فوالله ما ضرب الله وجوه الكفار بالريح فهزمهم * وقوله سبحانه
 وتظنون بالله الظنونا الآية عبارة عن خواطر خمرت للمؤمنين لا يمكن البشر
 دفعها واما المنافقون فنطقوا ونجم نفاقهم وابتلي المؤمنون معناه اختبروا
 وزلزلوا معناه حركوا بعنف ثم ذكر تعالى قول المنافقين والمرضى القلوب
 على جهة الذم لهم ما وعدنا الله ورسوله الاغروا فروي عن يزيد بن رومان
 ان معتب بن قشير قال يعدنا محمد ان نفتتح كنوز كسرى وقيصر ومكة
 ونحن الآن لا نقدر احدا ان يذهب الى الغائط ما يعدنا الاغروا وقال غيره
 من المنافقين نحو هذا * وقوله سبحانه واذا قالت طائفة منهم اي من المنافقين

لامقام لكم اي لاموضع قيام وممانعة فارجعوا الى منازلكم ويوتكم وكان هذا على جهة التخذيل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والفرق المستاذن هو اوس بن قيطي استاذن في ذلك على اتفاق من اصحابه المنافقين فقال ان بيوتنا عورة اي منكشفة للعدو فاكذبهم الله تعالى ولودخلت المدينة من اقطارها اي من نواحيها واشتد الخوف الحقيقي ثم سئلوا الفتنة والحرب لمحمد واصحابه لبادروا اليها واتوا محبين فيها ولم يتلبثوا في بيوتهم لحفظها الايسرا قيل قدر ما ياخذون سلاحهم ثم اخبر تعالى عنهم انهم قد كانوا عاهدوا الله اثر احد لا يولون الاذبار وفي قوله تعالى وكان عهد الله مسئولاً وتوعد وباقي الآية بين ثم ونجهم بقوله قد يعلم الله المعوقين منكم وهم الذين يعوقون الناس عن نصرة الرسول ويمنعونهم بالاقتوال والافعال من ذلك ويسمعون على الدين واما القائلون لاخوانهم هلم الينا فقال ابن زيد وغيره اراد من كان من المنافقين يقول لاخوانه في النسب وقربته هلم اي الى المنازل والاكل والشرب واترك القتال وروي ان جماعة منهم فعلت ذلك واصل هلم ها الم وهذا مثل تعليل رد من اردد والبأس القتال والاقليلاً معناه الاتياناً قليلاً واشحة جمع شحيح والصواب تعميم الشح ان يكون بكل ما فيه للمومنين منفعة * وقوله فاذا جاء الخوف قيل معناه فاذا قوي الخوف رأيت هؤلاء المنافقين ينظرون اليك نظر الهلع المختلط الذي يغشى عليه فاذا ذهب ذلك الخوف العظيم وتنفس المختنق سلقوكم اي خاطبوكم مخاطبة بليغة يقال خطيب سلاق ومسلاق ومسلق ولسان ايضاً كذلك اذا كان فصيحاً مقتدراً ووصف اللسان بالحدة لقطمها المعاني ونفوذها في الاتوال قالت فرقة وهذا السلق هو في مخادعة المومنين بما يرضيهم من القول على جهة المصانعة والمخاتلة * وقوله اشحة حال من الضمير في سلقوكم * وقوله على الخير يدل على عموم الشح في قوله اولاً

اشحة عليكم وقيل المراد بالخير المال اي اشحة على مال الغنائم والله اعلم ثم اخبر تعالى عنهم انهم لم يؤمنوا وجمهور المفسرين على ان هذه الاشارة الى منافقين لم يكن لهم قط ايمان ويكون قوله فاحبط الله اعمالهم اي انها لم تقبل قط والاشارة بذلك في قوله وكان ذلك الى حبط اعمال هؤلاء المنافقين والضمير في قوله يحسبون الاحزاب للمنافقين والمعنى انهم من الفرع والجزع بحيث رحل الاحزاب وهزمهم الله تعالى وهؤلاء يظنون انها من الخدع وانهم لم يذهبوا وان يات الاحزاب اي يرجعوا اليهم كرة ثانية يودوا من الخوف والجبن لو انهم بادون اي خارجون الى البادية في الاعراب وهم اهل العمود ليسلموا من القتال يسألون اي من ورد عليهم ثم سلى سبحانه عنهم وحقر شأنهم بان اخبر انهم لو حضروا لما اغنوا ولما قاتلوا الا قتالا قليلا لانفع له ثم قال تعالى على جهة الموعظة لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة حين صبر وجاد بنفسه واسوة معناه قدوة ورجاء الله تابع للمعرفة به ورجاء اليوم الاخر ثمرة العمل الصالح وذكر الله كثيرا من خير الاعمال فنبه عليه (ت) وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يقول انا مع عبدى اذا هو ذكرنى وتحركت بي شفاته رواه ابن ماجه واللفظ له وابن حبان في صحيحه ورواه الحاكم في المستدرک من حديث ابي الدرداء وروى جابر بن عبد الله قال خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله سرايا من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر فى الارض فارتعوا فى رياض الجنة قالوا واين رياض الجنة يا رسول الله قال مجالس الذكرفاغدوا وروحوا فى ذكر الله وذكره انفسكم من كان يحب ان يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله من نفسه رواه الحاكم فى المستدرک وقال صحيح الاسناد وعن معاذ بن جبل قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم اي

الاعمال احب الى الله تعالى قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله رواه ابن حبان في صحيحه انتهى من السلاح ولولا خشية الاطالة لاتييت في هذا الباب باحاديث كثيرة وروى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا سفيان ابن عيينة عن ابن ابى نجيح عن مجاهد قال لا يكون الرجل من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا انتهى وفي مصحف ابن مسعود يحسبون الاحزاب قد ذهبوا فاذا وجدوهم لم يذهبوا ودوا انهم يادون في الاعراب * وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الاحزاب الآية قالت فرقة لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق اعلمهم بانهم سيحصرون وامرهم بالاستعداد لذلك واعلمهم بانهم سينصرون بعد ذلك فلما رأوا الاحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله الآية وقالت فرقة ارادوا بوعد الله فانزل في سورة البقرة من قوله تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم الى قوله قريبا قال (ع) ويحتمل انهم ارادوا جميع ذلك ثم اثني سبحانه على رجال عاهدوا الله على الاستقامة فوفوا وقضوا نحبهم اي نذرهم وعهدهم والنحب في كلام العرب النذر والشئ الذي يلتزمه الانسان وقد يسمى الموت نجا وبه فر ابن عباس وغيره هذه الآية ويقال للذي جاهد في امر حتى مات قضى فيه نجه ويقال لمن مات قضى فلان نجه فمن سمى المفسرون انه اشير اليه بهذه الآية انس بن النضر عم انس بن مالك وذلك انه غاب عن بدر فساء ذلك وقال لئن شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشهدا ليرين الله ما اصنع فلما كان احد ابلى بلاء حسنا حتى قتل ووجد فيه نيف على ثمانين جرحا فكانوا يرون ان هذه الآية في انس بن النضر ونظرائه وقالت فرقة الموصوفون بقضاء النحب هم جماعة من اصحاب

النبي صلى الله عليه وسلم وفوا بعهود الاسلام على التمام فالشهداء منهم
والعشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة منهم الى من
حصل في هذه المرتبة ممن لم ينص عليه ويصحح هذه المقالة ايضا ماروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على المنبر فقال له اعرابي يا رسول الله من
الذي قضى نحبه فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم ساعة ثم دخل طلحة بن
عبيد الله على باب المسجد وعليه ثوبان اخضران فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اين السائل فقال ها اناذا يا رسول الله قال هذا ممن قضى نحبه قال (ع)
فهذا ادل دليل على ان النجس ليس من شرطه الموت وقال معاوية بن ابي
سفيان اني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نحبه
وروت عائشة نحوه * وقوله تعالى ومنهم من ينتظر يريدون منهم من
ينتظر الحصول في اعلى مراتب الايمان والصلاح وهم بسبيل ذلك وما بدلوا
ولاغيروا واللام في ليجزي يحتمل ان تكون لام الصيرورة اولام كيى وتعذيب
النافقين ثمرة ادامتهم الاقامة على النفاق الى موتهم والتوبة موازية لتلك
الادامة وثمره التوبة تركهم دون عذاب فهما درجتان ادامة على نفاق
او توبة منه وعنهما ثمرتان تعذيب اورحة ثم عدد سبحانه نعمه على المؤمنين
في هزم الاحزاب فقال ورد الله الذين كفروا بغيظهم الآية * وقوله تعالى
وازل الذين ظاهروهم يريدهم بنى قريظة وذلك انهم لما غدروا وظاهروا
الاحزاب اراد الله النعمة منهم فلما ذهب الاحزاب جاء جبريل الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقت الظهر فقال يا محمد ان الله يامرك بالخروج الى بنى
قريظة فنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس وقال لهم لا يصلين
احد العصر الا في بنى قريظة فخرج الناس اليهم وحصرهم النبي صلى الله
عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم فيهم سعد

بان تقتل المقاتلة وتسبي الذرية والعيال والاموال وان تكون الارض والثمار
 للمهجرين دون الانصار فقالت له الانصار في ذلك فقال اردت ان يكون
 للمهاجرين اموال كما لكم اموال فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لقد
 حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة اربعة فامر صلى الله عليه وسلم
 برجالهم فضربت اعناقهم وفيهم حيي بن اخطب النضيري وهو الذي كان
 ادخلهم في الغدر وظاهرهم معناه عاونوهم والصياصي الحصون واحدها صيصية
 وهي كل ما يمنع به ومنه يقال لقرون القر الصياصي والفرق المقتول الرجال
 والفرق المأسور العيال والذرية * وقوله سبحانه وارضاهم تطوعوا يريد
 بها البلاد التي فتحت على المسلمين بعد كالعراق والشام واليمن وغيرها فوجد
 الله تعالى بها عند فتح حصون بني قريظة واخبر انه قد قضى بذلك قاله عكرمة *
 وقوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتم تردن الحياة الدنيا وزينتها
 الآية ذكر جل المفسرين ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم سألنه شياً من
 عرض الدنيا وآذنه بزيادة النفقة والغيرة فهجرهن و الى ان لا يقربهن
 شهراً فزلت هذه الآية فبدأ بعائشة وقال يا عائشة اني ذاكر لك امراً ولا
 عليك ان لا تعجلي حتى تستامري ابويك ثم تلا عليها الآية فقالت له وفي
 اي هذا استمر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الآخرة قالت وقد علم ان ابوي
 لا يامرانى بفراقه ثم تتابع ازواج النبي صلى الله عليه وسلم على مثل قول عائشة
 فاخترن الله ورسوله رضى الله عنهن قالت فرقة قوله بفاحشته مبينة
 يعم جميع المعاصي ولزمهن رضى الله عنهن بحسب مكاتبتهم اكثر مما
 يلزم غيرهن فضعف لهن الاجر والعذاب * وقوله ضعفين معناه يكون
 العذاب عذابين اي يضاف الى عذاب سائر الناس عذاب آخر مثله
 ويقنت معناه يطيع ويخضع بالمـبودية قاله الشامي وقتادة والرزق الكريم

الجنة ثم خاطبهن الله سبحانه بأنهن لسن كاحد من نساء عصرهن فما بعد بل
 هن افضل بشرط التقوى وانما خصصنا النساء لان فيمن تقدم ، اسية ومريم
 فتأمله وقد اشار الى هذا قتادة ثم نهاهن سبحانه عما كانت الحال عليه في
 نساء العرب من مكالمة الرجال برخييم القول ولا تخضعن معناه لاتلن قال
 ابن زيد خضع القول ما يدخل في القلوب الغزل والمرض في هذه الآية
 قال قتادة هو النفاق وقال عكرمة الفسق والغزل والقول المعروف هو
 الصواب الذي لا تنكره الشريعة ولا النفوس وقرأ الجمهور وقرن بكسر
 القاف وقرأ نافع وعاصم وقرن بالفتح فاما الاولى فيصح ان تكون من الوقار
 ويصح ان تكون من القرار واما قراءة الفتح فعلى لغة العرب قررت بكسر
 الراء اقر بفتح القاف في المكان وهي لغة ذكرها ابو عبيد في الغريب
 المصنف وذكرها الزجاج وغيره فامر الله تعالى في هذه الآية نساء النبي
 بملازمة بيوتهن ونهاهن عن التبرج والتبرج اظهار الزينة والتصنع بها
 ومنه البروج لظهورها وانكشافها للعيون واختلف الناس في الجاهلية الاولى فقال
 الشعبي ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقيل غير هذا قال (ع) والذي
 يظهر عندي انه اشار الى الجاهلية التي لحقنها فامرنا بالنقلة عن سيرتهن
 فيها وهي ما كان قبل الشرع من سيرة الكفرة وجعلها اولى بالاضافة الى حالة
 الاسلام وليس المعنى ان ثم جاهلية آخرة والرجس اسم يقع على الاثم وعلى
 العذاب وعلى النجاسات والنقائص فاذهب الله جميع ذلك عن اهل البيت
 قالت ام سلمة نزلت هذه الآية في بيتي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فدخل معهم تحت كساء خيبري وقال هؤلاء
 اهل بيتي وقرأ الآية وقال اللهم اذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت
 ام سلمة فقلت وانا يا رسول الله فقال انت من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم

وانت الى خير والجمهور على هذا وقال ابن عباس وغيره اهل البيت ازواجه خاصة والجمهور على ماتقدم قال (ع) والذي يظهر لي ان اهل البيت ازواجه وبنته وبنوها وزوجها اعني عليا ولفظ الآية يقتضي ان الزوجات من اهل البيت لان الآية فيهن والمخاطبة لهن قال (ص) واهل البيت منصوب على النداء اوعلى المدح اوعلى الاختصاص وهو قليل في المخاطب واكثر ما يكون في المتكلم كقوله

نحن بنات طارق * نمشي على النمارق

انتهى (ت) واستصوب ابن هشام نجهه على النداء قاله في المغني * وقوله تعالى واذكرن يعطى ان اهل البيت نساؤه وعلى قول الجمهور هي ابتداء مخاطبة والحكمة السنة فقوله واذكرن يحتمل مقصدين كلاهما موعظة احدهما ان يريد تذكرنه واقدرنه قدره وفكرن في ان من هذه حاله ينبغي ان تحسن افماله والثاني ان يريد اذكرن بمعنى احفظن واقرآن والزمنه السنتكن (ت) ويحتمل ان يراد باذكرن افشاؤه ونشره للناس والله اعلم وهذا هو الذي فهمه ابن العربي من الآية فانه قال امر الله ازواج رسوله ان يخبرن بما ينزل من القرآن في بيوتهن وبما يرين من افعال النبي صلى الله عليه وسلم واقواله حتى يبلغ ذلك الى الناس فيعملوا بما فيه ويقتدوا به انتهى وهو حسن وهو ظاهر الآية وقد تقدم له نحو هذا في قوله تعالى وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا الآية ذكره في احكام القرآن * وقوله تعالى ان المسلمين والمسلمات الآية روي في سببها ان ام سلمة قالت يا رسول الله يذكر الله تعالى الرجال في كتابه في كل شئ ولا يذكرنا فنزلت الآية في ذلك والفاظ الآية في غاية البيان * وقوله سبحانه والذاكرين الله كثيرا والذاكرات الآية وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول

الله قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات رواه مسلم واللفظ له والترمذي وعنده قالوا يارسول الله وما المفردون قال المستهترون في ذكر الله يضع الذكر عنهم اثقالهم فياتون يوم القيامة خفافا قال عياض والمفردون ضبطناه على متقنى شيوخنا بفتح الفاء وكسر الراء وقال ابن الاعرابي فرد الرجل اذا تفقه واعتزل الناس وخلا لمراعاة الامر والنهي وقال الازهري هم المتخلون من الناس بذكر الله تعالى وقوله المستهترون (١) في ذكر الله هو بفتح التاء بين المشنتين يعني الذين اولعوا بذكر الله يقال استهتر فلان بكذا اي اولع به انتهى من سلاح المومن * وقوله سبحانه وما كان لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان تكون لهم الحيرة الآية قوله وما كان لفظه النفي ومعناه الحظر والمنع والحيرة مصدر بمعنى التخير قال ابن زيد نزلت هذه الآية بسبب ان ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط وهبت نفسها للنبي فزوجها من زيد بن حارثة فكرهت ذلك هي واخوها فنزلت الآية بسبب ذلك فاجابا الى تزويج زيد وقيل غير هذا والعصيان هنا يعم الكفر فادون وفي حديث الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من سعادة ابن ادم رضاه بما قضاه الله ومن شقاوة ابن ادم

(١) عبارة المجد في قاموسه « وهم المهترون بذكر الله تعالى » قال الشيخ نصر الهوري في تلميقه قوله المهترون هكذا بالزاي في النسخ المطبوعة واعلمها رواية وفي نسخة الشارح المهترون بالراء وكتب عليها كما جاء في رواية نها قال والذين اهتروا في ذكر الله يضع الذكر عنهم اثقالهم فياتون يوم القيامة خفافا اه قلت اهتر الرجل فقد عقله من الكبر او المرض او الحزن فهو مهتر بفتح التاء واهتر فلان مجهولا اولع بالقول في الشيء فهو مهتر « واهتروا في ذكر الله » اي خرفوا وهم يذكرون الله اه مصححه

سخطه بما قضاه الله له انتهى * وقوله تعالى واذا تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه الآية ذهب جماعة من المتأولين الى ان الآية لا كبير عتب فيها على النبي صلى الله عليه وسلم فروي عن علي بن الحسين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان قد اوحى اليه ان زيدا يطلق زينب وانه يتزوجها بتزويج الله اياها له فلما تشكى زيد للنبي صلى الله عليه وسلم خلق زينب وانها لا تطيعه واعلمه بانه يريد طلاقها قال له النبي صلى الله عليه وسلم على جهة الادب والوصية اتق الله اي في قولك وامسك عليك زوجك وهو يعلم انه سيفارقها وهذا هو الذي اخفى صلى الله عليه وسلم في نفسه ولم يرد ان يامر بالطلاق لما علم من انه سيتزوجها وخشي صلى الله عليه وسلم ان يلحقه قول من الناس في ان يتزوج زينب بعد زيد وهو مولاه وقد امره بطلاقها فعاتبه الله على هذا القدر من ان خشي الناس في شيء قد اباحه الله تعالى له قال عياض وتاويل علي بن الحسين احسن التاويلات واصحها وهو قول ابن عطاء وصححه واستحسنه انتهى *

وقوله انعم الله عليه يعني بالاسلام وغير ذلك وانعمت عليه يعني بالعتق وهو زيد بن حارثة وزينب هي بنت جحش بنت اميمة بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اعلم تعالى نبيه انه زوجها منه لما قضى زيد وطره منها لتكون سنة للمسلمين في ازواج ادعيائهم وليبين انها ليست كحرمة النبوة والوطر الحاجة والبغية * وقوله تعالى وكان امر الله مفعولا فيه حذف مضاف تقديره وكان حكم امر الله او مضمن امر الله والا فالامر قديم لا يوصف بانه مفعول ويحتمل ان يكون الامر واحد الامور التي شأنها ان تفعل وعبرة بالواحد وكان امر الله مفعولا اي كائنا لامحالة وكان قد قضى في زينب ان يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم انتهى * وقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له الآية هذه مخاطبة من الله تعالى لجميع الامة

اعلمهم انه لاجرح على نبيه في نيل ما فرض الله له واباحه من تزويجه لزينب
بعد زيد ثم اعلم ان هذا ونحوه هو السنن الاقدم في الانبياء من ان ينالوا ما
احله الله لهم وعبرة الواحدي ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
اي احل الله له من النساء سنة الله في الذين خلوا من قبل يقول هذه سنة
قد مضت لغيرك يعني كثرة ازواج داود وسليمان عليهما السلام وكان امر الله
قدرا مقدورا قضاء مقضيا الذين يبلغون رسالات الله من نعت قوله في الذين
خلوا من قبل انتهى * وقوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم الى
قوله كرىما اذهب الله بهذه الآية ما وقع في نفوس المنافقين وغيرهم لانهم
استعظموا ان تزوج زوجة ابنه فنفي القرءان تلك البتة وقوله ابا احد من
رجالكم يعني المعاصرين له وباقي الآية بين ثم امر سبحانه عباده بان يذكروه ذكرا
كثيرا وجعل تعالى ذلك دون حد ولا تقدير لسهولة على العبد ولعظم الاجر فيه
قال ابن عباس لم يعذر احد في ترك ذكر الله عز وجل الا من غلب على
عقله وقال الذكر الكثير ان لا تنساه ابدا وروى ابو سعيد عن النبي صلى
الله عليه وسلم اكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون (ت) وهذا الحديث
خرجه ابن حبان في صحيحه * وقوله وسبحوه بكرة واصيلا اراد في كل الاوقات
فحدد الزمن بطرفي نهاره وليله والاصيل من العصر الى الليل وعن ابن ابي اوفى
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان خيار عباد الله الذين يراعون الشمس
والقمر والاظلة لذكر الله رواه الحاكم في المستدرک انتهى من السلاح *
وقوله سبحانه هو الذي يصلي عليكم وملائكته الآية صلاة الله على العبد هي
رحمته له وصلاة الملائكة هي دعاؤهم للمؤمنين ثم اخبر تعالى برحمته بالمؤمنين
تائيسالهم * وقوله تعالى تحيتهم يوم يلقونه سلام قيل يوم القيامة تحي الملائكة
المؤمنين بالسلام ومعناه السلامة من كل مكروه وقال قتادة يوم دخولهم الجنة

يحيي بعضهم بعضا بالسلام والاجر الكريم جنة الخلد في جوار الله تبارك وتعالى *
وقوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا الآية هذه الآية فيها تائيس
للنبي صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين وتكريم لجمعهم * وقوله وداعيا الى الله باذنه
اي بامره وسراجا منيرا استعارة للنور الذي تضمنه شرعه * وقوله تعالى وبشر
المؤمنين بان لهم من الله فضلا كبيرا قال (ع) قال لنا ابي رحمه الله هذه
الآية من ارجى اية عندي في كتاب الله عز وجل قال ابو بكر بن الخطيب
اخبرنا ابو نعيم الحافظ ثم ذكر سنده الى ابن عباس قال قال النبي صلى الله
عليه وسلم انزلت علي اية يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا قال
شاهدا على امتك ومبشرا بالجنة ونذيرا من النار وداعيا الى شهادة ان لا اله
الا الله باذنه بامره وسراجا منيرا بالقرآن انتهى من تاريخ بغداد له من ترجمة
محمد بن نصر * وقوله تعالى ودع اذاهم يحتمل ان يريد ان يامر الله بترك
ان يؤذيهم هو ويعاقبهم فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول ويحتمل ان يريد
اعرض عن اقوالهم وما يؤذونك به فالمصدر على هذا التاويل مضاف الى الفاعل
وهذا تاويل مجاهد وباقي الآية بين * وقوله تعالى يا ايها النبي انا احللتلك
ازواجك الآية ذهب ابن زيد والضحاك في تفسير هذه الآية الى ان الله تعالى
احل لنبيه ان يتزوج كل امرأة يوتيها مهرها واباح له كل النساء بهذا الوجه
وانما خصص هؤلاء بالذكر تشريفا لهن فالآية على هذا التاويل فيها اباحة
مطلقة في جميع النساء حاشى ذوات المحارم المذكور حكمهن في غير هذه
الآية ثم قال بعد هذا ترجى من تشاء منهن اي من هذه الاصناف كلها
ثم تجرى الضمائر بعد ذلك على العموم الى قوله تعالى ولا ان تبدل بهن فيجى
هذا الضمير مقطوعا من الاول عائدا على ازواجه التسع فقط على الخلاف في
ذلك وتأول غير ابن زيد في قوله احللتلك ازواجك من في عصمته ممن تزوجها

بمهر وان ملك اليمين بعد حلال له وان الله اباح له مع المذكورات بنات عمه
وعماته وخاله وخالاته ممن هاجر معه والواهبات خاصة فيجى الامر على هذا
التاويل اضيق على النبي عليه السلام ويؤيد هذا التاويل ما قاله ابن عباس
كان النبي صلى الله عليه وسلم يتزوج في اي النساء شاء وكان ذلك يشق على
نسائه فلما نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء الا من سمي سر نسائه
بذلك * وقوله سبحانه وامرأة مومنة ان وهبت نفسها للنبي الآية قال
السهيلي ذكر البخاري عن عائشة انها قالت كانت خولة بنت حكيم من
اللاتي وهبن انفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدل على انهن كن غير
واحدة انتهى * وقوله خالصة لك اي هبة النساء انفسهن خاصة بك
دون امتك قال (ع) ويظهر من لفظ ابي بن كعب ان معنى قوله خالصة
لك يراد به جميع هذه الاباحة لان المؤمنين لم يبح لهم الزيادة على اربع *
وقوله تعالى قد علمنا ما فرضنا عليهم في ازواجهم يريد هو كون النكاح بالولي
والشاهدين والمهر والاقتصار على اربع قاله قتادة ومجاهد * وقوله لكي لا
اي بينا هذا البيان لكي لا يكون عليك حرج ويظن بك انك قد اثمت عند
ربك * وقوله تعالى ترجى من تشاء منهن الآية ترجى معناه تؤخر وتؤخر
معناه تظم وتقرب ومعنى هذه الآية ان الله تعالى فسح لنبيه فيما يفعله في
جهة النساء والضمير في منهن عائد على من تقدم ذكره من الاصناف
حسب الخلاف المذكور في ذلك وهذا الارجاء والايقاع يحتمل معاني منها
ان المعنى في القسم اي تقرب من شئت في القسمة لها من نفسك وتؤخر
عنك من شئت وتكثر لمن شئت وتقل لمن شئت لا حرج عليك في ذلك فاذا
علمن هن ان هذا هو حكم الله لك رضيين وقرت اعينهن وهذا تاويل مجاهد
وقتادة والضحاك قال (ع) لان سبب هذه الآية تغاير وقع بين زوجات النبي

صلى الله عليه وسلم تأذى به وقال ابن عباس المعنى فى طلاق من شاء وامسأك
 من شاء وقال الحسن بن ابى الحسن المعنى فى تزوج من شاء وترك من شاء
 قال (ع) وعلى كل معنى فالآية معناها التوسعة على النبي صلى الله عليه وسلم
 والاباحة له وذهب هبة الله فى النسخ والمنسوخ له الى ان قوله ترجى من تشاء
 الآية ناسخ لقوله لا يحل لك النساء من بعد الآية * وقوله تعالى ومن ابتغيت
 ممن عزلت يحتمل معاني احدها ان تكون من للتبعض اي من اردت وطلبته
 نفسك ممن كنت قد عزلته واخرته فلا جناح عليك فى رده الى نفسك
 وايوانه اليك ووجه ثان وهو ان يكون مقويا وموكدا لقوله ترجى من تشاء
 وتؤى من تشاء فيقول بعد ومن ابتغيت ومن عزلت فذلك سواء لا جناح
 عليك فى رده الى نفسك وايوانه اليك * وقوله ويرضين بما آتيتهن اي من
 نفسك ومالك واتفقت الروايات على انه عليه السلام مع ما جعل الله له من
 ذلك كان يسوى بينهما فى القسم تطييبا لنفوسهن واخذنا بالفضل وما خصه
 الله من الخلق العظيم صلى الله عليه وعلى آله غير ان سودة وهبت يومها لعائشة
 تقمنا امرة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقوله تعالى لا يحل لك النساء
 من بعد قيل كما قدمنا انها حظرت عليه النساء الا التسع وما عطف عليهن على
 ما تقدم لابن عباس وغيره قال ابن عباس وقتادة جازاهن الله بذلك لما اخترن
 الله ورسوله ومن قال بان الاباحة كانت له مطلقة قال هنا لا يحل لك النساء
 معناه لا يحل لك اليهوديات ولا النصرانيات ولا ينبغي ان يكن امهات المؤمنين
 وروي هذا عن مجاهد وكذلك قدر ولا ان تبدل اليهوديات والنصرانيات
 بالمسلمات وهو قول ابى رزين وابن جبير وفيه بعد * وقوله تعالى يا ايها الذين
 آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه هذه
 الآية تضمنت قصتين احدهما الادب فى امر الطعام والجلوس والثانية امر

الحجاب قال الجمهور سببها ان النبي صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب بنت جحش اولم عليها ودعا الناس فلما طموا قعد نفر في طائفة من البيت يتحدثون فشقل على النبي صلى الله عليه وسلم مكانهم فخرج ليخرجوا بخروجه ومر على حجر نسائه ثم عاد فوجدهم في مكانهم وزينب في البيت معهم فلما دخل وراءهم انصرف فخرجوا عند ذلك قال انس بن مالك فاعلم او اعلمته بانصرافهم فجاء فلما وصل الحجرة ارخى الستريني وبينه ودخل وزلت الآية الحجاب بسبب ذلك قال اسماعيل بن ابي حكيم هذا ادب ادب الله به الشقلاء وقالت عائشة وجماعة سبب الحجاب كلام عمر للنبي صلى الله عليه وسلم مرارا في ان يجب نساءه وناظرين معناه مستظرين وانه مصدراني الشيء ياني اني اذا فرغ وحان ولفظ البخاري يقال انه ادراكه اني ياني اناة انتهى * وقوله تعالى والله لا يستحي من الحق معناه لا يقع منه ترك الحق ولما كان ذلك يقع من البشر لعله الاستحياء نفى عنه تعالى العلة الموجبة لذلك في البشر وعن ثوبان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث لا يحل لاحد ان يفعلن لايوم رجل قوما فيخص نفسه بالدعاء دونهم فان فعل فقد خانهم ولا ينظر في قريبت قبل ان يستاذن فان فعل فتمد خان ولا يصلي وهو حاقن حتى يتخفف رواه ابو داود واللفظ له وابن ماجه والترمذي وقال الترمذي حديث حسن ورواه ابو داود ايضا من حديث ابي هريرة انتهى من السلاح * وقوله تعالى واذا سألتهم متاع الآيات هي آيات الحجاب والمتاع عام في جميع ما يمكن ان يطلب من الموعين وسائر المرافق وباقي الآيات بين وقد تقدم في سورة النور طرف من بيانه فاغنى عن اعادته * وقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية تضمنت شرف النبي صلى الله عليه وسلم وعظيم منزلته عند الله تعالى قالت فرقة تقدير الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون فالضمير في قوله يصلون للملائكة فقط

وقالت فرقة بل الضمير في يصلون لله والملائكة وهذا قول من الله تعالى شرف به ملائكته فلا يرد عليه الاعتراض الذي جاء في قول الخطيب من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يمتصهما فقد ضل فقال النبي صلى الله عليه وسلم بيس الخطيب انت وهذا القدر كاف هنا وصلاة الله تعالى رحمة منه وبركة وصلاة الملائكة دعاء وصلاة المؤمنين دعاء وتظيم والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل حين من الواجبات وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها ولا يفلها الا من لاخير فيه وفي حديث ابن عباس انه لما نزلت هذه الآية قال قوم من الصحابة هذا السلام عليك يا رسول الله قد عرفناه فكيف نصلي عليك الحديث (ت) ولفظ البخاري عن كعب بن عجرة قال قيل يا رسول الله اما السلام عليك فقد عرفناه فكيف الصلاة قال قولوا اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد انتهى وفيه طرق يزيد فيها بعض الرواة على بعض وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ان من افضل ايامكم يوم الجمعة فاكثروا علي من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة علي الحديث رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه واللفظ لابن داود ورواه الحاكم في المستدرک من حديث ابی مسعود الانصاري وقال صحيح الاسناد. وعن ابی هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحه حتى ارد عليه السلام وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم صلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم رواها ابو داود وعن ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اولي الناس بي يوم القيامة اكثرهم علي صلاة رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه ولفظهما سواء وقال الترمذي حسن غريب انتهى من السلاح * وقوله سبحانه يدنين عليهن من جلابيبهن الجلاب ثوب اكبر من

الحمار وروي عن ابن عباس وابن مسعود انه الحمار واختلف في صورة اذناؤه فقال ابن عباس وغيره ذلك ان تلويه المرأة حتى لا يظهر منها الا عين واحدة تبصر بها وقال ابن عباس ايضا وقتادة ذلك ان تلويه على الجبين وتشده ثم تعطفه على الانف وان ظهرت عيناها لكنه يستر الصدر ومعظم الوجه * وقوله ذلك ادنى ان يعرفن اي حتى لا يختطن بالاماء فاذا عرفن لم يقابلن باذى من المعارضة مراقبة لرتبة الحران وليس المعنى ان تعرف المرأة حتى يعلم من هي وكان عمر اذا رأى امة قد تقنعت قنعتها بالدرة محافظة على زي الحران * وقوله تعالى لنن لم ينته المنافقون الآية اللام في قوله لنن هي المودنة بمجيء القسم واللام في لنغرينك هي لام القسم (ت) وروى الترمذي عن ابن عمر قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من قد اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله الحديث اه ورواه ابو داود في سننه من طريق ابى برزة الاسلمي عن النبي صل الله عليه وسلم وتوعد الله سبحانه هذه الاصناف في هذه الآية * وقوله سبحانه والذين في قلوبهم مرض هنأهم الغزل وحب الزنا قاله عكرمة والمرجعون في المدينة هم قوم كانوا يتحدثون بنزو العرب المدينة ونحو هذا مما يرجفون به نفوس المؤمنين فيحتمل ان تكون هذه الفرق داخلة في جملة المنافقين ويحتمل ان تكون متبانية ونغرينك معناه نخضك عليهم بعد تعيينهم لك وفي البخاري وقال ابن عباس لنغرينك لنسلطتك انتهى * وقوله تعالى ثم لا يجاورونك اي بعد الاغراء لانك تنفيهم بالاخافة والقتل * وقوله الا قليلا يحتمل ان يريد الاجوارا قليلا او وقتا قليلا او عددا قليلا كانه قال الا اقلاء وثقفوا معناه حصروا وقدر عليهم واخذوا معناه اسروا والاخذ الاسير والذين

خلوا هم مناققوا الامم وباقي الآية متضح المعنى والسبيل مفعول ثان لأن اضل
 تمتد بالهمزة وهي سبيل الايمان والهدى والذين اذوا موسى هم قوم من بني
 اسرائيل قال ابن عباس وابو هريرة وجماعة الاشارة الى ما تضمنه حديث النبي
 صلى الله عليه وسلم من ان بني اسرائيل كانوا يغتسلون عراة وكان موسى رجلا
 ستيرا حيا لا يكاد يرى من جسده شي فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل
 معنا الا انه ادر اوبه برص فذهب يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر
 بثوبه فلجج موسى في اثره يقول ثوبي حجر ثوبي حجر فربهم فنظروا اليه فقالوا
 والله ما بموسى من باس الحديث خرجه البخاري وغيره وقيل في اذاتهم غير
 هذا فبرأه الله مما قالوا والوجه المكرم الوجه والقول السديد يعم جميع الخيرات
 وقال عكرمة اراد لاله الا الله وباقي الآية بين * وقوله سبحانه انا عرضنا الامانة
 على السموات والارض والآية ذهب الجمهور الى ان الامانة كل شي يؤتمن الانسان
 عليه من امر ونهي وشأن دين ودنيا فالشرع كله امانة ومعنى الآية انا عرضنا على
 هذه المخلوقات العظام ان تحمل الاوامر والنواهي ولها الثواب ان احسنت
 والعقاب ان اساءت فابت هذه المخلوقات واشفقت فيحتمل ان يكون هذا
 بادراك يخلقه الله لها ويحتمل ان يكون هذا العرض على من فيها من الملائكة
 وحمل الانسان الامانة اي التزم القيام بحقها وهو في ذلك ظلم لنفسه
 جهول بقدر ما دخل فيه وهذا هو تاويل ابن عباس وابن جبير قال ابن عباس
 واصحابه والانسان ادم تحمل الامانة فما تم له يوم حتى وقع في امر الشجرة
 وقال بعضهم الانسان النوع كله فعلى تاويل الجمهور يكون قولها في الآية
 الاخرى اتينا طائعين اجابة لامر امرت به وتكون هذه الآية اباية
 واشفاقا من امر عرض عليها وخيرت فيه * وقوله تعالى ليعذب اللام لام
 العاقبة وكذا قال ابو حيان اللام في ليعذب للصيرورة لانه لم يحمل الامانة

ليعذب ولكن ءال امره الى ذلك (ص) ابو البقاء اللام تتعلق بحملها وقرأ
الاعمش ويتوب بالرفع على الاستيناف والله اعلم انتهى وباقي الآية بين

﴿ تفسير سورة سبا وهي مكية ﴾

واختلف في قوله تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الآية ف قيل ذلك مكي وقيل
مدني

* بسم الله الرحمن الرحيم *

قواه تعالى الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض الالف واللام
فى الحمد لاستغراق جنس المحامد اى الحمد على تنوعه هو الله تعالى من
جميع جهات الفكرة ويلج معناه يدخل ويعرج معناه يصعد * قوله تعالى
وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة روي ان قائل هذه المقالة هو ابو سفيان
ابن حرب والسلام من قوله ليجزي يصح ان تكون متعلقة بقوله لتأتينكم
والذين معطوف على الذين الاولى اى وليجزي الذين سعوا ومعاجزين معناه
محاولين تعجيز قدرة الله فيهم ثم اخبر تعالى بان الذين اوتوا العلم يرون الوحي
المنزل على محمد عليه السلام حقاً والذين اوتوا العلم قيل هم من اسلم من اهل
الكتاب وقال قتادة هم امة محمد المومنون به ثم حكى الله تعالى عن
الكفار مقالتهم التى قالوها على جهة التعجب والهزء واستبعاد البعث هل
ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق
بالبلى وتقطع الاوصال فى القبور وغيرها وجديد بمعنى مجدد وقولهم افترى

على الله كذبا هو ايضا من قول بعضهم لبعض ثم اضرب عن قولهم فقال بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب يريد عذاب الآخرة لانهم صائرُونَ اليه ويحتمل ان يريد عذاب الدنيا ايضا والضمير في قوله اقلهم يروا لهؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وقفهم الله على قدرته وخوفهم من احاطتها بهم والمعنى ليس يرون امامهم ووراؤهم سماءى وارضى وباقى الآية بين ثم ذكر الله تعالى نعمته على داود وسليمان احتجاجا على ما منح محمدا واوبى معناه رجبى معه قال ابن عباس وغيره معناه يا جبال سبجى معه اي يسبح هو وترجع هي معه التسيح اي تردده بالذكر وقال مؤرج اوبى سبجى بلغة الحبشة وقرأ عاصم والطيبر بالرفع عطفا على لفظ قوله يا جبال وقرأ نافع وابن كثير والطيبر بالنصب قال سيبويه عطف على موضع قوله يا جبال لان موضع النداء المفرد نصب وقيل نصبها باضمار فعل تقديره وسخرنا الطير والثالة الحديد معناه جعلناه لنا وروى قتادة وغيره ان الحديد كان له كالشمع لا يحتاج فى عمله الى نار والسباغات الدروع الكاسيات ذوات الفضول * وقوله تعالى وقدر فى السرد قال ابن زيد الذى امر به هو فى قدر الحلقة اي لا تعملها صغيرة فتضعف فلا يقوى الدرع على الدفاع ولا تعملها كبيرة فينال لابسها من خلالها وقال ابن عباس التقدير الذى امر به هو فى السمار وذكر البخاري فى صحيحه ذلك فقال المعنى لا تدق السمار فيستل ولا تغلظه فينقصم بالقاف وبالفاء ايضا رواية (ت) قال الهروي قوله تعالى وقدر فى السرد السرد متابعة حلق الدرع شيا بعد شي حتى يتناسق يقال فلان يسرد الحديث سردا اي يتابعه انتهى * وقوله تعالى وسليمان الريح المعنى وسليمان سخرنا الريح وغدوها شهر ورواحها شهر قال قتادة معناه انها كانت تقطع به فى الغدو الي قرب الزوال مسيرة شهر ونقطع فى الرواح من بعد الزوال

الى الغروب مسيرة شهر وكان سليمان اذا اراد قوما لم يشعروا حتى يظلمهم في
 جو السماء * وقوله تعالى واسلنا له عين القطر قال ابن عباس وغيره كانت
 تسيل له باليمن عين جارية من نحاس يصنع له منها جميع ما احب والقطر
 النحاس ويزغ معناه يمل اي ينحرف عاصيا وقال عن امرنا ولم يقل عن
 ارادتنا لانه لا يقع في العالم شيء يخالف ارادته سبحانه ويقع ما يخالف الامر *
 وقوله من عذاب السمير قيل عذاب الآخرة وقيل بل كان قد وكل بهم ملك
 بيده سوط من نار السمير فمن عصى ضربه فاحرقه والمحاريب الابنية
 العالية الشريفة قال قتادة القصور والمساجد والتماثيل قيل كانت من زجاج
 ونحاس تماثيل اشياء ليست بحيوان والجوابي جمع جابية وهي البركة التي
 يحجي اليها الماء وراسيات معناه ثابتات لكبرها ليست مما ينقل او يحمل ولا
 يستطيع على عمله الاجن ثم امروا مع هذه النعم بان يعملوا بالطاعات
 وشكرا يحتمل نصبه على الحال اوعلى جهة المفعول اي اعملوا عملا هو
 الشكر كأن العبادات كلها هي نفس الشكر وفي الحديث ان النبي صلى الله
 عليه وسلم صعد المنبر فتلا هذه الآية ثم قال ثلاث من اوتيهن فقد اوتي
 العمل شكرا العدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى وخشية الله
 في السر والعلانية وهكذا نقل ابن العربي هذا الحديث في احكامه وعبرة
 الداودي وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ على المنبر اعملوا ال داود شكرا
 وقال ثلاث من اوتيهن فقد اوتي مثل ما اوتي ال داود العدل في الغضب
 والرضا والقصد في الفقر والغنى وذكر الله في السر والعلانية قال القرطبي
 الشكر تقوى الله والعمل بطاعته انتهى قال ثابت روي ان داود كان قد
 جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتي ساعة من ساعات الليل
 والنهار الا وانسان من آل داود قائم يصلي يتناوبون دائما وكان سليمان عليه

السلام فيما روي يأكل الشغير ويطعم اهله الحشكار ويطعم المساكين الدرهم وروي انه ما شبع قط فليل له في ذلك فقال اخاف ان شبعته ان انسى الجوع * وقوله تعالى وقيل من عبادي الشكور يحتمل ان تكون مخاطبة لآل داود ويحتمل ان تكون مخاطبة لنبينا محمد عليه السلام وعلى كل وجه ففيها تحريض وتنبيه قال ابن عطاء الله في الحكم من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقلها وقال صاحب الكلم الفارقة لا تغفل عن شكر الصنائع وسرعة استرجاع الودائع وقال ايضا ياميتا نشر من قبر العدم بحكم الجود والكرم لا تنس سواف اليهود والذمم اذكر عهد اليجاد وذمة الاحسان والارقاد وحال الاصدار والاياد وفاقحة المبدأ وخاتمة المعاد وقال رحمه الله يادائم الغفلة عن عظمة ربه اين النظر في عجائب صنعه والتفكير في غرائب حكمته اين شكر ما افاض عليك من ملابس احسانه ونعمه ياذا الفطنة اغتنم نعمة المهلة وفرصة المكنة وخلص السلامة قبل حلول الحسرة والندامة انتهى * قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية روي عن ابن عباس وابن مسعود في قصص هذه الآية كلام طويل حاصله ان سليمان عليه السلام لما احس بقرب اجله اجتهد عليه السلام وجد في العبادة وجاءه ملك الموت واخبره انه امر بقبض روحه وانه لم يبق له الامدة يسيرة قال الثعلبي وقال سليمان عند ذلك اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تحب الانس انهم يعلمون من الغيب اشياء وانهم يعلمون ما في غد ولما اعلمه ملك الموت بقرب الاجل امر حينئذ الجن فصنعت له قبة من زجاج تشف ودخل فيها يتعبد ولم يجعل لها بابا وتوكأ على عصاه على وضع يدها معه وان مات ثم توفي عليه السلام على تلك الحالة فلما مضى لموته سنة خر عن عصاه والعصا

قد أكلتها الأرضة وهي الدودة التي تأكل العود فرأت الجن انحراره فتوهمت موته والمنساءة العصا وقرأ الجمهور تبينت الجن باسناد الفعل اليها اي بان امرها كانه قال افتضحت الجن اي للانس هذا تاويل ويحتمل ان يكون قوله تبينت الجن بمعنى علمت الجن وتحققت ويريد بالجن جمهورهم والخدمة منهم ويريد بالضمير في كانوا رؤساءهم وكبارهم لانهم هم الذين يدعون علم الغيب لا تباعهم من الجن والانس وقرأ يعقوب تبينت الجن على بناء الفعل للمفعول اي تبينها الناس والعذاب المهين ما هم فيه من الخدمة والتسخير وغير ذلك والمعنى ان الجن لو كانت تعلم الغيب لما خفي عليها موت سليمان وقد ظهر انه حفي عليها بدوامها في الخدمة الصعبة وهوميت فالهين المذل من الهوان وحكى الثعلبي ان الشياطين قالت للأرضة لو كنت تأكلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام والشراب ولكننا سننقل اليك الماء والطين فهم ينقلون اليها ذلك حيث كانت شكرا لها انتهى * وقوله تعالى لقد كان لسبإ في مساكنهم آية الآية هذا مثل لقريش يقوم انعم الله عليهم فلم يشكروا فانتقم منهم اي فانتم ايها القوم مثلهم وسبأ هنا يراد به القبيل واختلف لم سمي القبيل بذلك فقالت فرقة هواسم امرأة وقيل اسم موضع سمي به القبيل وقال الجمهور هو اسم رجل هو ابو القبيل كله وفيه حديث فروة بن مسيك المتقدم في سورة النمل خرجه الترمذي وآية معناه عبرة وعلامة على فضل الله وقدرته وجنتان مبتدأ وخبره عن يمين وشمال اوخبر مبتدأ محذوف تقديره هي جنتان وقيل جنتان بدل من آية وضعف وروي في قصصهم انه كان في ناحية اليمن واد عظيم بين جبلين وكانت جنبها الوادي فواكه وزروعا وكان قد بني في رأس الوادي عند اول الجبلين جسر عظيم من حجارة من الجبل الى الجبل فاحتبس الماء فيه وصار بحيرة عظيمة واخذ الماء من جنبتيها فمشى مرتفعاً يسقى

جنان كثيرة جنبتي الوادى قيل بنته بلقيس وقيل بناء حمير ابو القبائل اليمانية كلها وكانوا بهذه الحال فى ارغد عيش وكانت لهم بعد ذلك قرى ظاهرة متصلة من اليمن الى الشام وكانوا ارباب تلك البلاد فى ذلك الزمان (ت) وقول (ع) وكان قدبني فى رأس الوادى عند اول الجبلين صوابه وكان قدبني فى اسفل الوادى عند اخر الجبلين وكلوا فيه حذف معناه قيل لهم كلوا وطيبة معناه كريمة التربة حسنة الهواء وروي ان هذه المقالة من الامر بالاكل والشكر والتوقيف على طيب البلدة وغفران الرب مع الايمان به هي من قول الانبياء لهم وبعث اليهم فيما روي ثلاثة عشرين بيا فكفروا بهم واعرضوا فبعث الله على ذلك السد جرذا اعمى توالد فيه وخرقه شياً بعد شي فانخرق السد وفاض الماء على اموالهم وجناتهم ففرقها واهلك كثيرا من الناس ممن لم يمكنه الفرار واختلف فى العرم فقال المغيرة بن حكيم وابو ميسرة هو كل ما بني اوسنم ليمسك الماء وقال ابن عباس وغيره العرم اسم وادى ذلك الماء بعينه الذى كان السد بني له وقال ابن عباس ايضا العرم الشديد قال (ع) فكانه صفة للسيل من العرامة والاضافة الى الصفة مبالغة وهي كثيرة فى كلام العرب وقيل العرم صفة للمطر الشديد الذى كان عنه ذلك السيل * وقوله تعالى وبدلناهم بجنيتهم جنين فيه تجوز واستعارة وذلك ان البدل من الحمط والائل لم يكن جنات لكن هذا كما تقول لمن جرد ثوبا جيذا وضرب ظهره هذا الضرب ثوب صالح لك ونحو هذا والحمط شجر الاراك قاله ابن عباس وغيره وقيل الحمط كل شجر له شوك وثمرته كربيهة الطعم بمرارة او حموضة او نحوه ومنه تخمط اللبن اذا تغير طعمه والائل ضرب من الطرفاء هذا هو الصحيح والسدر معروف وهوله بنق شبه الغناب لكنه دونه فى الطعم بكثير وللخبط ثمر غث هو البرير والائل ثمر قليل الغناء غير حسن الطعم وقرأ نافع وابن كثير اكل بضم الهمزة وسكون الكاف والباقون بضمهما

وهما بمنى الجنى والثمره ومنه توى اكلها كل حين اي جناها وقرأ ابو عمرو اكل
خط باضافة اكل الى خط * وقوله تعالى ذلك اشارة الى ما اجراه عليهم *
وقوله وهل يجازى اي يناقش ويقارض بمثل فعله قدرا بقدر لان جزاء المومن
انما هو بتفضل وتضعيف ثواب واما الذى لا يزداد ولا ينقص فهو الكافر وقرأ
حمزة والكسائي وهل يجازى بالنون وكسر الزاي الكفور بالنصب * وقوله
تعالى وجعلنا بينهم وبين القرى الآيه هذه الآيه وما بعدها وصف حالهم قبل
مجيئ السيل وهي ان الله تعالى مع ما كان منحهم من الجنتين والنعمة الخاصة
بهم كان قد اصلح لهم البلاد المتصلة وعمرها وجعلهم اربابها وقدر السير بان
قرب القرى بعضها من بعض حتى كان المسافر من مأرب الى الشام يبيت
في قرية ويقل في قرية فلا يحتاج الى حمل زاد والقرى المدن والقرى التي بورك
فيها هي بلاد الشام باجماع المفسرين والقرى الظاهرة هي التي بين الشام
ومأرب وهي اسم بلادهم قال ابن عباس وغيره هي قرى عربية بين المدينة
والشام واختلف في معنى ظاهرة فقالت فرقة معناه مستعملة مرتفعة في الآكام
وهي اشرف القرى وقالت فرقة معناه يظهر بعضها من بعض فهي ابدا في
قبضة عين المسافر لا يخلو عن رؤية شيء منها قال (ع) والذي يظهر لي ان معنى
ظاهرة خارجة عن المدن فهي عبارة عن القرى الصغار التي هي في ظواهر
المدن والله اعلم وامنن اي من الخوف والجوع والعطش وافات السفر ثم
حكى سبحانه عنهم مقالة قالوها على جهة البطر والاشر وهي طلب البعد بين
الاسفار كانهم ملوا النعمة في القرب وطلبوا استبدال الذي هو ادنى بالذي هو
خير وظلموا انفسهم ففرق الله شملهم وخرب بلادهم وجعلهم احاديث ومنه
المثل السائر تفرقوا ايادي سبا وايدي سبا يقال المثل بالوجهين وهذا هو
تمزيقهم كل ممزق فتيامن منهم ستة قبائل وتشاءمت منهم اربعة حسبما في

الحديث ثم اخبر تعالى محمدا عليه السلام وامته على جهة التنبيه بان هذا القصص فيه آيات وعبر لكل مومن متصف بالصبر والشكر * وقوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه الآية قرأ نافع وابو عمرو وابن عامر ولقد صدق بتخفيف الدال وقرأ حمزة والكسائي صدق بتشديد ها فالظن على هذه القراءة مفعول بصدق ومعنى الآية ان ابليس ظن فيهم ظنا حيث قال ولا تجد اكثرهم شاكرين وغير ذلك فصدق بظنه فيهم واخبر تعالى انهم اتبعوه وهو اتباع في كفر لانه في قصة قوم كفار * وقوله ممن هو منها في شك يدل على ذلك ومن في قوله من المومنين لبيان الجنس لا للتبويض * وقوله وما كان له عليهم مس سلطان اي من حجة قال الحسن والله ما كان له سيف ولا سوط ولكنه استمالهم فالوا بتزيينه * وقوله تعالى قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله يريد الاضام والملائكة وذلك ان منهم من كان يعبد الملائكة وهذه اية تعجيز واقامة حجة ويروى ان الآية نزلت عند الجوع الذي احاب قريشا ثم جاء بصفة هؤلاء الذين يدعونهم الهة انهم لا يملكون ملك اختراع مثقال ذرة في السماوات ولا في الارض وانهم لا شرك لهم فيهما وهذان نوعا الملك اما استبداد واما مشاركة فنفي عنهم جميع ذلك ونفي ان يكون منهم لله تعالى معين في شيء والظهير المعين ثم قرر في الآية بعد ان الذين يظنون انهم يشفعون لهم عند الله لا تصح منهم شفاعة لهم اذ هؤلاء كفرة ولا ياذن الله في الشفاعة في كافر وقرأ حمزة والكسائي وابو عمرو اذن بضم الهمزة * وقوله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية الضمير في قلوبهم عائد على الملائكة الذين دعوهم الهة قال (ع) وتظاهرت الاحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذه الآية اعني قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم انما هي في الملائكة اذا سمعت الوحي الى جبريل والامر يامر الله به سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك

تعظيما وهيبة لله تبارك وتعالى وقيل خوفا ان تقوم الساعة فاذا فرغ ذلك فزع
عن قلوبهم اي اطيروا الفزع عنها وكشف فيقول بعضهم لبعض ولجبريل ماذا قال
ربكم فيقول المسئولون قال الحق وهو العلي الكبير (ت) ولفظ الحديث من
طريق ابى هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله امرا في السماء
ضربت الملائكة باجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن
قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير انتهى وقرأ الجمهور فزع
بضم الفاء ومعناه اطيروا الفزع عنهم وقولهم وهو العلي الكبير تمجيد وتحميد ثم امر
الله نبيه صلى الله عليه وسلم على جهة الاحتجاج واقامة الدليل على الرازق لهم
من السموات والارض من هو ثم امره ان يقتضب الاحتجاج بان ياتي بجواب
السؤال اذهم في بهتة ووجهة من السؤال واذا لا جواب لهم الا ان يقولوا هو
الله وهذه السبيل في كل سؤال جوابه في غاية الوضوح لان المحتج يريد ان
يقتضب ويتجاوز الى حجة اخرى يوردها ونظائرها في القرآن كثير * وقوله
وانا او اياكم تطف في الدعوة والمحاورة والمعنى كما تقول لمن خالفك في مسألة
احدنا مخطئ اي تثبت وتنبه والمفهوم من كلامك ان مخالفك هو المخطئ
فكذلك هذا معناه وانا لعل هدى او في ضلال مبين وانكم لعل هدى او في
ضلال مبين فتنبهوا والمقصد ان الضلال في حيزهم وحذف احد الخبرين
للدلالة الباقي عليه * وقوله قل لا تسئلون الآية مهادنة ومتاركة منسوخة *
وقوله تعالى قل يجمع بيننا ربنا اخبار بالبعث ويفتح معناه يحكم والفتاح
القاضي وهو مشهور في لغة اليمن واروني هي رؤية قلب وهذا هو الصحيح
اي اروني بالحجة والدليل * وقوله كلا رد لما تقرر من مذهبهم في الاشرار *
وقوله تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس الآية اعلام من الله تعالى بانه بعث
محمدا عليه السلام الى جميع العالم وهي احدى خصائصه التي خص بها من

بين سائر الانبياء وباقي الآيات بين قال ابو عبيدة الوعد والوعد والميعاد بمعنى وخولف في هذا والذي عليه الناس ان الوعد اذا اطلق ففي الخير والوعد في المكروه والميعاد يقع لهذا ولهذا * وقوله تعالى وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه هذه المقالة قالها بعض قريش وهي انهم لا يؤمنون بالقرآن ولا بالذي بين يديه من التوراة والانجيل والزبور فكانهم كذبوا بجميع كتب الله عز وجل وانما فعلوا هذا لما وقع الاحتجاج عليهم بما في التوراة من امر محمد عليه السلام قال الواحدي قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول اي في التلاوم انتهى وباقي الآية بين وقولهم بل مكر الليل والنهار المعنى بل كفرنا بمكركم بنا في الليل والنهار واطاف المكر الى الليل والنهار من حيث هو فيهما ولتدل هذه الاضافة على الدؤوب والدوام والضمير في اسروا عام لجميعهم من المستضعفين والمستكبرين * وقوله تعالى وما ارسلنا في قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما ارسلتم به كفرون هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن فعل قريش وقولها اي هذه يا محمد سيرة الامم فلا يهمنك امر قومك والقرية المدينة والمترف الغني المنعم القليل تعب النفس والبدن فعادتهم المبادرة بالتكذيب * وقوله وقولوا نحن اكثر اموالا الآية يحتمل ان يعود الضمير في قالوا على المترفين ويحتمل ان يكون لقريش ويكون كلام المترفين قد تم قبله وفي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم انتهى واعلم ان المال الزائد على قدر الحاجة قل ان يسلم صاحبه من الآفات الا من عصمه الله ولوبسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقد جاء في صحيح البخاري وغيره من رواية ابي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الاكثرون مالا هم الاقلون يوم القيامة الا من قال بالمال هكذا وهكذا وأشار ابن شهاب بين يديه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما هم اهـ

وروى ابن المبارك في رقائقه قال اخبرنا حيوة بن شريح عن عقيل بن خالد عن سلمة بن ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قال لن ينجو مني الغني من احدى ثلاث اما ان ازين ماله في عينيه فيمنعه من حقه واما ان اسهل له سبيله فينفقه في غير حقه واما ان احبه فيكسبه بغير حقه انتهى والزلفى مصدر بمعنى القرب * وقوله الامن آمن استثناء منقطع وقرأ الجمهور جزاء الضعف بالاضافة والضعف هنا اسم جنس اي بالضعيف اذ بعضهم يجازى الى عشرة وبعضهم اكثر طاعدا الى سبع مائة بحسب الاعمال ومشية الله فيها * وقوله تعالى والذين يسمعون في آياتنا معاجزين تقدم تفسيره ومحضرون من الاحضار والاعداد ثم كرر القول ببسط الرزق لاعلى المعنى الاول بل هذا هنا على جهة الوعظ والترهيد في الدنيا والحض على النفقة في الطاعات ثم وعد بالخلف في ذلك اما في الدنيا واما في الآخرة وفي البخاري ان ملكا ينادى كل يوم اللهم اعط منفقا خلفا ويقول ملك اخر اللهم اعط ممسكا تلفا وروى الترمذي عن ابي كبشة الانصاري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث اقسم عليهن واحديثكم حديثا فاحفظوه قال ما نقص مال عبد من صدقة ولا ظلم عبد مظلمه صبر عليها الا زاده الله عزا ولا فتح عبد باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر او كلمة نحوها الحديث قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى وقوله تعالى ويوم نحشرهم الآية تقدم تفسير نظيرها مكررا وفي القرآن آيات يظهر منها ان الجن عبدت في سورة الانعام وغيرها ثم قال تعالى فالיום اي يقال لمن عبد ومن عبد اليوم لا يملك بمضكم لبعض نفعا ولا ضرا * وقوله تعالى وما آتيناهم من كتب يدرسونها الآية المعنى ان هؤلاء الكفرة

يقولون بشارتهم في كتاب الله فيقول بعضهم سحر وبعضهم افتراء وذلك منهم تسور لا يستندون فيه الى اثاره علم فانا ما اتيناهم من كتب يدرسونها وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير يبشرهم ويشافهم فيمكنهم ان يسندوا دعواهم اليه * وقوله تعالى وما بلغوا معشار ما انيناهم الضمير في بلغوا يعود على قریش وفي اتيناهم على الامم الذين من قبلهم والمعنى من القوة والنعم والظهور في الدنيا قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد والمعشار العشر ولم يات هذا البناء الا في العشرة والاربعة فقالوا مرباع ومعشار والنكير مصدر كالانكار في المعنى وكالعذير في الوزن وكيف تعظيم للامر وليست استفهاما مجردا وفي هذا تهديد لقریش اي انهم متعرضون لنكير مثله ثم امر تعالى بنبيه عليه السلام ان يدعوهم الى عبادة الله تعالى والنظر في حقيقة نبوته هو ويعظمهم بامر مقرب للافهام فقوله بواحدة معناد بقضية واحدة ايجازا لكم وتقريبا عليكم وهو ان تقوموا لله اي لاجل الله او لوجه الله مثني اي اثنين اثنين متناظرين وفرادي اي واحدا واحدا ثم تفكروا هل بصاحبكم جنة او هو بري من ذلك والوقف عند ابى حاتم تفكروا فيحي ما بصاحبكم نفيا مستانفا وهو عند سيبويه جواب ما تنزل منزلة القسم وقيل في الآية غير هذا مما هو بعيد من الفاظها فتعين تركه * وقوله تعالى قل ما سألتكم من اجر فهو لكم معنى الآية بين واضح لا يفتقر الى بيان * وقوله يقذف بالحق يريد بالوحي و آيات القرآن واستعاره القذف من حيث كان الكفار يرمون بآياته وحكمه * وقوله سبحانه قل جاء الحق يريد الشرع يجمته وما يبدي الباطل وما يعيد قالت فرقة الباطل غير الحق من الكذب والكفر ونحوه استعاره الابداء والاعادة ونفاها عنه كانه قال وما يصنع الباطل شيئا * وقوله فيما يوحى يحتمل ان تكون ما بمعنى الذي او مصدرية * وقوله

تعالى ولو ترى اذ فرعوا الآية قال الحسن بن ابى الحسن ذلك فى الكفار عند خروجهم من القبور فى القيامة قال (ع) وهو ارجح الاقوال هنا واما معنى الآية فهو التعجب من حالهم اذا فرعوا من اخذ الله اياهم ولم يتمكن لهم ان يفوت منهم احد واخذوا من مكان قريب اى ان الاخذ يجيئهم من قرب فى طمانينتهم وبعقبها بينما الكافر يؤمل ويسترجى اذ غشيه الاخذ ومن غشيه اخذ من قريب فلا حيلة له ولا روية وقالوا ءامننا به الضمير فى به عائداً على الله تعالى وقيل على محمد وشرعه والقراء ان قرأ نافع وعامة القراء التناوش دون همز ومعناه التناول من قولهم ناش ينوش اذا تناول وعبرة الواحدى وانى لهم التناوش اى كيف يتناولون التوبة وقد بعدت عنهم انتهى وقرأ ابو عمرو وحمة والكسائي التناوش بالهمز فيحتمل ان يكون تفسيره كالقراءة الاولى ويحتمل ان يكون من الطلب تقول انتأشت الخير اذا طلبته من بعد (ت) وقال البخاري التناوش الرد من الآخرة الى الدنيا انتهى ويقذفون بالغيب اى يرجعون بظنونهم ويرمون بها الرسول وكتاب الله وذلك غيب عنهم فى قولهم سحر وافترأ وغير ذلك قاله مجاهد وقال قتادة قذفهم بالغيب هو قولهم لا بعث ولاجنة ولا نار * وقوله سبحانه وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال الحسن معناه من الايمان والتوبة والرجوع الى الانابة والعمل الصالح وذلك انهم اشتوه فى وقت لا تنفع فيه التوبة وقاله ايضا قتادة وقال مجاهد معناه وحيل بينهم وبين نعيم الدنيا وقيل معناه حيل بينهم وبين الجنة ونعيمها كما فعل باشياعهم من قبل والاشياع الفرق المشابهة فاشياع هؤلاءهم الكفرة من كل امة (ص) قال ابو حيان ومريب اسم فاعل من اراب اى اتى بريبة واربه اوقعته فى ريبة ونسبة الارابة الى الشك مجاز قال (ع) والشك المريب اقوى ما يكون من الشك واشده اظلاما انتهى

﴿ تفسير سورة فاطر وهي مكية ﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم *

الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا اولى اجنحة الآيات رسلا
معناه بالوحي وغير ذلك من اوامره سبحانه كجبريل وميكائيل وعزرائيل رسل
والملائكة المتعاقبون رسل وغير ذلك ومثنى وثلاث ورباع الفاظ معدولة عن
اثنين اثنين وثلاثة ثلاثة واربعة اربعة عدلت في حالة التنكير فتعرفت
بالعدل فهي لا تنصرف للعدل والتعريف وقيل للعدل والصفة وفائدة العدل
الدلالة على التكرار لان مثنى بمنزلة قولك اثنين اثنين قال قتادة ان انواع
الملائكة هم هكذا منها ماله جناحان ومنها ماله ثلاثة ومنها ماله اربعة ويشذ منها
ماله اكثر من ذلك وروي ان لجبريل عليه السلام ست مائة جناح منها اثنان
يبلغان من المشرق الى المغرب * وقوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء تقرير لما
يقع في النفوس من التعجب عند الخبر بالملائكة اولى الاجنحة اي ليس هذا
ببدع في قدرة الله تعالى فانه يزيد في الخلق ما يشاء وروي عن الحسن وابن
شهاب انهما قالوا المزيّد هو حسن الصوت قال الهيثم الفارسي رأيت النبي
صلى الله عليه وسلم في النوم فقال لي انت الهيثم الذي تزين القراء ان بصوتك
جزاك الله خيرا وقيل من الاقوال في الزيادة غير هذا وذلك على جهة المثال
لان المقصد هي فقط * وقوله تعالى ما يفتح الله ما شرط ويفتح
محزوم بالشرط * وقوله من رحمة عام في كل خير يعطيه الله تعالى لعباده *
وقوله من بعده فيه حذف مضاف اي من بعد امساكه ومن هذه الآيات

سمت الصوفية ما تعطاه من الاموال والمطاعم وغير ذلك الفتوحات *
 وقوله تعالى يا ايها الناس خطاب لقريش وهو متوجه لكل كافر * وقوله
 سبحانه فلا تغرنكم الحياة الدنيا (ت) هذه الآية معناها بين قال ابن عطاء الله
 ينبغي للعبد ان يقلل الدخول في اسباب الدنيا فقد قال النبي صلى الله عليه
 وسلم ان قليل الدنيا يلهم عن كثير الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم ما طلعت
 شمس الا وبجنيبها ملكان يناديان يا ايها الناس هلموا الى ربكم فان ما قل وكفى
 خير مما كثر والهي انتهى من لطائف المنن وقرأ جمهور الناس الغرور بفتح
 الغين وهو الشيطان قاله ابن عباس * وقوله ان الشيطان لكم عدو الآية يقوى
 قراءة الجمهور فاتخذوه عدوا اي بالمباينة والمقاطعة والمخالفة له باتباع الشرع *
 وقوله تعالى افن زين له سوء عمله فرأاه حسنا توقيف وجوابه محذوف يمكن ان
 يقدر كمن اهتدى ونحو هذا من التقدير واحسن التقدير ما دل اللفظ بعد
 عليه وقرأ الجمهور فلا تذهب بفتح التاء والهاء نفسك بالرفع وقرأ قتادة وغيره
 تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك بالنصب ورويت عن نافع والحسرة
 هم النفس على فوات امر وهذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم عن
 كفر قومه ووجب التسليم لله عز وجل في اضلال من شاء وهداية من شاء *
 وقوله سبحانه والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت هذه
 اية احتجاج على الكفرة في انكارهم البعث من القبور * وقوله تعالى من كان
 يريد العزة يحتمل ان يريد من كان يريد العزة بمغالبة فله العزة اى ليست لغيره ولا
 تتم الا به ونحا اليه مجاهد وقال من كان يريد العزة بعبادة الالهة قال (ع)
 وهذا تمسك بقوله تعالى واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا ويحتمل ان
 يريد من كان يريد العزة وطريقها القويم ويجب نيلها على وجهها فله العزة اي به
 وعن اوامره لا تنال عزته الا بطاعته ونحا اليه قتادة * وقوله تعالى اليه يصعد

الكلم الطيب اي التوحيد والتحميد وذكر الله ونحوه * وقوله والعمل الصالح
يرفعه قيل المعنى يرفعه الله وهذا ارجح الاقوال وقال ابن عباس وغيره ان العمل
الصالح هو الرفع للكلم وهذا التاويل انما يستقيم بان يتأول على معنى انه يزيد في رفعه
وحسن موقعه (ت) وعن ابن مسعود قال اذا حدثناكم بحديث اتيناكم بتصديق
ذلك في كتاب الله سبحانه ان العبد اذا قال سبحان الله والحمد لله والله اكبر
وتبارك الله قبض عليهن ملك فضعهن تحت جناحه وصعد بهن لاير بهن على
جمع من الملائكة الاستغفروا لقائلهن حتى يجاء بهن وجه الرحمن سبحانه ثم
تلا عبد الله بن مسعود اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه رواه
الحاكم في المستدرک وقال صحيح الاسناد انتهى من السلاح ويكررون السيئات
اي المكرات السيئات ويبور معناه يفسد ويبقى لانفع فيه * وقوله تعالى
والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم ازواجا وما تحمل من انثى ولا
تضع الا بعلله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الآية قيل معنى الازواج
هنا الانواع وقيل اراد ترويض الرجال النساء والضمير في عمره قال ابن عباس
وغيره ما مقتضاه انه عائد على معمر الذى هو اسم جنس والمراد غير الذى يعمر
وقال ابن جبير وغيره بل المراد شخص واحد وعليه يعود الضمير اي ما يعمر
انسان ولا ينقص من عمره بان يحصى ما مضى منه اذا مر حول كتب ما مضى
منه فاذا مر حول آخر كتب ذلك ثم حول ثم حول فهذا هو النقص قال ابن
جبير فما مضى من عمره فهو النقص وما يستقبل فهو الذى يعمره * وقوله
تعالى وما يستوى البحرين هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج
ومن كل تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر
لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون تقدم تفسير نظير هذه الآية * وقوله تعالى
وسخر الشمس والقمر كل يجري لاجل مسمى الآية الاجل المسمى هو قيام

الساعة وقيل ،اماد الليل و،اماد النهار والقطمير القشرة الرقيقة التى على نوى
التمره وقال الضحاك وغيره القطمير القمع الذى فى رأس التمره والاول اشهر
واصوب ثم بين تعالى بطلان الاصنام بثلاثة اشياء اولها انها لا تسمع ان دعيت
والثانى انها لا تجيب ان لوسمعت وانما جاء بهذه لان القائل متعسف ان يقول
عساها تسمع والثالث انها تتبرأ يوم القيامة من الكفرة * وقوله تعالى ولا
ينبئك مثل خبير قال المفسرون الخبير هنا هو الله سبحانه فهو الخبير الصادق
الخبر ونبا بهذا فلا شك فى وقوعه * وقوله تعالى يا ايها الناس انتم الفقراء الى
الله الآية - اية وعظ وتذكير والانسان فقير الى الله تعالى فى دقائق الامور
وجلائها لا يستغنى عنه طرفه عين وهو به مستغن عن كل احد والله هو
الغنى الحميد اي المحمود بالاطلاق * وقوله بعزى اي بممتنع وترر معناه تحمل
وهذه الآية فى الذنوب وانثت وازرة لانه ذهب بها مذهب النفس وعلى
ذلك اجريت مثقلة واسم كان مضمرا تقديره ولو كان الداعى ثم اخبر تعالى
بنيه انه انما ينذر اهل الخشية ثم حض على التزكى بان رضى عليه غاية الترجية ثم
توعده بعد ذلك بقوله والى الله المصير قال (ع) وكل عبارة فهى مقصورة عن
تفسير هذه الآية وكذلك كتاب الله كله ولكن يظهر الامر لنا نحن فى
مواضع اكثر منه فى مواضع بحسب تقصيرنا * وقوله سبحانه وما يستوى
الاعمى والبصير الآية مضمن هذه الآية الطعن على الكفرة وتمثيلهم بالعمى
والظلمات وتمثيل المومنين بازانهم بالبصراء والانوار والحرور شدة الحر قال الفراء
وغيره ان السموم يختص بالنهار والحرور يقال فى حر الليل وحر النهر وتأول
قوم الظل فى هذه الآية الجنة والحرور جهنم وشبه المومنين بالاحياء والكفرة
بالاموات من حيث لا يفهمون الذكر ولا يقبلون عليه * وقوله سبحانه وما انت
بسمع من فى القبور تمثيل بما يحسه البشر ويعهده جميعا من ان الميت الشخص

الذى فى القبر لا يسمع واما الارواح فلا نقول انها فى القبر بل تتضمن الاحاديث ان ارواح المؤمنين فى شجر عند العرش وفى قناديل وغير ذلك وان ارواح الكفرة فى سجين ويجوز فى بعض الاحيان ان تكون الارواح عند القبور فربما سمعت وكذلك اهل قلب بدر انما سمعت ارواحهم فلا تعارض بين الآية وحديث القلب * وقوله تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير معناه ان دعوة الله تعالى قد عمت جميع الخلق وان كان فيهم من لم تبشره النذارة فهو ممن بلغت له لان ادم بعث الى بنيه ثم لم تنقطع النذارة الى زمن محمد صلى الله عليه وسلم والبينات والزبر والكتاب النير شي واحد لكنه اكد اوصاف بعضها ببعض * وقوله تعالى ومن الجبال جدد الآية جمع جدة وهي الطريقة تكون من الارض والجبل كالقطة العظيمة المتصلة طولاً وحكى ابو عبيدة فى بعض كتبه انه يقال جدد فى جمع جديد ولا معنى لمدخل الجديد فى هذه الآية وقال الثعلبي وقيل الجدد القطع جددت الشيء اذا قطعته انتهى * وقوله وغرابيب سود لفظان لمعنى واحد وقدم الوصف الابغ وكان حقه ان يتأخر وكذلك هو فى المعنى لكن كلام العرب الفصح يأتى كثيراً على هذا النحو والمعنى ومنها اى من الجبال سود غرابيب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ينفذ الشيخ الغريب يعنى الذى يخضب بالسواد ومن الناس والدواب والانعام اى خلق مختلف الوانه * وقوله تعالى كذلك يحتمل ان يكون من الكلام الاول فيجيء الوقف عليه حسناً والى هذا ذهب كثير من المفسرين ويحتمل ان يكون من الكلام الثانى خرج مخرج السبب كانه قال كما جاءت القدرة فى هذا كله كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء اى المحصلون لهذه المعبر الناظرون فيها وفى الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم اعلمكم بالله اشدكم له خشية وقال صلى الله عليه وسلم رأس

الحكمة مخافة الله وقال الربيع بن انس من لم يخش الله فليس بعالم وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية كفى بالزهد علما ويقال ان فاتحة الزبور رأس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وبالاغترار به جهلا وقال مجاهد والشعبي انما العالم من يخشى الله وانما في هذه الآية تحضيض للعلماء لا للحصر قال ابن عطاء الله في الحكم العلم النافع هو الذي ينبسط في الصدر شعاعه ويكشف به عن القلب قناعه خير العلم ما كانت الخشية معه والعلم ان قارنته الخشية فلك والافليك وقال في التنوير اعلم ان العلم حيث ما تكرر في الكتاب العزيز او في السنة فانما المراد به العلم النافع الذي تقارنه الخشية وتكتنفه المخافة قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فبين سبحانه ان الخشية تلازم العلم وفهم من هذا ان العلماء انما هم اهل الخشية انتهى قال ابن عباد في شرح الحكم واعلم ان العلم النافع المتفق عليه فيما سلف وخلف انما هو العلم الذي يؤدي صاحبه الى الخوف والخشية وملازمة التواضع والذلة والتخلق باخلاق الايمان الى ما يتبع ذلك من بغض الدنيا والزهادة فيها وايقار الآخرة عليها ولزوم الادب بين يدي الله تعالى الى غير ذلك من الصفات العلية والمناحي السنية انتهى وهذه المعاني كلها محصلة في كتب الغزالي وغيره رضي الله عن جميعهم ونفعنا ببركاتهم قال صاحب الكلم الفارقية والحكم الحقيقية العلم النافع ما زهدك في دنيالك ورغبك في اخراك وزاد في خوفك وتقواك وبعثك على طاعة مولاك وصفاك من كدر هواك وقال رحمه الله العلوم النافعة ما كانت لهمم رافعة وللاهواء قامة وللشكوك صارفة دافعة انتهى * وقوله تعالى ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم الآية قال مطرف بن عبد الله بن الشخير هذه آية القراء قال (ع) وهذا على ان يتلون بمعنى يقرءون وان جعلناه بمعنى يتبعون صح معنى الآية وكانت في القراء وغيرهم

من اتصف باوصاف الآيات وكتاب الله هو القرآن واقامة الصلاة اي بجميع شروطها والنفقة هي في الصدقات ووجوه البر ولن تبور معناه لن تكسد ويزيدهم من فضله قالت فرقة هو تضعيف الحسنات وقالت فرقة هو اما النظر الى وجه الله عز وجل واما ان يجعلهم شافعين في غيرهم كما قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة (ت) وقد خرج ابو نعيم باسناده عن الثوري عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليوفهم اجورهم ويزيدهم من فضله قال اجورهم يدخلهم الجنة ويزيدهم من فضله الشفاعة لمن وجبت له النار ممن صنع اليه المعروف في الدنيا وخرج ابن ماجه في سننه عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف الناس صفوفا وقال ابن نمير اهل الجنة فيمر الرجل من اهل النار على الرجل من اهل الجنة فيقول يا فلان اما تذكر يوم استسقيتني فسقيتك شربة قال فيشفع له ويمر الرجل على الرجل فيقول اما تذكر يوم ناولتك طهورا فيشفع له قال ابن نمير ويقول يا فلان اما تذكر يوم بعثتني لحاجة كذا وكذا فذهبت لك فيشفع له وخرجه الطحاوي وابن وضاح بمعناه انتهى من التذكرة * وقوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا الآية اورثنا معناه اعطيناه فرقة بعد موت فرقة والكتاب هنا يريد به معاني الكتاب وعلمه واحكامه وعقائده فكان الله تعالى لما اعطى امة محمد القرآن وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة قبله فكانه ورث امة محمد الكتاب الذي كان في الامم قبلها قال ابن عطاء الله في التنوير قال الشيخ ابو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى اكرم المومنين وان كانوا عصاة فاسقين وامرهم بالمعروف وانهيهم عن المنكر واهجرهم رحمة بهم لا تعززا عليهم فلو كشف عن نور المومن العاصي لطبق السماء والارض فما ظنك بنور المومن المطيع ويكشفك في تعظيم المومنين وان كانوا عن الله غافلين قول رب العالمين ثم اورثنا الكتاب

الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فانظر كيف اثبت لهم الاصطفاء مع وجود ظلمهم واعلم انه لابد في مملكته من عباد هم نصيب الحلم ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ووقوع الشفاعة انتهى والذين اصطفينا يريد بهم امة محمد صلى الله عليه وسلم قاله ابن عباس وغيره واصطفينا معناه اخترنا وفضلنا والعباد عام في جميع العالم واختلف في عود الضمير من قوله فمنهم فقال ابن عباس وغيره ما مقتضاه ان الضمير عائد على الذين اصطفينا وان الاصناف الثلاثة هي كلها في امة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فالظالم لنفسه العاصي المسرف والمقتصد متقى الكبائر وهم جمهور الامة والسابق المتقى على الاطلاق وقالت هذه الفرقة الاصناف الثلاثة في الجنة وقاله ابو سعيد الخدري والضمير في يدخلونها عائد على الاصناف الثلاثة قالت عائشة وكعب دخلوها كلهم ورب الكعبة وقال ابو اسحاق السبيعي اما الذي سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج وقال ابن مسعود هذه الامة يوم القيامة اثلاث ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثم يدخلون الجنة وثلث يجيئون بذنوب عظام فيقول الله عز وجل ما هؤلاء وهو اعلم بهم فتقول الملائكة هم مذنبون الا انهم لم يشركوا فيقول عز وجل ادخلوهم في سعة رحمتي وروى اسامة بن زيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية وقال كلهم في الجنة وقرأ عمر هذه الآية ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وقال عكرمة والحسن وقتادة ما مقتضاه ان الضمير في منهم عائد على العباد فالظالم لنفسه الكافر والمقتصد المومن العاصي والسابق التقي على الاطلاق وقالوا هذه الآية نظير قوله تعالى وكنتم ازواجا ثلاثة الآية والضمير في يدخلونها على هذا التاويل خاص بالمقتصد والسابق وباقي الآية بين والحزن في هذه الآية عام في جميع انواع الاحزان

وقولهم ان ربنا لغفور شكور وصفوه سبحانه بانه يغفر الذنوب ويمحى على القليل من الاعمال بالكثير من الثواب وهذا هو شكره لارب سواه ودار المقامة الجنة والمقامة الاقامة والنصب تعب البدن واللغوب تعب النفس اللازم عن تعب البدن * وقوله سبحانه والذين كفروا لهم نار جهنم هذه الآية تؤيد التاويل الاول من ان الثلاثة الاصناف هي كلها فى الجنة لان ذكر الكافرين افراد هاهنا * وقوله لا يقضى عليهم اى لا يجهز عليهم * وقولهم ربنا اخرجنا اى يقولون هذه المقالة فيقال لهم على جهة التوبيخ اولم نعمركم الآية واختلف فى المدة التى هي حد للتذكر فقال الحسن بن ابى الحسن البلوغ يريد انه اول حال التذكر وقال ابن عباس اربعون سنة وهذا قول حسن ورويت فيه اثار وروي ان العبد اذا بلغ اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان على وجهه وقال بابى وجهه لا يفلح وقيل الستين وفيه حديث (ت) وفى البخاري من بلغ ستين سنة فقد اعذر الله اليه لقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير يعنى الشيب ثم اسند عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اعذر الله امرأ اخر اجله حتى بلغ ستين سنة انتهى والنذير فى قول الجمهور الانبياء قال الطبري وقيل النذير الشيب وهذا ايضا قول حسن * وقوله فعليه كفره اى وبال كفره والمقت احتقارك الانسان من اجل معصيته والخسار مصدر يخسر وارأيتم تتنزل عند سيبويه منزلة اخبروني ولذلك لا تحتاج الى مفعولين والرؤية فى قوله ارونى رؤية بصر (ت) قال ابن هشام قوله من الارض من مرادفة فى ثم قال والظاهر انها لبيان الجنس مثلها ما نسخ من آية انتهى ثم اضرب سبحانه عنهم بقوله بل ان يعد اى بل انما يعدون انفسهم غرورا * وقوله ان تزولا اى ليلا تزولا ومعنى الزوال هنا التنقل من مكانها والسقوط من علوها وعن ابن مسعود ان السماء لا تدور وانما تجرى فيها الكواكب * وقوله تعالى ولئن زالتا

قيل اراد يوم القيامة * وقوله تعالى ان امسكهما من احد من بعده اي من بعد تركه
 الامساك قال (ص) ان امسكهما ان نافية بمعنى ما وامسك جواب القسم المقدر
 قبل اللام الموطئة في لئن وهو بمعنى يمسك لدخول ان الشرطية كقوله تعالى
 ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك اي ما يتبعون وكقوله
 ولئن ارسلنا ريحاً الآية الى قوله لظلوا من بعده اي ليطلون وحذف جواب
 ان في هذه المواضع لدلالة جواب القسم عليه * وقوله من احد من زائدة
 لتأكيد الاستغراق انتهى * وقوله تعالى واقسموا بالله يعني قريشا لئن جاءهم
 نذير ليكونن اهدى من احدى الامم الآية وذلك انه روي ان كفار قريش
 كانت قبل الاسلام تنكر على اليهود والنصارى وتأخذ عليهم في تكذيب بعضهم
 بعضا وتقول لو جاءنا نحن رسول لكننا اهدى من هؤلاء واحدى الامم
 يريدون اليهود والنصارى فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم ما
 زادهم الانفورا وقرأ ابن مسعود ومكرا سينا ويحيق معناه يحيط ويحل
 وينزل ولا يستعمل الا في المكروه وينظرون معناه ينتظرون والسنة الطريقة والعادة *
 وقوله فلن تجد لسنة الله تبديلا اي لتعذيبه الكفرة المكذبين وفي هذا وعيدبين *
 وقوله تعالى اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم
 وكانوا اشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في
 الارض لما توعدهم سبحانه بسنة الاولين وقفهم في هذه الآية على رؤيتهم
 لما رأوا من ذلك في طريق الشام وغيره كديار ثمود ونحوها ويعجزه معناه يفوته
 ويفلته * وقوله تعالى ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من
 دابة الآية قوله من دابة مبالغة والمراد بنو ادم لانهم المجازون وقيل المراد
 الانس والجن وقيل المراد كل مادب من الحيوان واكثره انما هو لمنفعة ابن
 ادم وبسببه والضمير في ظهرها عائد على الارض والاجل المسمى القيامة *

وقوله تعالى فان الله كان بعباده بصيرا وعيد وفيه للمتقين وعد وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله على ما انعم

انتهى الجزء الثالث من الجواهر الحسان * في تفسير
القرآن * ويليه الجزء الرابع منه واوله سورة يس

فهرست الجزء الثالث من كتاب الجواهر الحسان
في تفسير القرآن

٢	تفسير سورة مريم عليها السلام	١٥٥	تفسير سورة النمل
٢٣	طه — —	١٧٠	القصص — —
٤٧	الا انبياء عليهم السلام — —	١٨٦	العنكبوت — —
٦٩	الحج — —	١٩٧	الروم — —
٩١	المومنين — —	٢٠٦	لقمان — —
١٠٨	النور — —	٢١٢	السجدة — —
١٣٠	الفرقان — —	٢١٧	الاحزاب — —
١٤٤	الشعراء — —	٢٣٩	سبا — —
		٢٥٢	فاطر — —